حوارات إفتراضية

في الأدب والفكر والفن

إعداد

عبد الرحمان الوادي

حوارات اِفتراضية

في الأدب والفكر والفن

إعداد

عبد الرحمان الوادي

عنوان الكتاب: حوارات اِفتراضية في الأدب والفكر والفن

إعداد: عبد الرحمان الوادي

تاريخ النشر: أكتوبر 2026

يسمح بتحميل هذا الكتاب وقراءته وتداوله مجاناً، شريطة عدم تحريف محتواه، أو حذف اسم معده، أو استغلاله تجارياً، أو إعادة نشره ضمن إصدار آخر دون إذن كتابي مسبق من صاحبه.

إن إتاحة هذا الكتاب مجاناً لا تعني التنازل عن حقوق صاحبه، وإنما هي دعوة إلى توسيع دائرة القراءة، وتشجيع الحوار، وتقاسم المعرفة.

جميع الحقوق الأدبية محفوظة لصاحبه

مقدمة

الحوار الافتراضي: من استعادة الصوت إلى مساءلة الأثر

يندرج هذا الكتاب ضمن تجربة كتابية تتقاطع فيها آليات الحوار الثقافي مع إمكانات التخييل الأدبي وأدوات القراءة النقدية. وهو يقترح، من خلال مفهوم "الحوار الافتراضي"، صيغةً تقوم على استحضار شخصيات أدبية وفكرية وفنية، حية أو راحلة، وإدخالها في فضاء حواري متخيَّل يستند إلى منجزها الإبداعي والفكري، وسيرتها الثقافية، ومواقفها المعلنة، والقضايا التي ارتبطت بأسمائها.

ولا يُقصد بالحوار الافتراضي، في هذا السياق، محاكاةُ الحوار الصحفي أو الادعاءُ بوقوع مقابلات فعلية مع الشخصيات الواردة في الكتاب، كما لا يُراد به تقديم أجوبتها بوصفها أقوالاً موثقة أو شهادات تاريخية. إننا إزاء بناء تخييلي معرفي، تتحول فيه المعرفة بالشخصية إلى مادة أولية لصوغ حوار ممكن معها، ويصبح السؤال وسيلةً لإعادة قراءة تجربتها ومناقشة ما تنطوي عليه من أفكار واختيارات ومواقف وتناقضات.

وينطلق المشروع من فرضية أساسية مفادها أن الأثر الثقافي لا يتوقف عن إنتاج المعنى بانتهاء لحظة إنجازه، كما أن رحيل صاحبه لا يضع حداً لإمكان مساءلته. فالنصوص والأعمال الفنية والمفاهيم والمواقف تستمر في الحياة داخل سياقات استقبال جديدة، وتتعرض، تبعاً لذلك، لأسئلة لم تكن مطروحة زمن إنتاجها. ومن هنا يصبح الحوار الافتراضي شكلاً من أشكال إعادة تنشيط الذاكرة الثقافية، لا عن طريق استعادتها في صورة ساكنة، وإنما بإدخالها في علاقة جدلية مع الحاضر.

بهذا المعنى، لا يمثل الحوار في هذا الكتاب مجرد قالب فني لتنظيم الأسئلة والأجوبة، بل يشكل منهجاً في القراءة. فالقراءة التقليدية غالباً ما تتحدث عن الكاتب أو الفنان من موقع خارجي، بينما تسعى هذه التجربة إلى تحويل فعل القراءة نفسه إلى مواجهة حوارية، يكون فيها السؤال أداة تحليل، والاعتراض وسيلة تفكيك، والجواب المتخيل إمكاناً لاستكشاف مناطق جديدة في التجربة المدروسة.

ومن ثم يقوم هذا المشروع على تداخل ثلاثة مستويات رئيسة: المعرفة، والتخييل، والمساءلة النقدية. تستمد المعرفة مادتها من الأعمال والمواقف والسياقات المرتبطة بالشخصية، ويعيد التخييل تركيب تلك المادة داخل بنية حوارية محتملة، بينما تعمل المساءلة النقدية على زحزحة الصور المستقرة، ومراجعة الأحكام الجاهزة، واختبار المفاهيم التي رسختها المؤسسة الثقافية أو الذاكرة الجماعية حول الأسماء المحاوَرة.

ولا يتوخى الحوار الافتراضي إعادة إنتاج صورة مثالية عن الشخصية. لذلك تتخذ بعض الحوارات طابعاً صدامياً، وتتجه

الأسئلة فيها نحو المناطق الحساسة في المسار الإبداعي أو الفكري: الاختيارات الجمالية، والمواقف المتحولة، والتناقضات المحتملة، وعلاقة المثقف بمحيطه الثقافي والسياسي والاجتماعي، والمسافة بين الخطاب والممارسة، وبين ما تقوله الشخصية عن تجربتها وما يمكن أن تكشفه أعمالها من دلالات أخرى.

غير أن الصدامية هنا لا تعني الخصومة، ولا تقوم على الرغبة في الإدانة أو الإثارة المجانية، وإنما تُفهم بوصفها استراتيجية حوارية تروم تحرير السؤال من المجاملة. فالحوار الثقافي الذي يكتفي بتأكيد ما هو معروف سلفاً يتحول إلى شكل من أشكال الاحتفاء، بينما يراهن هذا الكتاب على السؤال بوصفه فعلاً نقدياً، وعلى الاختلاف بوصفه أحد الشروط المنتجة للمعرفة.

بين الوثيقة والتخييل:

يقتضي هذا النوع من الكتابة تمييزاً واضحاً بين الشخصية التاريخية أو الواقعية وبين حضورها النصي داخل الحوار. فالشخصيات الواردة في الكتاب موجودة خارج النص بأعمالها وسيرها ومواقفها، غير أن الشخصية المتكلمة داخل الحوار هي، بالضرورة، شخصية نصية معاد بناؤها.

ومن ثم، لا ينبغي التعامل مع الأجوبة الواردة هنا بوصفها اقتباسات حرفية، ولا الاستناد إليها باعتبارها تصريحات موثقة لأصحابها. إنها أجوبة محتملة أتاحها التخييل، وصيغت في ضوء ما أمكن معرفته عن الشخصية وخصوصية خطابها وموقعها الثقافي.

ويتضاعف هذا الاحتراز المنهجي حين يتعلق الأمر بالشخصيات الراحلة. فالحوار معها لا يدعي استعادة أصواتها الفعلية، وإنما يشتغل على آثارها التي ما تزال حاضرة بيننا. إن الموت، من هذا المنظور، يضع حداً للقاء البيولوجي، لكنه لا ينهي اللقاء الثقافي. وكل عمل باق يمثل، بصورة ما، إمكانيةً متجددة لمحاورة صاحبه.

فالكاتب الذي رحل يظل قابلاً للقراءة، والفنان الذي غاب يظل عمله قابلاً لإعادة التأويل، والمفكر الذي انقطع صوته تظل أفكاره قادرة على الدخول في سجالات لم يشهدها زمنه.

وهكذا يغدو الحوار مع الراحلين حواراً مع الأثر أكثر منه حواراً مع الشخص في معناه الواقعي المباشر.

أخلاقيات الحوار الافتراضي:

لأن هذه الكتابة تتحرك على الحد الفاصل بين المرجعي والمتخيل، فإنها تستدعي قدراً من الوضوح الأخلاقي والمنهجي. وأول مقتضيات هذا الوضوح عدم إيهام القارئ بأن الحوار وقع بالفعل، أو أن الأجوبة تمثل بالضرورة رأي الشخصية الحقيقي في القضايا المطروحة.

ومن هنا، فإن نسبة الأجوبة إلى الشخصيات في هذه النصوص نسبة فنية داخل بناء أدبي، وليست إحالة توثيقية.

كما يتطلب الحوار الافتراضي تجنب تحويل الشخصية إلى مجرد قناع ينطق بأفكار المحاور. فنجاح هذا النوع من الكتابة يرتبط

بمدى قدرة النص على المحافظة على مسافة بين الطرفين، وعلى بناء اختلاف حقيقي بين صوت السائل والصوت المتخيَّل للمجيب.

ولا تكمن قيمة التجربة في أن تقول الشخصية ما نريد منها أن تقوله، وإنما في أن يبدو الحوار ممكناً داخل حدود ما نعرفه عنها، مع الاحتفاظ بحق التخييل في تجاوز ما وقع فعلياً نحو ما كان يمكن أن يقع.

السؤال بوصفه مركز الكتاب:

إذا كان الحوار التقليدي يُقاس في كثير من الأحيان بقيمة الأجوبة التي يقدمها، فإن هذه التجربة تمنح السؤال موقعاً مركزياً. فالسؤال هنا لا يؤدي وظيفة الاستفهام فقط، وإنما يمثل موقفاً من المعرفة.

إنه يفكك المسلمات، ويعيد ترتيب العلاقة بين القارئ والشخصية، ويجبر الذاكرة الثقافية على الخروج من حالة التلقي الاحتفائي إلى حالة النقاش.

ولهذا لا يدعي الكتاب تقديم صورة نهائية عن الشخصيات التي يستحضرها. فكل حوار ليس إلا اقتراحاً لمدخل من بين مداخل عديدة ممكنة، وكل شخصية أوسع بالضرورة من أن تختزل في جلسة واحدة أو مجموعة أسئلة محدودة.

وتظل الغاية الأبعد هي جعل هذه الأسماء قادرة على إثارة الأسئلة من جديد، لا وضعها داخل أجوبة نهائية.

في وظيفة التخييل:

يتيح التخييل لهذا المشروع أن يتجاوز قيود الزمان والمكان؛ فيجمع بين أشخاص لم يجتمعوا، ويستأنف حوارات انقطعت، ويطرح على الراحلين أسئلة ظهرت بعد رحيلهم، ويعيد وضع الأحياء أمام قضايا ربما لم تُطرح عليهم بهذه الصيغة.

وبذلك يصبح الافتراض وسيلة معرفية، لا مجرد لعبة أدبية.

فالسؤال: ماذا لو جلسنا الآن إلى هذه الشخصية؟ ليس تمريناً على استعادة الماضي فقط، بل طريقة للنظر إلى حاضرنا أيضاً. إننا عندما نسأل شخصيات الماضي عن قضايا الحاضر، لا نختبرها وحدها، بل نختبر كذلك طبيعة أسئلتنا نحن، وتحولات قيمنا ومفاهيمنا ونظرتنا إلى الأدب والفن والثقافة.

لذلك يمكن النظر إلى هذه الحوارات بوصفها لقاءً بين زمنين: زمن الشخصية وزمن المحاور. وفي المنطقة الفاصلة بينهما يتولد معنى ثالث لا ينتمي كاملاً إلى أي منهما.

خاتمة:

لا يقدم هذا الكتاب نفسه باعتباره بديلاً عن الدراسات الأكاديمية أو الحوارات الصحفية أو الشهادات التاريخية. إنه ينتمي إلى منطقة أخرى، تستفيد من هذه الأجناس جميعاً من دون أن تتماهى مع أي منها.

إنه محاولة لإعادة التفكير في العلاقة بين الحوار والتخييل والنقد، واختبار قدرة الكتابة على جعل الغائب حاضراً، وجعل المعروف قابلاً للاكتشاف من جديد.

فالذاكرة الثقافية ليست مجموعة من الأسماء التي ينبغي حفظها، وإنما شبكة من الأسئلة التي ينبغي أن تظل مفتوحة. والمبدع لا يبقى حياً في الثقافة لأننا نكرر ما قيل عنه، بل لأن أثره يستمر في استفزاز الأسئلة واستدعاء القراءات والمراجعات والاختلافات.

ومن هذا المنطلق، لا تقول هذه الحوارات للقارئ: هذا ما قالته الشخصيات. بل تقول: هذا ما يمكن أن نسألها عنه، وهذا ما كان يمكن أن تقوله لو أن الحوار أصبح ممكناً خارج قيود الزمن والمكان.

وعند هذه النقطة تحديداً يبدأ الدور الحقيقي للقارئ؛ لأن الحوار الافتراضي لا يكتمل بين السائل والمجيب وحدهما، بل يحتاج إلى طرف ثالث يعيد مساءلة السؤال والجواب معاً.

ذلك الطرف هو القارئ.

قائمة الضيوف

- دون كيشوت 13
- بدر شاكر السياب 21
- عبد المجيد فنيش 25
- العربي بنجلون 31
- عبد الحق الزروالي 37
- المهدي المنجرة 45
- عبد الكريم الماحي 55
- سعيد المغربي 61
- البشير سكيرج 71
- الزهرة رميج 81
- بوجميع 95
- إدريس الشعراني 103
- عبد الهادي بلخياط 111
- محمد برادة 121
- محمد جسوس 129
- شفيق السحيمي 141
- إبراهيم الكوني 149
- ثريا جبران 155
- علي مهدي 163
- عثمان عريوات 169
- محمد ركاب 175
- وحيد الطويلة 183
- عبد اللطيف اللعبي 193

- توفيق حماني 203
- محمد عاطير 209
- نجيب محفوظ 221
- محمد بسطاوي 225
- أحمد فؤاد نجم 231
- عبد الرحمان منيف 237
- سالم كويندي 241
- الحسين حوري 247
- محمد خير الدين 251
- سعيد يقطين 257
- نور الدين الصايل 263
- الطيب الصديقي 271
- أحمد بوزفور 277
- عبد الكريم برشيد 283
- مبارك أيسار 285
- بزيز 293
- إسماعيل زويريق 299
- نجيب أقصبي 305
- الرمادي 315

دون كيشوت



- الوادي: قرأت كتباً أكثر مما ينبغي، فاختلطت عليك الكلمات بالأشياء، ثم خرجت تطالب العالم بأن يتطابق مع مكتبة في رأسك.
- دون كيشوت: وأنت، ألم تقرأ الكتب أيضاً؟
- الوادي: قرأت، لكنني لم أهاجم طواحين الهواء.
- دون كيشوت: ربما لأنك صرتَ واحداً منها.
- الوادي: بدأنا بالشتائم؟
- دون كيشوت: بل بدأنا بالحقيقة.
- الوادي: أنت آخر من يحق له الحديث عن الحقيقة. رأيتَ الطاحونة عملاقاً، والخان قصراً، والفلاحات أميرات، وقطيع الغنم جيشاً. كنتَ تهرب من الواقع عندما لا يناسب خيالك.
- دون كيشوت: أنت تسمي استسلامك للواقع عقلاً.
- الوادي: أسمي رؤية الشيء كما هو عقلاً.
- دون كيشوت: ومن أخبرك أنك تراه كما هو؟
- الوادي: عيناي.

- دون كيشوت: العينان أجبن عضو في الإنسان. ترى الباب مغلقاً فتقول: لا طريق. ترى الفقير فقيراً فتقول: تلك مكانته. ترى المهزوم مهزوماً فتقول: اِنتهى الأمر. أنا كنت أرى ما يمكن أن يكون خلف الأشياء.
- الوادي: بل كنت ترى ما تريد أن يكون.
- دون كيشوت: وهل الحضارة شيء آخر؟
- الوادي: لا تتذاكَ.
- دون كيشوت: حين نظر الإنسان إلى قطعة حديد، هل رأى الطائرة؟ حين نظر إلى الليل، هل رأى الكهرباء؟ حين نظر إلى البحر، هل رأى السفينة العابرة للمحيطات؟ كل ما تسمونه اليوم واقعاً كان في رأس شخص تتهمونه، لو عاش في زمني، بالجنون.
- الوادي: أولئك اختبروا أفكارهم. أما أنت فكنتَ تهجم بالسيف.
- دون كيشوت: زمنكم اخترع سيوفاً لا تظهر. أنتم لا تطعنون الناس بالرماح. تطعنونهم بالتجاهل. بالاحتقار. بالشائعة. بالمنصب. بالمال. بالخوف. بالصمت. ثم تأتون إلى رجل يحمل رمحاً صدئاً وتقولون له: يا لك من عنيف!
- الوادي: لا تحاول تحويل نفسك إلى قديس. كنت تؤذي الناس أحياناً لأنك أصررت أن العالم الذي في رأسك أهم من العالم الذي يعيشون فيه. مشكلتك ليست أنك حلمت. مشكلتك أنك أردت من الآخرين أن يسكنوا حلمك بالقوة. أنت لم تسأل النادلة إن كانت تريد أن تكون أميرة. جعلتها أميرة رغماً عنها. لم تسأل صاحب الخان إن كان قصره قلعة. فرضت عليه قلعتك. كنت ديكتاتوراً للخيال.
- دون كيشوت: أنت أيضاً تجعل الناس ما تريد أن يكونوا. حين تحب شخصاً، ألا تخترع له صورة ثم تغضب عندما يخونها؟ حين تكره شخصاً، ألا تجمع كل أفعاله داخل كلمة واحدة؟ حين تقرأ كاتباً، ألا تصنع منه تمثالاً ثم تحاكم الرجل لأنه لم يكن في مستوى التمثال؟

- الوادي: ألم تكن دولثينيا أعظم أكاذيبك؟ امرأة اخترعتها.
- دون كيشوت: دولثينيا لم تكن امرأة.
- الوادي: لا تخبرني أنها رمز. حين يعجز المجنون عن الدفاع عن كذبته يسميها رمزاً.
- دون كيشوت: وحين يعجز العاقل عن فهم الرمز يسميه كذبة. إنها الحاجة إلى أن يكون في هذا العالم شيء يستحق أن نصير أفضل من أجله.
- الوادي: حتى لو لم يكن موجوداً؟
- دون كيشوت: خصوصاً إذا لم يكن موجوداً.
- الوادي: هذا جنون حقيقي.
- دون كيشوت: كل القيم الكبرى كذلك. أرني العدالة. أرني الحرية. أرني الكرامة. أنتم تموتون من أجل أشياء لا يمكن وضعها فوق المائدة، ثم تسخرون مني لأنني أحببت دولثينيا التي لا يمكنني وضعها فوقها.
- الوادي: العدالة يمكن اختبارها في حياة الناس.
- دون كيشوت: ودولثينيا اختبرتني أنا. جعلت شيخاً هزيلاً ينهض كل صباح معتقداً أن عليه واجباً تجاه العالم.
- الوادي: واجباً أم مسرحية؟
- دون كيشوت: ما الفرق؟
- الوادي: الواجب مسؤولية. المسرحية تمثيل.
- دون كيشوت: وإذا مثّل الإنسان الشجاعة طويلاً حتى صار شجاعاً؟ أحياناً نرتدي القناع لكي نجد الوجه.
- الوادي: وأحياناً يلتصق القناع بالوجه فنفقده. أنت لم تكن شجاعاً. كنت محمياً بالوهم. الشجاع الحقيقي يعرف حجم الخطر ثم يتقدم. أما أنت فكنت ترى العمالقة بدلاً من الطواحين. وربما لو رأيت الطاحونة كما هي لما اقتربت منها.
- دون كيشوت: وهل الطاحونة أقل خطراً لأنها طاحونة؟ ربما كنتَ أنت تحتاج إلى أن تسمي العملاق طاحونة كي تستطيع

المرور بجانبه دون الشعور بالعار. هناك أشياء ضخمة تسحق الناس كل يوم، وأنتم تمنحونها أسماء صغيرة كي تناموا بسلام. تسمون الجبن حكمة. والخضوع واقعية. والطمع طموحاً. والاستغلال فرصة. والكذب تواصلاً. والصمت أمام الظلم تجنباً للمشاكل. من منا إذن يغير أسماء الأشياء، أنا أم أنتم؟

- الوادي: على الأقل نحن لا نرى الشياطين حيث لا توجد.

- دون كيشوت: الأسوأ، لا ترون الشياطين حيث توجد.

- الوادي: تتكلم كأنك أفضل منا.

- دون كيشوت: لا. أنا أكثر فشلاً منكم. لكن فشلي كان مرئياً. كنت أسقط عن حصاني فيضحك الناس. أما أنتم فتسقطون داخل أنفسكم ولا أحد يلاحظ.

- الوادي: تتصور أن الكون بحاجة إلى بطولتك. تبحث عن مظلوم كي تنقذه، وعملاق كي تقتله، وسيدة كي تهدي إليها انتصاراتك. ماذا لو كان العالم لا يحتاج إليك أصلاً؟

- دون كيشوت: العالم لا يحتاج إلى أحد. سيمضي بعد موتك. ستشرق الشمس صباح دفنك. سيضحك شخص في اللحظة التي يبكي فيها أبناؤك عليك. ستمتلئ المقاهي. تمر السيارات. تُفتح المتاجر. وسيكون موتك، بالنسبة إلى الكون، أقل من سقوط ورقة. لهذا نصنع لأنفسنا مهمة. ليس لأن الكون طلبها، بل كيلا نموت قبل أن نموت. أنا اخترعت الفروسية. وأنت، ماذا اخترعت؟

- الوادي: أنا لا أحتاج إلى اختراع معنى لحياتي.

- دون كيشوت: إذن من أعطاك معناها؟

- الوادي: الحياة نفسها.

- دون كيشوت: الحياة لا تعطي معنى. الحياة تعطي وقتاً. وأنت مسؤول عما تفعله بذلك الوقت.

- الوادي: ماذا فعلت به أنت؟ أضعته في مطاردة الأوهام.

- دون كيشوت: وأنت ماذا تفعل به؟

- الوادي: أعيش.

- دون كيشوت: تستيقظ. تأكل. تعمل. تتحدث. تنام. النبات يفعل نصف ذلك.
- الوادي: وأكتب.
- دون كيشوت: وصلنا إلى فرسك.
- الوادي: قلمي ليس روسينانتي.
- دون كيشوت: بل أكثر هزالاً منه أحياناً. لماذا تكتب؟
- الوادي: لأن لدي ما أقوله للناس.
- دون كيشوت: وهل طلبوه منك؟
- الوادي: لا.
- دون كيشوت: إذن أنت مثلي. تخرج إلى العالم حاملاً كلماتك كما خرجتُ أحمل رمحي. تتخيل قارئاً لا تعرفه. تحارب أشياء لا تستطيع لمسها. تريد تغيير عالم قد لا ينتبه إلى وجودك. ثم تقف أمامي وتقول: أيها المجنون، لماذا خرجتَ من بيتك؟
- الوادي: الكاتب لا يفرض نفسه بالسيف.
- دون كيشوت: بل يحاول أن يدخل رأسك دون استئذان.
- الوادي: لك أن تغلق الكتاب.
- دون كيشوت: ولك أن تغلق الباب حين تراني قادماً.
- الوادي: في النهاية شُفيت. عدت إلى رشدك. تخليت عن الفروسية. اِعترفت بخطئك. ومات دون كيشوت ليعود ألونسو كيخانو العاقل. أليس كذلك؟
- دون كيشوت: نعم.
- الوادي: إذن انتهت حجتك كلها.
- دون كيشوت: بل بدأت مأساتي. حين أعادوني إلى العقل متُّ. حين كنت مجنوناً كنت أخرج من البيت. أركب حصاني. أقاتل. أسقط. أنهض. أحب. أصرخ. أحلم. وحين أصبحت عاقلاً استلقيت على السرير ومُت. فأيُّ المرضين كان أخطر؟
- الوادي: تريد إقناعي بأن الوهم أفضل من الحقيقة؟

- دون كيشوت: لا. أقول إن الحقيقة التي لا يستطيع الإنسان احتمالها قد تتحول إلى قبر.
- الوادي: إذن نكذب على أنفسنا كي نعيش؟
- دون كيشوت: تارةً تسمون ذلك أملاً.
- الوادي: وتارةً يكون وهماً.
- دون كيشوت: من يحدد المسافة بينهما؟
- الوادي: الواقع.
- دون كيشوت: عدنا إلى إلهك القديم: الواقع.
- الوادي: وأنت ما هو إلهك؟
- دون كيشوت: الإمكان.
- الوادي: الإمكان لا يطعم جائعاً.
- دون كيشوت: كل رغيف بدأ بإمكان.
- الوادي: ولا يحرر سجيناً.
- دون كيشوت: كل ثورة بدأت بإمكان.
- الوادي: ولا يعيد ميتاً.
- دون كيشوت: لهذا اخترعتم الأدب.
- الوادي: اِسمع يا دون كيشوت. ربما كنتَ ضرورياً في زمنك. أما اليوم فوجود رجل مثلك سيكون كارثة.
- دون كيشوت: لماذا؟
- الوادي: لأن العالم أصبح أكثر تعقيداً من أن ينقسم إلى فرسان وأشرار، حق وباطل، أميرات وعمالقة.
- دون كيشوت: وهل أصبح أفضل؟
- الوادي: لم أقل ذلك.
- دون كيشوت: إذن ماذا فعل تعقيدكم العظيم؟
- الوادي: جعلنا ندرك أن الحقيقة ليست بسيطة.
- دون كيشوت: أحياناً تستخدمون تعقيد الحقيقة ذريعة كيلا تتخذوا موقفاً.
- الوادي: ليس كل تردد جبناً.

- دون كيشوت: وليس كل تعقل شجاعة.
- الوادي: أنت تريد من الناس أن يعيشوا مثلك، يخرج كل واحد يحمل رمحه؟
- دون كيشوت: لا. أريد فقط أن يحتفظ كل واحد في مكان ما داخله برمح لا يُرى.
- الوادي: لمحاربة ماذا؟
- دون كيشوت: اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان بالتكيف مع ما كان يقسم أنه لن يقبله أبداً. لهذا قلت إنها المعركة.
- الوادي: أنت خسرتها.
- دون كيشوت: خسرت كل معاركي تقريباً.
- الوادي: إذن ماذا بقي منك؟
- دون كيشوت: السؤال.
- الوادي: أي سؤال؟
- دون كيشوت: حين ترى طاحونة، هل أنت متأكد أنها مجرد طاحونة؟
- الوادي: نعم.
- دون كيشوت: وحين ترى إنساناً منكسراً، هل أنت متأكد أنه مجرد ضعيف؟
- الوادي: لا.
- دون كيشوت: وحين يقول لك العالم: هذا هو الواقع، اِقبله؟
- الوادي: سأسأل: لماذا؟ أنا لم أقتنع بك.
- دون كيشوت: لا أريدك أن تقتنع بي.
- الوادي: ماذا تريد إذن؟
- دون كيشوت: أجعلك تشك في الطاحونة.
- الوادي: أي طاحونة؟
- دون كيشوت: تلك التي في رأسك.
- الوادي: وفي رأسك أنت؟
- دون كيشوت: عملاق.

- الوادي: ما زلت مجنوناً إذن.
- دون كيشوت: وأنت؟
- الوادي: أنا عاقل.
- دون كيشوت: متأكد؟
- الوادي: تماماً.
- دون كيشوت: ذلك بالضبط ما يخيفني عليك.
- الوادي: لماذا؟
- دون كيشوت: لأن المجنون يشك أحياناً في عقله. أما العاقل الذي لا يشك أبداً، فقد أصبح أخطر مني. سأسأل الطاحونة سؤالاً واحداً: من منا يدور في مكانه منذ أربعمائة سنة، أنا أم أنتم؟

بدر شاكر السياب



- الوادي: بدر، أنت تبني حداثتك على فكرة أن الإنسان تغير، لكن الإنسان في جوهره لم يتغير؛ فلماذا نهدم شكلاً شعرياً عمره قرون بحجة أن العصر تغير؟ - السياب: لأن ثبات الإنسان لا يعني ثبات تجربته؛ فالإنسان واحد، لكن أسئلته وقلقه وعلاقته بالعالم تتبدل.
- الوادي: هذه حجة للتجديد، لا دليل على ضرورة هدم الوزن؛ أليس من الممكن أن نعبر عن الإنسان الجديد بأدوات الشعر القديم؟
- السياب: ممكن، لكن حين يصبح القالب عاجزاً عن استيعاب التجربة، يتحول الوفاء له إلى خيانة للتجربة نفسها.
- الوادي: ومن قال إن الوزن عاجز؟ أليس الخليل قد منح القصيدة نظاماً موسيقياً يحفظ تماسكها؟ ألا تخشى أن يؤدي تحطيمه إلى نثر يرتدي قناع الشعر؟
- السياب: أخشى ذلك، ولهذا لم أدعُ إلى الفوضى؛ دعوت إلى إيقاع يولد من التجربة نفسها.

- الوادي: لكن الإيقاع الداخلي يبدو لي ذريعة فضفاضة؛ كيف نميز إيقاعاً شعرياً حقيقياً من جمل نثرية متقطعة الأسطر؟
- السياب: بالموهبة، وباللغة، وبالتوتر الموسيقي الذي يشعر به القارئ داخل النص.
- الوادي: إذن أصبحت الذائقة الشخصية هي الحكم؟ إذا قال شاعر إن نصه موسيقي، فهل علينا أن نصدقه؟
- السياب: لا، القصيدة هي التي تثبت دعواها، لا الشاعر.
- الوادي: لننتقل إلى المعنى. أنتم تدافعون عن الغموض، لكن ألا يمكن أن يكون الغموض مجرد ستار يخفي فقر الفكرة وضعف التعبير؟
- السياب: يمكن، ولذلك ليس كل غموض شعراً.
- الوادي: بل أكثر من ذلك: حين يصبح القارئ مطالباً بتأويل عشرات الرموز والأساطير، ألا تتحول القصيدة من تجربة إنسانية إلى لغز مغلق؟
- السياب: إذا كان الرمز منفصلاً عن التجربة، نعم. أما إذا كان يضاعف معناها، فهو يفتح النص ولا يغلقه.
- الوادي: والأسطورة تحديداً؛ لماذا تستدعون الماضي لتكتبوا الحاضر؟ أليس في ذلك تناقض مع دعوى الحداثة والقطيعة؟
- السياب: أنا لا أستعمل الماضي كما هو؛ أعيد خلقه ليكشف الحاضر.
- الوادي: لكنك بهذا لا تتحرر من التراث، بل تجعله شرطاً لفهم قصيدتك. فأين الحداثة إذا كان القارئ مضطراً إلى معرفة الأسطورة القديمة حتى يفهم مأساة الإنسان الحديث؟
- السياب: الحداثة ليست محو الذاكرة، بل إعادة استخدامها بطريقة جديدة.
- الوادي: إذن أنت لا تهدم التراث كما توحي الحداثة؛ أنت تعيد تركيبه. أليس معنى ذلك أن التراث أقوى مما تتصورون؟

- السياب: ربما؛ فالحداثة التي لا تعرف ماضيها تتحول إلى نزوة عابرة.
- الوادي: هنا أختلف معك جذرياً: أرى أنكم لم تحرروا الشعر من السلطة، بل استبدلتم سلطة الحداثة بسلطة الخليل، وأصبح الشاعر مطالباً بأن يكون غامضاً، رمزياً، متمرداً، وإلا اتهم بأنه تقليدي.
- السياب: إذا كانت الحداثة تتحول إلى قواعد إلزامية، فهي تفقد معناها.
- الوادي: هذا هو تناقضي معك: مشروعكم بدأ بالثورة على القواعد، ثم صنع قواعد جديدة باسم الثورة.
- السياب: ربما تكون مهمتك أنت الآن أن تثور على هذه القواعد أيضاً.
- الوادي: إذن أستطيع أن أكون حداثياً برفض حداثتك نفسها؟
- السياب: إذا كان رفضك نابعاً من رؤية حقيقية لا من الحنين إلى الماضي، نعم.
- الوادي: عندها تصبح الحداثة أخطر مما ظننت؛ لأنها لا تمنحنا شكلاً جديداً فقط، بل تجبرنا على الشك حتى في الشكل الجديد.
- السياب: الآن فقط بدأت تفهمها؛ الحداثة الحقيقية ليست أن تتبعني، بل أن تملك الشجاعة الكافية لكي تعارضني.

عبد المجيد فنيش



- الوادي: أستاذ فنيش، قضيت عمراً تتحدث عن المسرح المغربي. ألا تخشى أنك أصبحت تعرف عنه أكثر مما يشاهده الجمهور؟
- فنيش: المعرفة ليست تهمة.
- الوادي: تصبح كذلك حين تتحول إلى بديل عن الخشبة. نحن نكتب عن المسرح أكثر مما نصنع المسرح.
- فنيش: من قال إن الكتابة عن المسرح ليست جزءاً من صناعته؟
- الوادي: حين يدخل المتفرج إلى القاعة لا يرى المقالات ولا الندوات ولا الجوائز. يرى أجساداً أمام جسده. إن لم يرتجف، فقد فشل كل شيء.
- فنيش: المسرح ليس جهازاً لقياس الارتجاف.
- الوادي: لكنه ليس مقبرة محترمة أيضاً. لماذا يبدو جزء من مسرحنا كأنه يطلب من الجمهور أن يحترمه بدل أن يزعجه؟
- فنيش: لأنك تختزل المسرح في الصدمة.

- الوادي: وأنتم تختزلونه أحياناً في الوقار.
- فنيش: الوقار ليس عيباً.
- الوادي: قد يكون كارثة في المسرح. المسرح ولد قليل الأدب؛ يسخر من الملك والمتسول والشيخ والمثقف ومن نفسه. متى صار علينا أن ندخل إليه بعد أن نخلع أحذيتنا؟
- فنيش: حين يفقد المسرح ذاكرته يتحول إلى ضجيج.
- الوادي: وحين يفرط في ذاكرته يتحول إلى متحف.
- فنيش: أتريد منا أن نحرق التراث؟
- الوادي: بالعكس. أريد أن نحرق بخور التراث. الملحون والحلقة والحكواتي والطقوس الشعبية ليست قطع أثاث نضعها فوق الخشبة ونقول: أُنظروا، هذا مغربي.
- فنيش: التراث أعمق من ذلك بكثير.
- الوادي: إذن لماذا يستعمله بعض المسرحيين كجواز سفر ثقافي؟ طربوش هنا، بندير هناك، لازمة ملحونية، ثم يقال لنا: ها هي الهوية.
- فنيش: أنت تحاكم تجارب كاملة من خلال نماذج رديئة.
- الوادي: أنا أسألك عن الخطر لا عن النماذج. ألا يصبح التراث أحياناً طريقة مهذبة للهروب من الحاضر؟ نتحدث عن الحلقة حتى لا نتحدث عن الإنسان الذي لم يعد يجد حلقة يجلس فيها. نستحضر الحكواتي حتى لا نسأل لماذا لم يعد أحد يريد سماع الحكاية. نستدعي الملحون بينما الشاب في الصف الأخير يحدق في هاتفه.
- فنيش: وماذا تريد؟ أن نجعل المسرح فيديو من ثلاثين ثانية؟
- الوادي: لا. أريد أن يكون أقوى من الثلاثين ثانية.
- فنيش: هذه مسؤولية جيلكم أيضاً.
- الوادي: عندما يعجز جيل الرواد يقول للشباب: الكرة في ملعبكم. وعندما يغير الشباب قواعد اللعب تقولون: أين الأصول؟
- فنيش: لأن التجديد لا يعني الجهل بما سبق.

- الوادي: صحيح. لكن بعض الرواد يريدون من الشاب أن يعرف ما سبق، ويقلده، ويحترمه، ثم يسمون ذلك تجديداً.
- فنيش: أنا لم أقل ذلك.
- الوادي: هل انتهت الاحتفالية؟
- فنيش: الأفكار الحقيقية لا تنتهي بهذه البساطة.
- الوادي: هل تحولت الاحتفالية من تمرد على المسرح السائد إلى مؤسسة لها شيوخها ونصوصها المقدسة وذاكرتها التي تدافع عن نفسها؟
- فنيش: كل تجربة تعيش طويلاً تصبح لها ذاكرة.
- الوادي: والذاكرة أول خطوة نحو السلطة.
- فنيش: ونسيان الذاكرة أول خطوة نحو الفراغ.
- الوادي: إذن نحن بين سلطتين: سلطة الماضي وفراغ المستقبل.
- فنيش: وبينهما المسرح.
- الوادي: لا، بينهما الممثل. هو الذي يدفع الثمن. المؤلف ينظر، المخرج يشرح، الناقد يؤول، والممثل يقف عارياً أمام الفشل.
- فنيش: لذلك ظل الممثل جوهر المسرح.
- الوادي: لكننا خنقناه بالإخراج، وبالسينوغرافيا، وبالمفاهيم.
- فنيش: أحياناً.
- الوادي: إذن ماذا بقي له؟
- فنيش: أن يتمرد.
- الوادي: المسرح المغربي مليء بالتكريمات. لماذا نكرم المسرحيين أكثر مما نشاهد أعمالهم؟
- فنيش: لأن التكريم اعتراف.
- الوادي: أم تعويض؟
- فنيش: تعويض عن ماذا؟
- الوادي: عن قاعات لم تمتلئ، ونصوص لم تقرأ، وعروض ماتت بعد ثلاث ليال، وفنانين لا نتذكرهم إلا عندما يرحلون. هل المهرجانات أنقذت المسرح المغربي أم أخفت مرضه؟

- فنيش: الاثنان ممكنان. المهرجان قد يمنح العرض حياة، وقد يصنع وهماً بالحياة.
- الوادي: نلتقط الصور، نكتب: نجاح باهر، نتبادل الدروع، ثم تطفأ الأنوار ولا يسأل أحد أين ذهب الجمهور؟
- فنيش: الجمهور ليس بريئاً أيضاً.
- الوادي: لا تلم الجمهور.
- فنيش: لماذا يكون الفنان وحده متهماً؟
- الوادي: لأنني لا أستطيع إجبار الناس على أن تحب مسرحيتي.
- فنيش: ولا يمكنني أن أصنع ذائقته وحدي.
- الوادي: إذن من المسؤول؟
- فنيش: الجميع.
- الوادي: هذه الكلمة أكبر مقبرة للمسؤولية. بعد كل هذه العقود، ماذا غير المسرح فعلاً؟
- فنيش: غير أشخاصاً.
- الوادي: كم؟
- فنيش: لا أعرف.
- الوادي: إذن ربما بالغنا كثيراً في الحديث عن رسالة المسرح.
- فنيش: ربما.
- الوادي: ربما؟
- فنيش: الفنان الذي يملك أجوبة نهائية ينبغي أن يغادر المسرح. المسرح يبدأ عندما تسقط الإجابة.
- الوادي: سؤال أخير: لو دخل شاب الآن وقال لك: كل ما فعلتموه لم يعد يكفيني، ماذا تقول له؟
- فنيش: أقول له: الحمد لله.
- الوادي: لن تغضب؟
- فنيش: أغضب إذا قال: سأكرر ما فعلتموه.
- الوادي: وإن قال: سأهدمه؟
- فنيش: أسأله: ماذا ستبني؟

- الوادي: وإن قال: لا أعرف؟
- فنيش: عندها أفتح له باب المسرح. الذي لا يعرف بعدُ... هو الوحيد الذي ما زال قادراً على الاكتشاف.
- الوادي: ربما كانت مشكلتنا أننا عرفنا المسرح أكثر مما ينبغي.
- فنيش: لا. مشكلتنا أننا توهمنا أننا عرفناه.
- الوادي: هذه أسوأ بكثير. إذن لنسقط الستار.
- فنيش: الستار يسقط في العروض الميتة فقط.
- الوادي: وفي العروض الحية؟
- فنيش: يسقط المتفرج من يقينه.

العربي بنجلون



- الوادي: سي بنجلون، قضيت عقوداً تكتب للطفل، فمن أعطاك الحق في الكلام باسمه؟
- بنجلون: لم أتكلم باسمه. حاولت أن أكتب له.
- الوادي: أنت الكبير الذي يختار الموضوع، والقيمة، واللغة، والنهاية، ثم تقول: هذا مناسب للطفل. أليست هذه وصاية مقنعة بالأدب؟
- بنجلون: كل كتابة اختيار، حتى الكتابة للكبار. المشكلة ليست في أن تختار، بل في أن تعرف لمن تكتب.
- الوادي: هنا بالضبط تبدأ سلطتك. أنت تنتقد من يكتبون للطفل لأنهم لا يعرفون نفسيته ولا لغته. من قال إن بنجلون يعرف الطفل؟ هل لأنك كنت معلماً، أم لأنك كتبت له كثيراً؟ كثرة الكتابة لا تمنح صاحبها شهادة في الطفولة.
- بنجلون: طبعاً لا. المعرفة بالطفل ليست شهادة تمنح مرة واحدة. إنها إصغاء وتجربة ومتابعة.

- الوادي: ولكن ألا يتحول الإصغاء أحياناً إلى كلمة أنيقة نخفي بها حقيقة أننا نحن الذين نتحدث طوال الوقت؟
- بنجلون: لهذا ينبغي للكاتب أن يراجع نفسه باستمرار.
- الوادي: تنتقد تحويل أدب الطفل إلى تجارة، وقلت إن الطفل صار عند بعض الناشرين والمنتجين مجالاً للربح. لكن أليست كثرة الإنتاج نفسها سوقاً؟ حين يصبح للكاتب رصيد ضخم من كتب الأطفال، يحق لي أن أسأله: هل كنت تكتب لأن النص يلح عليك، أم لأن المطبعة تنتظر الكتاب التالي؟
- بنجلون: الكم لا يدين صاحبه. هناك من يكتب كثيراً ويبقى جيداً، وهناك من يكتب قليلاً ولا يضيف شيئاً.
- الوادي: ألا يمكن أن تتحول غزارة الإنتاج إلى مصنع صغير للقيم الجاهزة؟ طفل صالح، طفل مهذب، طفل يحب الوطن، طفل يسمع النصيحة... حتى يصبح الطفل في الكتاب أكثر طاعة من الطفل في الحياة؟
- بنجلون: إذا حدث ذلك فنحن أمام درس أخلاقي لا أمام أدب.
- الوادي: هل أنت متأكد أنك نجوت دائماً من هذا الفخ؟
- بنجلون: لا يوجد كاتب جاد يستطيع أن يقول إنه نجا دائماً.
- الوادي: تقول إن الطفل يحب القصة، وإن الصراع يشده إليها. لكن كثيراً من أدب الأطفال العربي يخاف من الصراع الحقيقي: يخاف من الطفل الغاضب، والطفل الذي يكذب، والذي يكره المدرسة، والذي يشك في كلام أبيه، والذي يرفض أن يكون نموذجياً. لماذا نقدم له طفولة مصفاة؟
- بنجلون: لأن بعض الكتاب يكتبون صورة الطفل الذي يريدونه، لا الطفل الموجود فعلاً.
- الوادي: وهل الأدب التربوي قادر أصلاً على احتمال طفل يقول للكبير: أنت مخطئ؟
- بنجلون: ينبغي أن يكون قادراً.

- الوادي: الطفل في الحياة يصرخ، أما الطفل في كتبنا فيتعلم الحكمة في الصفحة الأخيرة!
- بنجلون: هذه إحدى مشكلات الكتابة التي تتحول إلى وعظ.
- الوادي: إذن أخطر عدو لأدب الطفل ليس التاجر، بل المربي الذي يلبس قناع الأديب.
- بنجلون: حين يقتل المربي الخيال لصالح العبرة، نعم.
- الوادي: دافعت أيضاً عن الهوية الثقافية للطفل في مواجهة ما رأيته تأثيرات وافدة. لماذا حين يصل الكبار إلى الطفل يحيطونه فوراً بأسلاك شائكة اسمها "الهوية"؟
- بنجلون: الهوية ليست سجناً.
- الوادي: قد تصبح سجناً إذا عرّفها الكبار نيابة عن الصغار. الطفل اليوم يشاهد الياباني، ويلعب لعبة أمريكية، ويسمع أغنية كورية، ويتحدث الدارجة، ويدرس العربية والفرنسية وربما الإنجليزية. ثم يأتي الكاتب ليقول له: سأحمي هويتك. من طلب منك الحماية؟
- بنجلون: المقصود ألا يفقد جذوره.
- الوادي: لماذا نفترض أن الجذور نقيض الأجنحة؟
- بنجلون: ليست نقيضها.
- الوادي: إذن ربما كان واجب الأدب ألا يحرس هوية الطفل، بل أن يسمح له بأن يصنعها.
- بنجلون: إذا كان الصنع لا يعني الاقتلاع.
- الوادي: ها أنت تعود حارساً عند الباب! قلت في أكثر من مناسبة إن الكتاب يظل مركزياً، وإن الوسائط الحديثة يمكن أن تكون مكملة له. أليس في هذا شيء من حنين جيل ورقي يريد من طفل الشاشة أن يعيش طفولته هو؟
- بنجلون: الكتاب لا يصبح قديماً لأن الشاشة ظهرت.
- الوادي: بالتأكيد. ولكن الشاشة أيضاً ليست انحطاطاً لأنها لم تكن موجودة في طفولتنا.

- بنجلون: لم أقل ذلك.
- الوادي: لكن حين نجعل الكتاب الأصل، وغيره مكملاً، فنحن رتبنا العالم قبل أن نسأل الطفل كيف يراه.
- بنجلون: ربما ينبغي اليوم إعادة التفكير في العلاقة بين الوسائط.
- الوادي: هذا جواب أحبّه أكثر من عبارة: الكتاب خير جليس. كتبت في النقد، والسيرة، والقصة، والرحلة، وأدب الطفل، لكن ألا يظلمك لقب "كاتب الأطفال"؟
- بنجلون: التصنيفات تختصر التجارب.
- الوادي: أم أن أدب الطفل نفسه صار عندنا غرفة جانبية في بيت الأدب؛ إذا دخله الكاتب أغلقنا عليه الباب؟
- بنجلون: هذه نظرة موجودة للأسف.
- الوادي: هل احتميت أنت أيضاً بأدب الطفل؟ إنه مجال يمنح صاحبه هالة أخلاقية جاهزة؛ لا أحد يريد أن يبدو عدواً للطفولة.
- بنجلون: إن كان الكاتب يبحث عن الهالة فلن تنقذه الطفولة.
- الوادي: ولكنه قد ينجو من النقد. الناقد يتردد في أن يقول عن كتاب طفل إنه رديء حتى لا يبدو كأنه يهاجم الرسالة النبيلة.
- بنجلون: هذه مجاملة تسيء إلى أدب الطفل أكثر مما تخدمه.
- الوادي: قلت سابقاً إن العالم العربي انشغل بالنظريات الجاهزة، بينما أصل المسألة هو الإنسان وتكوينه. أليست كلمات مثل "الهوية" و"الأصالة" و"القيم" و"التربية" هي أيضاً نظريات جاهزة حين نضعها فوق رأس الطفل؟
- بنجلون: تصبح جاهزة إذا توقفت عن مساءلتها.
- الوادي: إذن عليك أن تسمح للطفل بأن يسخر منها أيضاً.
- بنجلون: من حقه أن يسأل.
- الوادي: لا، لم أقل يسأل. قلت يسخر.
- بنجلون: حتى السخرية حق إذا كانت نابعة من وعي.
- الوادي: ها أنت تشترط عليه الوعي كي تمنحه حق السخرية! الطفل سيضحك أولاً، ثم يترك لك أنت مهمة البحث عن الوعي.

مؤخراً قلت إن الأدب والفن لا يستطيعان وحدهما إيقاف الحروب والكوارث، وإن قدرتهما محدودة أمام الأزمات الكبرى. إذا كنت تعرف أن الأدب عاجز إلى هذا الحد، فلماذا نحمله كل هذه الوظائف التربوية؟

- بنجلون: محدودية الأدب لا تعني انعدام أثره.

- الوادي: حين نريد الدفاع عن الأدب نقول إنه يغير الإنسان، وحين نسأله لماذا لم يغير العالم نقول: ماذا يستطيع الأدب أن يفعل؟

- بنجلون: الأدب لا يوقف الرصاصة، لكنه قد يصنع إنساناً يرفض إطلاقها.

- الوادي: وقد يقرأ مطلق الرصاصة الروايات أيضاً.

- بنجلون: طبعاً.

- الوادي: إذن لنكف عن صناعة القديس من الكاتب، ومن القارئ، ومن الطفل.

- بنجلون: معك.

- الوادي: حين يكون الكاتب ناقداً أيضاً، ألا يقع في ورطة؟ يكتشف حيل الكتابة عند الآخرين، ثم يجلس ليكتب وكأنه لا يعرفها.

- بنجلون: النقد لا يلغي الإبداع.

- الوادي: لكنه يجعلك تمسك بالمشرط وأنت المريض والجراح معاً.

- بنجلون: هذه متعة الكتابة ومأساتها.

- الوادي: ألا تخشى أن يكون الناقد في داخلك قد روّض المبدع؟

- بنجلون: أخشى العكس أيضاً: أن يخدع المبدعُ الناقدَ.

- الوادي: بعد كل هذه السنوات، ألا تشعر أن الكاتب حين يطول به العمر يبدأ الآخرون في الاحتفاء به أكثر مما يقرأونه؟

- بنجلون: يحدث ذلك لكثير من الكتاب.

- الوادي: يصبح اسمه في الندوات أكبر من نصه على الطاولة.

- بنجلون: الكاتب الحقيقي يريد أن يُقرأ.
- الوادي: إذن التكريم قد يكون أحياناً طريقة مهذبة لإحالة الكاتب على التقاعد.
- بنجلون: إذا تحول التكريم إلى بديل عن القراءة، نعم.
- الوادي: أخشى عليك من صفة "الرائد".
- بنجلون: لماذا؟
- الوادي: لأنها أجمل شاهد قبر اخترعته المؤسسات الثقافية.
سؤال أخير: من يحتاج اليوم إلى الحماية أكثر: الطفل من تجار أدب الطفل، أم أدب الطفل من الكتّاب الذين يتعاملون مع الطفل باعتباره كائناً ناقصاً ينتظر أن يكملوه؟
- بنجلون: ربما يحتاج الطفل إلى الحماية من الاثنين.
- الوادي: نسيت الثالث.
- بنجلون: من؟
- الوادي: الكاتب الذي يحبه أكثر مما يصغي إليه.
- بنجلون: الحب الذي لا يصغي شكل آخر من أشكال الوصاية.
- الوادي: إذن لو جاءك طفل اليوم، ورمى أحد كتبك جانباً، وقال لك: هذا لا يشبهني.
- بنجلون: سأطلب منه أن يقول لي لماذا.
- الوادي: وإذا قال: لا أريد أن أشرح لك؟
- بنجلون: سأقبل.
- الوادي: عندها فقط يكون الطفل قد خرج من كتابك.
- بنجلون: وإلى أين يذهب؟
- الوادي: إلى نفسه.
- بنجلون: ربما كانت تلك أفضل نهاية يمكن أن يكتبها له كاتب.

عبد الحق الزروالي



- الوادي: سي الزروالي، هل اخترت المسرح الفردي لأنك تؤمن به فعلاً، أم لأنك لا تحتمل أن يشاركك أحد مركز الخشبة؟
- الزروالي: لو كنت أبحث عن المركز فقط، لاخترت طرقاً أسهل من المسرح. المسرح الفردي ليس تاجاً أضعه على رأسي، بل امتحان أقف فيه وحيداً أمام الجمهور، بلا ممثل آخر أختبئ خلفه.
- الوادي: لكنك حولت الوحدة من امتحان إلى هوية. كلما ذكر اسمك ذكر الرجل الوحيد فوق الخشبة. ألم تصنع لنفسك مملكة لا تسمح بدخول ممثل ثانٍ إليها؟
- الزروالي: متى أصبح التفرد تهمة؟
- الوادي: عندما تحول الاختيار الفني إلى عقيدة. أخشى أنك لم تعد تمارس المسرح الفردي، بل أصبحت تدافع عن أسطورة اسمها عبد الحق الزروالي.
- الزروالي: كل فنان يراكم أسطورته بطريقة ما.
- الوادي: إذن تعترف بالأسطورة؟

- الزروالي: أعترف بالتراكم، لا بالوثن.
- الوادي: لكن الوثن يبدأ بالتراكم. خمسون سنة من الوقوف وحدك قد تجعل الفنان يعتقد أنه لم يعد يحتاج إلى أحد.
- الزروالي: لقد احتجت دائماً إلى أهم عنصر في المسرح: الجمهور.
- الوادي: الجمهور لا ينافسك في الأداء، ولا يصحح لك جملة، ولا يقول لك أثناء التدريب: أنت مخطئ. أنا أتحدث عن الشريك الفني.
- الزروالي: وجود الشريك لا يضمن الحوار. كم من عروض فيها عشرون ممثلاً، وكل واحد منهم بمفرده.
- الوادي: وكم من مونودراما فيها ممثل واحد يتكلم ساعتين ولا يسمع إلا نفسه.
- الزروالي: تلك مشكلة الفنان لا المونودراما.
- الوادي: ألم تقع أحياناً في غواية سماع صوتك أكثر من سماع العالم؟
- الزروالي: كل فنان حقيقي يجب أن يعترف بأن الغرور يتربص به.
- الوادي: لغتك قوية، فصيحة، تراثية، ساخرة، لكن ألا تخشى أنك أحياناً تخطب بدل أن تمثل؟
- الزروالي: المسرح منذ بداياته يحمل الخطابة.
- الوادي: ويحمل الصمت أيضاً. أنت رجل ممتلئ بالكلام إلى درجة أنني أتساءل: هل تستطيع أن تقف خمس دقائق فوق الخشبة بلا كلمة؟
- الزروالي: إذا اقتضى العرض ذلك.
- الوادي: هل تستطيع أن تتنازل عن أجمل ما تملك: اللغة؟
- الزروالي: التنازل عن الأداة ليس فضيلة في ذاته.
- الوادي: لكنه اختبار. أحياناً تصبح القوة قيداً. قد يكون جمال عبارتك هو سجانك.

- الزروالي: وقد يكون فقر العبارة هو حرية مزيفة.
- الوادي: أريد أن أعرف إن كنت ما زلت ممثلاً أم أصبحت خطيباً يرتدي المسرح.
- الزروالي: وأنا أسألك: لماذا أصبح التفكير فوق الخشبة شبهة؟ حين يصرخ الممثل ويقفز نصف عارٍ تقولون: تجريب. وحين يتكلم بلغة لها ذاكرة تقولون: خطابة!
- الوادي: ليس اعتراضاً على الفكر، بل على احتكاره للحياة. المسرح جسد أيضاً، ضعف، اِرتباك، قذارة، تلعثم. أحياناً تبدو شخصياتك وكأنها تعرف أكثر مما ينبغي.
- الزروالي: لأنني لا أحتقر المتفرج.
- الوادي: وربما تطلب منه أكثر مما يستطيع.
- الزروالي: تلك مسؤوليته.
- الوادي: هنا أختلف معك جذرياً. الفنان الذي يقول إن عدم الفهم مسؤولية الجمهور يقترب من الاستعلاء.
- الزروالي: وأنا أرفض أن أسطّح عملي حتى يفهمه الجميع.
- الوادي: من قال إن الوضوح تسطيح؟ الجملة البسيطة قد تكون أعمق من مجلد.
- الزروالي: صحيح.
- الوادي: إذن لماذا أشعر أحياناً أنك تحب أن يعرف الجمهور أنك قرأت أكثر منه؟
- الزروالي: إذا ظهر ذلك في بعض الأعمال، فهو ضعف ينبغي الاعتراف به. الثقافة عندما تتحول إلى استعراض تفقد قيمتها.
- الوادي: قلت في مناسبات مختلفة كلاماً قاسياً عن تراجع الثقافة والخلط بين المثقف والمتعلم. لكن ألا ترى أن في هذه النظرة حنيناً إلى زمن مثالي لم يوجد أصلاً؟
- الزروالي: لم أقل إن الماضي كان جنة.
- الوادي: لكن جيلكم كثيراً ما يتحدث وكأن الثقافة ماتت بعده.
- الزروالي: لأنها فقدت شيئاً من هيبتها.

- الوادي: أم أنكم فقدتم أنتم احتكار الهيبة.
- الزروالي: ماذا تقصد؟
- الوادي: اليوم شاب يحمل هاتفاً قد يصل إلى مليون شخص. لم يعد ينتظر الأستاذ أو المسرحي أو الشاعر كي يمنحه شرعية الكلام. ربما ما تسمونه "انهيار الثقافة" هو في جزء منه انهيار سلطة المثقف القديم.
- الزروالي: الوصول إلى مليون شخص لا يصنع ثقافة.
- الوادي: والوقوف خمسين سنة فوق الخشبة لا يمنح حصانة من النقد.
- الزروالي: لم أطلب حصانة.
- الوادي: أنت تنتقد المؤسسات والسياسات الثقافية منذ سنوات. ماذا لو كان الفنان المغربي قد بالغ في تعليق فشله على شماعة الدولة؟
- الزروالي: الدولة مسؤولة عن سياستها الثقافية.
- الوادي: والفنان؟
- الزروالي: مسؤول عن عمله.
- الوادي: الفنان مسؤول أيضاً عن الجمهور الذي خسره. حين تفرغ القاعات لا يمكن أن نقول دائماً إن التلفزيون وكرة القدم والوزارة والجمهور مذنبون. ربما المسرح نفسه أصبح مملاً.
- الزروالي: نعم، بعض المسرح أصبح مملاً.
- الوادي: وبعض مسرحك؟
- الزروالي: ربما قدمت ما لم يكن في مستوى ما كنت أطمح إليه.
- الوادي: ها قد سقط التمثال.
- الزروالي: أنا لم أضع نفسي فوق قاعدة حجرية.
- الوادي: كل فنان كبير يبني الناس حوله تمثالاً، والخطر أن يبدأ هو نفسه في تصديقه. هل صدقته يوماً؟
- الزروالي: أحياناً.
- الوادي: ومتى اكتشفت أنه كاذب؟

- الزروالي: عندما ينتهي التصفيق وأجدني وحدي.
- الوادي: ها نحن نعود إلى الوحدة. ربما المونودراما لم تكن اختيارك الفني فقط. ربما كانت سيرتك النفسية أيضاً. رجل يدخل وحده، يتكلم وحده، يصارع وحده، ينحني وحده ثم يغادر وحده.
- الزروالي: لكن مئات العيون تكون أمامه.
- الوادي: ثم تنطفئ الأنوار.
- الزروالي: ستنطفئ يوماً على الجميع.
- الوادي: هل تخاف من تلك اللحظة؟
- الزروالي: أخاف أن تأتي وقد قلت كلاماً كثيراً ولم أقل ما يستحق.
- الوادي: وما الذي لم تقله بعد؟
- الزروالي: ربما الكلمة التي ظللت أبحث عنها طوال حياتي.
- الوادي: أم أنك تخشى العثور عليها؛ لأن العثور عليها يعني أن الرحلة انتهت.
- الزروالي: أنت تريد أن تجعلني خائفاً من النهاية.
- الوادي: كل فنان يخاف النهاية.
- الزروالي: لا. الفنان يخاف النهاية التي تسبقه.
- الوادي: كيف؟
- الزروالي: أن يبقى حياً ويكتشف أن فنه مات.
- الوادي: وهل سألت نفسك السؤال القاسي: هل انتهت الصيغة الزروالية؟
- الزروالي: إذا أصبحت أكرر ما فعلته بالأمس، فقد انتهت.
- الوادي: ألا ترى أنك كررت نفسك؟
- الزروالي: حدث ذلك.
- الوادي: إذن لماذا واصلت؟
- الزروالي: لأن الإنسان لا يعرف دائماً اللحظة التي يتحول فيها الوفاء لأسلوبه إلى تكرار له.

- الوادي: عبد الحق الزروالي: فنان حر أم أسير الصورة التي صنعها عن نفسه؟
- الزروالي: الاثنان.
- الوادي: مثقف يقاوم الرداءة أم مثقف يغضب لأن العالم لم يعد يصغي إلى المثقف كما كان؟
- الزروالي: الاثنان.
- الوادي: رائد المسرح الفردي أم رجل جعل الضرورة فضيلة ثم قضى عمره يدافع عنها؟
- الزروالي: الاثنان أيضاً.
- الوادي: لو عاد بك الزمن إلى البداية، هل ستختار المسرح الفردي من جديد؟
- الزروالي: نعم.
- الوادي: بعد كل هذا؟
- الزروالي: نعم.
- الوادي: لماذا؟
- الزروالي: لكي أرتكب أخطاء أخرى.
- الوادي: لا لتصحح القديمة؟
- الزروالي: الفنان الذي يعيش لتصحيح الماضي يتحول إلى موظف في أرشيف نفسه.
- الوادي: عندما يسدل الستار الأخير على عبد الحق الزروالي، ماذا تريد أن يبقى؟ النصوص؟ العروض؟ الاسم؟ الأسطورة؟
- الزروالي: ولا واحد منها.
- الوادي: ماذا إذن؟
- الزروالي: أن يتذكر شخص واحد، في مكان ما، أنه خرج ذات ليلة من عرض لي وهو أقل اطمئناناً إلى أفكاره مما دخل.
- الوادي: أي أنك لا تريد متفرجاً يصفق؟
- الزروالي: التصفيق ينتهي عند باب المسرح.
- الوادي: وماذا تريد منه أن يحمل؟

- الزروالي: سؤالاً.
- الوادي: أي سؤال؟
- الزروالي: هل ما أعيشه حقيقة أم عرض طويل أتقنتُ فيه دوري حتى نسيت أنني أمثل؟
- الوادي: الآن فقط يمكن أن نطفئ الضوء.
- الزروالي: لا تطفئه.
- الوادي: لماذا؟
- الزروالي: لأن المسرح يبدأ بالضبط عندما يظن الجميع أنه انتهى.

المهدي المنجرة



- الوادي: أستاذ المنجرة، ألم تكن في جزء كبير من مشروعك الفكري تبيع الخوف من المستقبل؟
- المنجرة: لو كنت أبيع الخوف لكنت أكثر ثراءً وأقل إزعاجاً. الخوف تجارة السلطة، أما الاستشراف فوظيفته أن يمنع المفاجأة.
- الوادي: لكنك كنت تتحدث عن الأزمات والحروب والتبعية والانفجارات الاجتماعية حتى بدا المستقبل عندك كأنه جنازة قائمة على الدوام.
- المنجرة: أنت تريد من الطبيب أن يهنئ المريض على لون قميصه بدل أن يخبره بالورم.
- الوادي: ربما الطبيب مصاب بهوس التشخيص.
- المنجرة: وربما المريض مصاب بهوس الإنكار.
- الوادي: نحن بارعون في اتهام الغرب. إستعمار، هيمنة، عولمة، مؤسسات مالية، تبعية... متى نتوقف عن تعليق فشلنا على مشجب الخارج؟
- المنجرة: يوم نتوقف عن تقديم كتفنا لذلك المشجب.
- الوادي: تعترف إذن بأن المسؤولية محلية؟

- المنجرة: لم أقل يوماً إن شعوب الجنوب بريئة من مسؤولياتها التاريخية. الهيمنة الخارجية لا تعمل في الفراغ. تحتاج إلى وسيط محلي، وإلى نخبة تجد في التبعية منفعة، وإلى منظومة تعليم تنتج منفذين أكثر مما تنتج عقولاً مستقلة.
- الوادي: لكن خطاب "الاستعمار الجديد" أصبح أحياناً مخدراً. كلما أخفقنا قلنا: الإمبريالية.
- المنجرة: من يستعمل الاستعمار عذراً لكسله لا يقل خطراً عمن ينكر وجود علاقات القوة العالمية.
- الوادي: بمعنى؟
- المنجرة: لا تكن عبداً ثم تتباهى بأنك اكتشفت اسم سيدك. معرفة السيد لا تحررك. بناء القدرة هو الذي يحررك.
- الوادي: تحدثت كثيراً عن العولمة بوصفها خطراً على القيم والاستقلال. لكن أليست العولمة هي التي أتاحت المعرفة والتكنولوجيا والتواصل؟
- المنجرة: لا أعارض التواصل بين البشر. أعترض حين يسمى اختلال القوة "تواصلاً"، وحين يسمى فرض النموذج الأقوى "كونية ".
- الوادي: لكنك تستعمل مفاهيم أنتجتها جامعات غربية درست فيها، وعملت في مؤسسات دولية. أليس في الأمر تناقض؟
- المنجرة: أنت تخلط بين المعرفة والتبعية. أتعلم من الآخر كي أقوى، لا كي أختفي فيه.
- الوادي: ولكن ثقافة كاملة يمكنها أن تختبئ خلف كلمة "الخصوصية" لأنها تخاف النقد.
- المنجرة: صحيح. والقيم ليست متحفاً. الثقافة التي لا تستطيع مساءلة نفسها تتحول إلى فلكلور.
- الوادي: إذن الحداثة ليست عدواً؟
- المنجرة: الجهل هو العدو. والاستلاب عدو. أما الحداثة فليست جنسية يحملها الغرب وحده في جيبه.

- الوادي: ألا تصبح كلمة "القيم" أحياناً صندوقاً أسود نضع فيه كل ما نعجز عن قياسه؟
- المنجرة: الاقتصاد بلا قيم يستطيع أن يخبرك بثمن الإنسان، لكنه يعجز عن معرفة قيمته.
- الوادي: هذا الكلام لن يبني مصنعاً.
- المنجرة: المصنع الذي يبنى بلا إنسان ماذا يصنع غير العبودية الحديثة؟
- الوادي: سيارات مثلاً.
- المنجرة: وهل التنمية عدد السيارات أم قدرة الإنسان على اختيار الطريق الذي تسير فيه؟
- الوادي: هذا خيال شاعر.
- المنجرة: أحياناً يحتاج الاقتصادي إلى قليل من الشعر حتى لا يتحول البشر في جداولِه إلى كسور عشرية.
- الوادي: ترفع الإنسان كثيراً حتى يصبح مفهوماً فضفاضاً. نحن نحتاج وظائف، استثمارات، طرقاً، مصانع.
- المنجرة: ومن قال غير ذلك؟
- الوادي: خطابك يوحي بأن النمو الاقتصادي مشبوه.
- المنجرة: النمو وسيلة. عندما يتحول إلى غاية يبدأ الاقتصاد في أكل المجتمع.
- الوادي: وماذا تفعل دولة فقيرة؟ تتأمل القيم؟
- المنجرة: تستثمر أولاً في الإنسان الذي سيصنع الثروة. التربية، البحث، المعرفة، الصحة، الكفاءة. كنت أصر على مركزية الموارد البشرية لأن التنمية التي لا تجعل الإنسان غاية ووسيلة تبقى ناقصة.
- الوادي: لماذا كل هذا التضخيم؟ كل مفكر عربي عندما يعجز عن الحل يقول: أصلحوا التعليم.
- المنجرة: لأن كل سياسي فاشل يقول: المشكلة في المدرسة، ثم يرسل أبناءه إلى مدرسة أخرى.

- الوادي: هل فشل التعليم مسألة سياسية فعلاً، أم أننا نستعمل السياسة ذريعة لضعف المدرس والمناهج؟
- المنجرة: المدرسة لا تعيش في جزيرة. عندما لا يعرف المجتمع أي مواطن يريد، كيف سيعرف أي مدرسة يريد؟
- الوادي: نريد مواطناً ناجحاً.
- المنجرة: ناجحاً في ماذا؟ في الامتحان؟ في الطاعة؟ في الهجرة؟ في استهلاك ما يصنعه الآخر؟
- الوادي: أنت تعقد غير المعقد.
- المنجرة: وأنتم تبسطون المعقد حتى يموت بين أيديكم.
- الوادي: ما هو المواطن الذي تريده أنت؟
- المنجرة: إنسان يستطيع أن يقول لا؛ لأنه يعرف لماذا يقولها، ويستطيع أن يقول نعم دون أن يكون قد تلقى الأمر.
- الوادي: إذن المدرسة عندك مصنع للتمرد؟
- المنجرة: مصنع للسؤال.
- الوادي: السلطة لا تحب السؤال؟
- المنجرة: السلطة الرشيدة تحتاجه، والسلطة الهشة تخافه.
- الوادي: يمكن أن يصبح هذا شعاراً مريحاً للمثقفين: نحن نسأل، إذن نحن أبطال.
- المنجرة: المثقف الذي يكتفي بالسؤال كي يستعرض شجاعته لا يختلف كثيراً عن السلطة التي تكتفي بالجواب كي تستعرض قوتها، والذي لا يحتمل القسوة النقدية ينبغي أن يبحث عن وظيفة في العلاقات العامة.
- الوادي: هل المثقف العربي جزء من المشكلة؟
- المنجرة: أي مثقف؟
- الوادي: الذي يكتب عن الحرية نهاراً ويجلس إلى مائدة السلطة ليلاً.
- المنجرة: هذا ليس اكتشافاً عربياً. للسلطة دائماً كتابها.
- الوادي: وأنت؟ ألم تعمل بدورك داخل مؤسسات كبرى؟

- المنجرة: العمل داخل المؤسسة ليس تهمة. السؤال: هل تدخل المؤسسة لتغيرها أم تدخل فتغيرك؟
- الوادي: هل كنت دائماً نقياً؟
- المنجرة: كلمة "نقي" أخلاقية أكثر مما ينبغي. أنا إنسان اتخذ مواقف وأخطأ وأصاب. لا تصنعوا من المفكرين أصناماً ثم تشتكوا من عبادة الأصنام.
- الوادي: لقد تحولت بعد رحيلك عند البعض إلى نبي تنبأ بكل شيء.
- المنجرة: هذه إساءة إليّ. الاستشراف ليس كهانة.
- الوادي: لكنهم يقولون: قالها المنجرة منذ ثلاثين سنة!
- المنجرة: إذا اختزلوا عملاً يقوم على الاتجاهات والاحتمالات والبدائل في عبارة "تنبأ"، فقد أعادوني من الجامعة إلى خيمة العراف.
- الوادي: إذن أنت لست نبي المستقبل؟
- المنجرة: المستقبل نفسه ليس نبياً. المستقبل مجموعة إمكانات تتصارع داخل الحاضر.
- الوادي: كنت قاسياً في حديثك عن التبعية. لكن هل الاستقلال ممكن أصلاً في عالم مترابط؟
- المنجرة: الاستقلال ليس عزلة.
- الوادي: فما هو؟
- المنجرة: أن تدخل علاقة وأنت قادر على التفاوض، لا أن تدخلها طالباً الإذن.
- الوادي: لا توجد دولة مستقلة بالكامل.
- المنجرة: وأنا لم أطلب الاستقلال المطلق. أطلب القدرة على الاختيار.
- الوادي: ما معيارها؟
- المنجرة: حين تستطيع دولة أن تقول: هذا لا يخدم أولوياتنا، دون أن تخاف انهيار عالمها في صباح اليوم التالي.

- الوادي: أنت تكثر من الكلام عن الكرامة والمهانة. أليست هذه مفاهيم عاطفية أكثر منها أدوات تحليل؟
- المنجرة: من يحتقر العاطفة الاجتماعية لا يفهم التاريخ.
- الوادي: الاقتصاد أقوى.
- المنجرة: الناس قد يتحملون الفقر زمناً، لكن حين يشعرون أن الفقر مقرون بالإهانة يصبح للمسألة منطق آخر.
- الوادي: تريد القول إن الكرامة متغير سياسي؟
- المنجرة: واجتماعي واقتصادي وحضاري.
- الوادي: لكنها لا تدخل بسهولة في المعادلات.
- المنجرة: لذلك تنهار معادلات كثيرة أمام الشارع.
- الوادي: ألم تكن تمنح الشعوب براءة أخلاقية مبالغاً فيها، وهي نفسها قد تعيد إنتاج الاستبداد داخل الأسرة، والقبيلة، والعمل؟
- المنجرة: نعم، الاستبداد ليس بناية حكومية فقط. قد يكون طريقة تربية، ولغة مدير، وسلوك أب، وعقلية أستاذ.
- الوادي: إذن تغيير الحاكم لا يكفي.
- المنجرة: إذا غيرت رأس الهرم وأبقيت الهرم كما هو، فلا تنتظر معجزة هندسية.
- الوادي: وهل الديمقراطية ثقافة قبل أن تكون مؤسسات؟
- المنجرة: الاثنان معاً. الثقافة بلا مؤسسة موعظة، والمؤسسة بلا ثقافة قشرة.
- الوادي: هذا الكلام خطير، يسمح للسلطة أن تقول: الشعب غير جاهز للديمقراطية.
- المنجرة: هذه إحدى أقدم الحيل.
- الوادي: أليست صحيحة أحياناً؟
- المنجرة: من الذي يمنح شهادة الجاهزية؟ ومن الذي تخرج من كلية الديمقراطية حتى يمتحن الآخرين؟
- الوادي: ربما المجتمع يحتاج إلى تدرج.

- المنجرة: كل شيء يحتاج إلى وقت، لكن كلمة "التدرج" تصبح مشبوهة حين يكون السلم ثابتاً منذ نصف قرن.
- الوادي: هل الدفاع عن العربية مقاومة أم يمكن أن يتحول إلى انغلاق؟
- المنجرة: اللغة لا تخاف اللغات الأخرى إلا حين يضعف أهلها. أن تتعلم لغة الآخر لكي تحصل على المعرفة شيء. وأن تحتاج لغة الآخر لكي تثق في نفسك شيء آخر.
- الوادي: لكن كثيراً من العلوم تنتج بغير العربية.
- المنجرة: لهذا ينبغي أن ننتج العلم، لا أن نعقد مؤتمراً كل عام عن أزمة المصطلح.
- الوادي: هذا يعيدنا إلى البحث العلمي. هل نحن متخلفون لأننا لا ننفق على العلم، أم لا ننفق عليه لأننا متخلفون؟
- المنجرة: دائرة مغلقة، وكسر الدائرة يحتاج قراراً سياسياً وحضارياً. حين يكون الباحث أقل مكانة من مستورد التكنولوجيا، فأنت تعلن دون مرسوم أنك اخترت التبعية.
- الوادي: لكن استيراد التكنولوجيا أسرع.
- المنجرة: شراء الساعة أسرع من تعلم صناعة الساعة. لكن بعد مائة سنة ستظل تسأل البائع عن الوقت.
- الوادي: رجل درس في مؤسسات عالمية ويتحدث لشعوب تكافح من أجل الخبز، ثم يطالبها بمجتمع المعرفة!
- المنجرة: ومن قال إن الفقير لا يحتاج المعرفة؟
- الوادي: يحتاج الخبز أولاً.
- المنجرة: هذه أكبر خدعة: أن نقول للفقير اِختر بين الخبز والمعرفة، بينما يحصل الغني على الاثنين.
- الوادي: لكن الجائع لن يقرأ كتاباً في المستقبليات.
- المنجرة: صحيح. ولذلك محاربة الجوع جزء من مشروع المعرفة، لا نقيضه.
- الوادي: هل كنت متشائماً؟

- المنجرة: كنت أزعج المتفائلين الكسالى. التشاؤم أن تقول لا شيء يمكن تغييره. وأنا قضيت حياتي أتكلم عن المستقبل، فكيف أكون مؤمناً باستحالة التغيير؟
- الوادي: ربما كنت تستمتع بدور الرجل الذي يقول: حذرتكم.
- المنجرة: هذه آفة بعض المستشرفين فعلاً.
- الوادي: وأنت؟
- المنجرة: اِسأل كتبي، لا صورتي بعد الموت.
- الوادي: ما فائدة مفكر يحلل الكارثة بدقة ولا يمنع وقوعها؟
- المنجرة: وما فائدة جرس الإنذار إذا قرر سكان البيت تحطيم الجرس بدل إطفاء النار؟
- الوادي: إذن تلوم الناس مرة أخرى.
- المنجرة: لا ألومهم. أحدد حدود وظيفة الفكر. المفكر لا يملك جيشاً ولا وزارة ولا ميزانية.
- الوادي: أليس هذا هروباً؟
- المنجرة: الهروب هو أن يعدك المثقف بأنه سيغير العالم بكتاب.
- الوادي: والكتاب إذن؟
- المنجرة: قد يغير الشخص الذي سيغير جزءاً من العالم. وهذا يكفيني.
- الوادي: لو عدت اليوم، ما الذي سيفاجئك؟
- المنجرة: سرعة التكنولوجيا.
- الوادي: والذكاء الاصطناعي؟
- المنجرة: كان سيهمني سؤال واحد قبل كل الأسئلة التقنية.
- الوادي: ما هو؟
- المنجرة: من يملك المعرفة التي تدرب عليها الآلة، ومن يملك الآلة، ومن يضع القيم التي تحكم استخدامها؟
- الوادي: تعود إلى القيم دائماً.
- المنجرة: لأن آلة أسرع بلا بوصلة لا تعني أنك ستصل أسرع؛ قد تعني أنك ستضيع بسرعة أكبر.

- الوادي: هل كنت ستخاف الذكاء الاصطناعي؟
- المنجرة: أخاف الغباء الطبيعي حين يمتلك ذكاء اصطناعياً.
- الوادي: ماذا لو كانت الشعوب التي تدافع عنها لا تريد المشروع الذي تريده أنت؟ ماذا لو أرادت الاستهلاك لا الاستقلال، والراحة لا المعرفة؟
- المنجرة: ذلك اختيارها. بشرط أن يكون اختياراً فعلاً.
- الوادي: ما الفرق؟
- المنجرة: الاختيار يحتاج معرفة بالبدائل. إذا عرضت على الإنسان باباً واحداً ثم قلت إنه اختاره بحرية، فأنت تسخر من اللغة.
- الوادي: إذن من يصنع المستقبل؟
- المنجرة: من يملك القدرة على تخيل بدائل له.
- الوادي: والسياسي؟
- المنجرة: يدير الحاضر غالباً.
- الوادي: ورجل الأعمال؟
- المنجرة: يستثمر في الممكن.
- الوادي: والمثقف؟
- المنجرة: يزعج اليقين.
- الوادي: والمواطن؟
- المنجرة: إذا غاب، يصبح الجميع أوصياء عليه.
- الوادي: آخر سؤال. بعد كل كتبك ومحاضراتك وتحذيراتك، ألا تشعر بأنك خسرت أمام الواقع؟
- المنجرة: المفكر الذي يدخل في مباراة مع الواقع أحمق. الواقع لا يهزم أحداً لأنه لا يلعب.
- الوادي: إذن ماذا كنت تفعل طوال حياتك؟
- المنجرة: أحاول أن أوسع مساحة الممكن.
- الوادي: وهل اتسعت؟

- المنجرة: أنت تجلس الآن وتحاكم أفكاري بعد موتي. على الأقل لم تمت الأسئلة.
- الوادي: لكن الأجوبة لم تنقذنا.
- المنجرة: ربما لأنكم أحببتم الأجوبة أكثر مما أحببتم مسؤوليتها.
- الوادي: حسناً. إعطني جملة أخيرة بلا مجاملة، وبلا "قيم"، وبلا "استشراف"، وبلا مصطلحات كبيرة.
- المنجرة: إن لم تصنع مكانك في المستقبل، سيضعك الآخرون فيه حيث يناسبهم.
- الوادي: هذا تهديد؟
- المنجرة: لا.
- الوادي: ما هو إذن؟
- المنجرة: وصفٌ بارد لما يحدث كل يوم.
- الوادي: والنجاة؟
- المنجرة: لا تبحث عنها عندي.
- الوادي: أين إذن؟
- المنجرة: عند السؤال الذي تخاف أن تطرحه على نفسك.
- الوادي: وأي سؤال هو؟
- المنجرة: هل نحن فعلاً ضحايا المستقبل أم شركاء في صناعة المستقبل الذي نشكو منه؟

عبد الكريم الماحي



- الوادي: عبد الكريم، هل كنت زجالاً حقيقياً، أم كنت فقط رجلاً موجوعاً عرف كيف يحول جراحه إلى فرجة لغوية؟
- الماحي: وما الفرق؟ الزجال الحقيقي ليس موظفاً عند القافية. إذا لم يكن الكلام خارجاً من جرح، فمن أين سيخرج؟ من معجم؟ من ندوة؟ من شهادة تقديرية؟ أنا لم أكتب الجرح... الجرح هو الذي كتبني.
- الوادي: أليس من السهل أن يتحول الألم إلى ذريعة تعفي الشاعر من النقد؟
- الماحي: ها أنت بدأت تضع الملح. نعم، كثيرون يبتزوننا بالألم: "أنا عانيت، إذن أنا شاعر". لا. المعاناة لا تصنع شاعراً. الشارع مليء بالمتألمين، وليس كل شارع ديواناً. الفرق هو: ماذا صنعتَ من وجعك؟
- الوادي: وأنت ماذا صنعت؟
- الماحي: شوهته حتى صار جميلاً.

- الوادي: كنت خارج المؤسسات والتكتلات الزجلية، ونشرت بعض أعمالك على حسابك الخاص. هل كنت مهمشاً فعلاً، أم أنك ساهمت بنفسك في صناعة هامشك ثم اشتكيت منه؟
- الماحي: نعم، كنت مسؤولاً عن جزء من هامشي. من السهل بعد الموت أن يصنعوا لك أسطورة: "الشاعر الذي ظلمته المؤسسات". لكن الحقيقة أكثر قسوة. أحياناً كنت أرفض اليد الممدودة لأنها لم تعجبني طريقة مدها.
- الوادي: إذن لم تكن ضحية كاملة؟
- الماحي: لا أحب الضحايا الكاملين. رائحتهم تشبه البيانات النقابية. كنت ضحية أشياء، وجلاد نفسي في أشياء أخرى.
- الوادي: ولكن هناك مفارقة: ترفض المؤسسة، ثم تريد الاعتراف. أليس هذا نفاقاً شعرياً؟
- الماحي: بل تناقض إنساني. أريد أن تعترف بي المؤسسة، لكنني لا أريد أن أصبح مثلها. لن أكذب وأقول: كنت ناسكاً لا يهمني الاعتراف. كل شاعر يريد أن يسمعه أحد. حتى الذي يقول: "أكتب لنفسي" يكذب بأناقة.
- الوادي: دخلت عالم الزجل في التسعينيات، والتقيت بحميد ومحمد باطما، كما خضت تجربة غيوانية ومسرحية. هل كنت زجالاً، أم ابناً متأخراً لظاهرة الغيوان؟
- الماحي: كنت ابناً لها ثم حاولت قتل الأب.
- الوادي: قتلته؟
- الماحي: لا تماماً. الغيوان يسكنون جيلاً كاملاً. المشكلة تبدأ عندما يتحول التأثر إلى استنساخ: نفس النبرة، نفس الحكمة، نفس التصفيق. أخذت منهم النار، وحاولت ألا أسرق الدخان.
- الوادي: لماذا يصر بعض الزجالين على تقديم الدارجة كأن مجرد الكتابة بها فعل ثوري؟

- الماحي: لأن بعض الثورات رخيصة. الكتابة بالدارجة ليست بطولة. أمك تتكلم بها، البقال يتكلم بها، السكير يتكلم بها، الشرطي يتكلم بها. السؤال ليس: بأي لغة كتبت؟ السؤال: ماذا فعلت باللغة؟
- الوادي: إذن الدارجة لا تحتاج إلى من يدافع عنها؟
- الماحي: اللغة التي يعيش بها ملايين الناس لا تحتاج محامياً. تحتاج شاعراً.
- الوادي: حاولت تطويع القصيدة الزجلية والخروج بها من أسر النظم والقافية، مع الاعتماد على ثراء المعجم المغربي. لكن ألا يخفي خطاب "تحرير الزجل من القافية" أحياناً عجزاً موسيقياً؟
- الماحي: طبعاً. كما تخفي القافية أحياناً عجزاً شعرياً. هناك من لا يستطيع كتابة الموسيقى فيكسر الوزن ويسميه حداثة. وهناك من لا يستطيع كتابة الشعر فيملأ النص بالقوافي ويسميه زجلاً.
- الوادي: فأين الشعر؟
- الماحي: حين تنسى التقنية ويبقى الرجفان.
- الوادي: هل الزجل المغربي اليوم مليء بالشعراء أم بالأسماء؟
- الماحي: مليء بالميكروفونات.
- الوادي: تهرب.
- الماحي: فيه شعراء حقيقيون، وفيه من يكتبون نصاً واحداً منذ عشرين سنة ويغيرون عنوانه في كل مهرجان.
- الوادي: وأنت؟ ألم تكن أحياناً تعيد شخصية "الماحي المتمرد" نفسها؟
- الماحي: بلى. وهذه إحدى أخطاري. حين يحب الجمهور قناعك، يبدأ القناع بأكلك. يصبح مطلوباً منك أن تكون غاضباً دائماً، بوهيمياً دائماً، مجنوناً دائماً. وفي لحظة ما تقول لنفسك: هل أنا الذي أعيش حياتي أم أنني أمثل دور عبد الكريم الماحي؟
- الوادي: هناك أوصاف أطلقت عليك؛ مثل "البوهيمي" و"المجذوب"، وربطت تجربتك بالهامش والجنون. ألم تتحول هذه الصورة إلى فولكلور نقدي يحجب القصيدة نفسها؟

- الماحي: بالضبط. أسهل طريقة لقتل شاعر هي أن تصنع منه شخصية جذابة. يقولون: "كان مجنوناً، كان بوهيمياً، كان مختلفاً..." وماذا عن النص؟ اِفتحوه. شرّحوه. قولوا: هنا نجح، وهنا فشل، وهنا كرر نفسه. لا تحولوني إلى حكاية مقهى.
- الوادي: إذن أنت ضد تحويل المعاناة إلى أسطورة؟
- الماحي: بعد موت الشاعر يبدأ تجار الحنان. يظهر أصدقاء لم يروه منذ عشرين عاماً، ويكتبون: كان أخي.
- الوادي: لماذا كل هذا الماء والدم والجرح في ديوانيك: "دموع الما" و"شكون جرح الدم؟"؟ ألم تكن قاموسياً أسير الألم؟
- الماحي: ربما كنت أكتب قاموساً واحداً بأشكال كثيرة. لكن أليس لكل شاعر جرح لغوي يعود إليه؟ المشكلة ليست أن تعود إلى البئر. المشكلة أن تسحب منه الدلو نفسه كل مرة.
- الوادي: هل سحبت نفس الدلو أحياناً؟
- الماحي: نعم.
- الوادي: لو كنت أمام ناقد يقول لك: شهرة الماحي الإنسان أكبر من القيمة الجمالية لبعض نصوصه، ماذا تقول له؟
- الماحي: أقول له: إعطني النص. لا تقتلني بالعموميات. إذا وجدت نصاً رديئاً، فقل: هذا رديء، وفسر لماذا. لا يحتاج الميت إلى المجاملة.
- الوادي: ولا إلى الرحمة؟
- الماحي: الشاعر يحتاج الرحمة في حياته. بعد موته يحتاج النقد.
- الوادي: هذه أخطر جملة قلتها.
- الماحي: لأننا نفعل العكس دائماً. نقسو على المبدع حياً، ونغطيه بالورود ميتاً.
- الوادي: ما الذي كنت ستخافه أكثر: أن ينساك الناس أم أن يحولوك إلى أيقونة؟
- الماحي: أن يحولوني إلى أيقونة. النسيان موت واحد. أما الأيقونة فموت بالتقسيط.

- الوادي: لماذا؟
- الماحي: لأنهم حين يجعلونك أيقونة يتوقفون عن قراءتك. يضعون صورتك، يكتبون تحتها "الشاعر الكبير"، ثم يذهبون. أنا لا أريد وصفي بـ "الكبير". أريد واحداً يفتح نصي ويختلف معي.
- الوادي: فلنختلف إذن: ماذا لو قلت لك إن الزجل المغربي بالغ في الاحتفاء بذاته، وأن بعضه أصبح مهرجانات وتصفيقاً وأخوّة متبادلة أكثر منه مختبراً شعرياً؟
- الماحي: سأقول: لا تستعمل كلمة "بعضه" خوفاً. قل إن في المشهد مجاملات. قل إن شاعراً يصفق لشاعر اليوم كي يصفق له غداً. قل إن النص أحياناً آخر من يدخل القاعة.
- الوادي: وأنت لم تدخل هذه اللعبة قط؟
- الماحي: دخلتها أحياناً.
- الوادي: إذن كنت جزءاً مما تنتقد.
- الماحي: ومن قال إن الناقد يجب أن يكون بريئاً؟ أنا لا أتكلم من جبل. أنا في الوحل معكم.
- الوادي: ماذا أعطاك الشعر فعلياً؟
- الماحي: أخذ مني أكثر مما أعطاني.
- الوادي: إذن كان مشروعاً فاشلاً؟
- الماحي: بحساب البنك، نعم. بحساب النجاة، لا.
- الوادي: لكن الإنسان لا يعيش بالقصائد.
- الماحي: هذه واحدة من الأكاذيب التي يبيعها الأدباء للشباب: ضحّ بكل شيء من أجل الفن. لا. اِحمِ حياتك أيضاً. فالفقر ليس تقنية شعرية. والمرض ليس استعارة. والتشرد ليس مدرسة أدبية.
- الوادي: لو عاد بك الزمن، هل ستعيش بالطريقة نفسها؟
- الماحي: لا. كنت سأكتب بالجنون نفسه، لكنني سأحمي الإنسان أكثر. لأنني اكتشفت متأخراً أن القصيدة التي تطالبك بأن تدمر حياتك من أجلها قصيدة أنانية.

- الوادي: إذن نزعنا الآن آخر أسطورة: "الشاعر الذي يجب أن يحترق كي يضيء."
- الماحي: نعم. ليحترق النص. أما الشاعر، فليعش.
- الوادي: سؤالي الأخير: من جرح الدم يا عبد الكريم؟
- الماحي: كل من مرّ ولم يسأل.
- الوادي: هذا جواب شاعر.
- الماحي: حسناً، تريد الحقيقة؟
- الوادي: نعم.
- الماحي: نحن أيضاً جرحناه.
- الوادي: من "نحن"؟
- الماحي: أنا. وأنت. والمدينة. والأصدقاء. والمؤسسات. والزمن.
ثم جلسنا جميعاً نسأل: شكون جرح الدم؟ وسكتنا لأن الجواب كان جالساً بيننا.

سعيد المغربي



- الوادي: سعيد، هل كنت فناناً حقاً أم مناضلاً وجد في العود وسيلةً أكثر تأثيراً من المنشور السياسي؟
- سعيد المغربي: هل يجب أن أختار بين الاثنين؟
- الوادي: نعم، عندما تصبح القضية أكبر من الأغنية.
- سعيد المغربي: ومن قال إنها أكبر؟
- الوادي: تاريخك يقول ذلك. الحرية، السجون، فلسطين، المقاومة، القهر الاجتماعي... الموضوع دائماً ضخم، ثقيل، مصيري. أخشى أحياناً أن أبحث وسط كل هذه القضايا عن سعيد الموسيقي فلا أجده.
- سعيد المغربي: ربما لأنك تبحث عنه منفصلاً عن زمنه.
- الوادي: الفنان الحقيقي ينبغي أن ينجو من زمنه.
- سعيد المغربي: ويخرج من جلده أيضاً؟
- الوادي: لا. لكنني حين أسمع أغنية بعد خمسين سنة لا أريد أن أحتاج إلى كتاب تاريخ كي أتأثر بها.

- سعيد المغربي: أتفق معك؛ لأن القضية لا تنقذ أغنية رديئة.
- الوادي: إذن نستطيع أخيراً ذبح البقرة المقدسة المسماة "الأغنية الملتزمة."
- سعيد المغربي: إذا كانت بقرة مقدسة فاذبحها.
- الوادي: دعني أشحذ السكين أولاً. هل كانت كل الأغاني الملتزمة التي صفقنا لها فناً جيداً؟
- سعيد المغربي: طبعاً لا.
- الوادي: هل صفقنا أحياناً للموقف لا للموسيقى؟
- سعيد المغربي: نعم.
- الوادي: هل كانت بعض النصوص بيانات سياسية موزونة؟
- سعيد المغربي: ربما.
- الوادي: لا تختبئ وراء "ربما".
- سعيد المغربي: حسناً. نعم.
- الوادي: هل ساهم الجمهور المناضل نفسه في إفساد بعض الفنانين حين كان يكفي أن يسمع كلمات مثل الحرية، الجماهير، فلسطين، السجون... حتى يصفق؟
- سعيد المغربي: حدث ذلك.
- الوادي: إذن كان هناك أحياناً تواطؤ بين فنان يريد التصفيق وجمهور يريد سماع أفكاره بصوت عال؟
- سعيد المغربي: ليس دائماً.
- الوادي: أنت من جيل جعل الغناء جزءاً من الصراع السياسي والاجتماعي. بعد كل هذه السنوات، هل تعترف بأن السياسة استعملت الفنان كما استعمل الفنان السياسة؟
- سعيد المغربي: كيف استعملتها أنا؟
- الوادي: القضية تمنح الفنان هالة. حين تصعد إلى المنصة وتحمل قضية عادلة، يصبح الاعتراض على أغنيتك كأنه اعتراض على القضية نفسها.
- سعيد المغربي: هذا خطر حقيقي.

- الوادي: هل وقعت فيه؟
- سعيد المغربي: قد أكون وقعت فيه أحياناً.
- الوادي: أريد جواباً أشد شجاعة.
- سعيد المغربي: أنا ابن تجربة بشرية، ولست قديساً.
- الوادي: قلت في حديث سابق إن جزءاً من الأفكار التي آمنت بها في شبابك اهترأ، وبقي جزء آخر حياً فيك. ما الذي اهترأ؟
- سعيد المغربي: الأوهام.
- الوادي: هذه إجابة شاعرية. سمِّ الأشياء.
- سعيد المغربي: اليقين الزائد. الاعتقاد بأن التاريخ يسير في اتجاه واحد. الاعتقاد بأننا نملك الحقيقة كاملة.
- الوادي: وهل كنتم متعصبين؟
- سعيد المغربي: كنا شباباً.
- الوادي: لا تحول الشباب إلى عذر.
- سعيد المغربي: بعضنا كان متعصباً، نعم.
- الوادي: وأنت؟
- سعيد المغربي: كنت مؤمناً بأفكاري بقوة.
- الوادي: صياغة دبلوماسية لكلمة "متعصب".
- سعيد المغربي: قل ما تشاء.
- الوادي: أنا أسأل كي تقول أنت. هل يستطيع الفنان الذي قضى جزءاً من شبابه يغني لليقين أن يعترف في شيخوخته بأنه كان مخطئاً؟
- سعيد المغربي: إذا لم يستطع فلا يستحق تجربته.
- الوادي: وهل أنت مستعد لتقول: أخطأت؟
- سعيد المغربي: نعم.
- الوادي: في ماذا؟
- سعيد المغربي: في أشياء كثيرة.
- الوادي: مرة أخرى تختبئ.
- سعيد المغربي: وفي ماذا لم تخطئ أنت؟

- الوادي: أنا الذي أحاورك الآن.
- سعيد المغربي: وهذه مشكلتك. أنت تريد محاكمة جيل كامل بامتياز رؤية ما حدث بعده. من السهل أن تنظر اليوم إلى شاب في السبعينيات وتقول له: كان ينبغي أن تفكر بطريقة أكثر تعقيداً، بينما هو لم يكن يعيش داخل كتاب تاريخ. كان يعيش الخوف والحلم والغضب في اللحظة نفسها.
- الوادي: لكن الألم لا يجعل صاحبه دائماً على حق.
- سعيد المغربي: بالتأكيد.
- الوادي: غادرت المغرب إلى فرنسا في مرحلة مضطربة من حياتك. هل كان الرحيل بطولة أم هروباً؟
- سعيد المغربي: لماذا تستعمل كلمة هروب وكأنها شتيمة؟
- الوادي: ليست شتيمة. أحياناً الهروب غريزة حياة.
- سعيد المغربي: إذن لا مشكلة.
- الوادي: لكن صورة الفنان المنفي غالباً ما تُجمَّل بعد ذلك. يصبح المنفى ملحمة. هل كان كذلك فعلاً؟
- سعيد المغربي: المنفى ليس ملحمة عندما تعيشه.
- الوادي: ماذا يكون؟
- سعيد المغربي: المنفى اقتلاع.
- الوادي: مع ذلك منحتك فرنسا فضاء للدراسة والاشتغال والاحتكاك الثقافي.
- سعيد المغربي: هذه إحدى مفارقات المنفى.
- الوادي: خسرت وطناً وربحت أفقاً.
- سعيد المغربي: لا أحب الحساب بهذه الطريقة.
- الوادي: لكن الحياة تفعل. بعد عودتك إلى المغرب، هل عدت إلى الوطن نفسه الذي خرجت منه؟
- سعيد المغربي: لا يوجد وطن يبقى كما تركته.
- الوادي: ولا الإنسان؟
- سعيد المغربي: ولا الإنسان.

- الوادي: إذن من عاد فعلاً: سعيد الذي غادر أم رجل آخر يحمل ذاكرته؟
- سعيد المغربي: ربما رجل آخر.
- الوادي: وهل شعر هذا الرجل الآخر بالغربة داخل وطنه أيضاً؟
- سعيد المغربي: أحياناً.
- الوادي: أقسى من غربة فرنسا؟
- سعيد المغربي: الغربة داخل الأماكن التي تعرفها مؤلمة بطريقة مختلفة.
- الوادي: سعيد، دعني أرتكب معك جريمة فنية صغيرة. سأسحب منك السياسة. لا سجون. لا فلسطين. لا مقاومة. لا شعارات. لا قضايا كبرى. أتركك وحدك أمام امرأة تحبها، أو شجرة، أو موت صديق، أو خوفك الشخصي. هل يبقى سعيد المغربي؟
- سعيد المغربي: طبعاً.
- الوادي: لماذا لم نره بما يكفي؟
- سعيد المغربي: ربما لأن اللحظة التاريخية كانت تفرض أولوياتها.
- الوادي: ها هي السياسة تنتصر عليك مرة أخرى.
- سعيد المغربي: ربما.
- الوادي: إذن سرقت منك السياسة أغاني لم تكتبها.
- سعيد المغربي: هذه عبارة مؤلمة.
- الوادي: لكنك لم تنفها.
- سعيد المغربي: لا.
- الوادي: هل ندمت يوماً لأنك لم تغنّ للحب أكثر؟
- سعيد المغربي: الحب موجود حتى داخل أغنية المقاومة.
- الوادي: لا أقبل هذه الحيلة. الحب بين رجل وامرأة. الغيرة. الجسد. الفقد. الوحدة. الشيخوخة. الخوف من الموت. أين الإنسان العاري من الأيديولوجيا؟
- سعيد المغربي: كان موجوداً.

- الوادي: مختبئاً.
- سعيد المغربي: ربما.
- الوادي: هذا الاختباء خسارة فنية.
- سعيد المغربي: قد تكون محقاً.
- الوادي: جيلك غنى كثيراً لفلسطين. بعد عقود من الأغنيات والقصائد والمهرجانات، ماذا غير الفن؟
- سعيد المغربي: الفن ليس جيشاً.
- الوادي: إذن لماذا حمّلناه لغة الجيوش؟
- سعيد المغربي: لأن الناس كانوا يحتاجون إلى صوت.
- الوادي: الصوت يواسي، لكنه لا يحرر أرضاً.
- سعيد المغربي: صحيح.
- الوادي: إذن كنا نبالغ حين نقول إن الأغنية "سلاح".
- سعيد المغربي: إذا فهمنا السلاح حرفياً، نعم.
- الوادي: ومجازياً؟
- سعيد المغربي: يمكن للأغنية أن تحفظ الذاكرة، أن تمنع النسيان، أن تخلق شعوراً بالمشاركة.
- الوادي: لكنها قد تتحول أيضاً إلى مخدر أخلاقي: نغني للقضية، نشعر أننا أدينا واجبنا، ثم ننام مرتاحين.
- سعيد المغربي: هذا ممكن.
- الوادي: إذن حتى الأغنية النبيلة قد تتحول إلى وسادة.
- سعيد المغربي: أي شيء يمكن أن يتحول إلى وسادة إذا توقف عند الطقس.
- الوادي: هذه إجابة ممتازة. لنذهب إلى الأكاديمي سعيد المغربي. الدكتوراه، البحث، الموسيقى... ألم يقتل الأستاذ شيئاً من المغني؟
- سعيد المغربي: لماذا يفترض أن المعرفة تقتل الفن؟
- الوادي: لأن الفنان أحياناً حين يعرف كيف تُصنع الموسيقى يفقد دهشة صنعها.
- سعيد المغربي: وقد تمنحه المعرفة دهشة أعمق.

- الوادي: هل تستطيع أثناء العزف أن تنسى الأستاذ؟
- سعيد المغربي: يجب أن أنساه، وإلا تحولت الأغنية إلى محاضرة.
- الوادي: هذه كارثة كثير من الفن الملتزم: يريد أن يعلم الجمهور بدل أن يهزه. بعض الأغاني السياسية كأنها أستاذ يضع أصبعه في وجهك ويقول: اِفهم العالم كما أفهمه أنا.
- سعيد المغربي: هذا ليس فناً.
- الوادي: هل الجمهور تلميذ؟
- سعيد المغربي: لا.
- الوادي: هل الفنان قائد؟
- سعيد المغربي: لا.
- الوادي: هل المثقف ضمير المجتمع؟
- سعيد المغربي: أتحفظ على العبارة.
- الوادي: وأنا أكرهها. من أعطى المثقف حق احتكار الضمير؟
- سعيد المغربي: لا أحد.
- الوادي: إذن الفنان الذي يقول: أنا صوت الشعب؟
- سعيد المغربي: عليه أن يكون حذراً.
- الوادي: الشعب له صوته ولا يحتاج من يتحدث باسمه.
- سعيد المغربي: الفنان يستطيع أن يتحدث من داخله، لا باسمه.
- الوادي: الآن أتفق معك تماماً. جزء من تسجيلاتك القديمة خرج بجودة تقنية ضعيفة، وبعض إرث المرحلة لم يوثق كما ينبغي. هل تشعر أنك ظلمت فنك عندما جعلت الرسالة أهم من شروط بقائها؟
- سعيد المغربي: لم تكن الإمكانات متاحة كما اليوم.
- الوادي: أتفهم الظروف، لكن النتيجة واحدة: أغانٍ حملت زمناً كاملاً مهددة بالضياع.
- سعيد المغربي: هذا يؤلمني.

- الوادي: هل يمكن القول إن جيلكم كان مشغولاً بصنع التاريخ أكثر من أرشفته؟ والتاريخ الذي لا يُحفظ يأكله النسيان.
- سعيد المغربي: للأسف.
- الوادي: لو لم تكن هناك سنوات قمع سياسي وصراع أيديولوجي وقضايا كبرى، هل كان سعيد المغربي سيصبح سعيد المغربي؟
- سعيد المغربي: لا أعرف.
- الوادي: ربما صنعتك الجراح التي كنت تحاربها.
- سعيد المغربي: ربما.
- الوادي: أليست هذه مفارقة مرعبة؟ الفنان يريد عالماً بلا قمع، لكنه يعرف في مكان سري داخله أن القمع صنع أجمل أغانيه.
- سعيد المغربي: لا.
- الوادي: لماذا ارتفع صوتك؟
- سعيد المغربي: لأن الفنان لا يتمنى المأساة كي يغني.
- الوادي: لم أقل يتمنى. قلت إن المأساة تمنحه مادته.
- سعيد المغربي: وإذا انتهت المأساة سيجد الإنسان ألف شيء يغني له.
- الوادي: الحب مثلاً؟
- سعيد المغربي: الحب.
- الوادي: ها قد عدنا إلى الأغاني التي لم تكتبها. هل تخاف الموت؟
- سعيد المغربي: كأي إنسان.
- الوادي: لا أريد سعيد المناضل الآن.
- سعيد المغربي: أخاف أن أختفي.
- الوادي: جسدياً؟
- سعيد المغربي: وأن يضيع ما فعلته.
- الوادي: إذن الفنان يريد الخلود.
- سعيد المغربي: حتى عندما ينكر ذلك.
- الوادي: دعنا نلعب لعبة الكلمات السريعة. الثورة؟

- سعيد المغربي: حلم يحتاج إلى عقل.
- الوادي: اليسار؟
- سعيد المغربي: ذاكرة وأسئلة وأشياء تحتاج إلى مراجعة.
- الوادي: السلطة؟
- سعيد المغربي: اِختبار دائم للحرية.
- الوادي: المنفى؟
- سعيد المغربي: جرح يوسع الرؤية.
- الوادي: فلسطين؟
- سعيد المغربي: جرح عربي وإنساني مفتوح.
- الوادي: الموسيقى؟
- سعيد المغربي: بيتي.
- الوادي: العود؟
- سعيد المغربي: صوتي الثاني.
- الوادي: الشهرة؟
- سعيد المغربي: حادث جانبي.
- الوادي: الجمهور؟
- سعيد المغربي: الاختبار.
- الوادي: سعيد المغربي؟
- سعيد المغربي: رجل حاول ألا يخون صوته.
- الوادي: هل نجح؟
- سعيد المغربي: ليست لدي الإجابة.
- الوادي: لو وقفت اليوم أمام سعيد المغربي الشاب، صاحب اليقين والحماسة والغضب، ماذا ستقول له؟
- سعيد المغربي: سأقول له: لا تصدق كل ما تؤمن به.
- الوادي: غريب.
- سعيد المغربي: لماذا؟
- الوادي: لأن الشاب سيكرهك.
- سعيد المغربي: أعرف.

- الوادي: سيقول لك: لقد شخت، وتصالحت، وفقدت النار.
- سعيد المغربي: ربما سأبتسم.
- الوادي: ولماذا لا تقول له: اِستمر؟
- سعيد المغربي: سأقول له استمر أيضاً، لكن أُترك نافذة للشك.
- الوادي: هل كنت تملك تلك النافذة؟
- سعيد المغربي: لم تكن واسعة بما يكفي.
- الوادي: إذن العمر لم يطفئ النار؟
- سعيد المغربي: لا.
- الوادي: ماذا فعل بها؟
- سعيد المغربي: علمني ألا أحرق بها البيت.
- الوادي: والعود؟
- سعيد المغربي: بقي.
- الوادي: والقضايا؟
- سعيد المغربي: تتغير أسماؤها.
- الوادي: والإنسان؟
- سعيد المغربي: يبقى.
- الوادي: إذن بعد كل هذه العقود، لو أجبرتك على حذف كلمة واحدة من عبارة "الأغنية الملتزمة"، ماذا تحذف؟
- سعيد المغربي: "الملتزمة".
- الوادي: لماذا؟
- سعيد المغربي: لأنها إذا كانت أغنية حقيقية، فلن تحتاج إلى أن تعلق موقفها على صدرها.
- الوادي: هنا فقط أعتقد أننا وصلنا إلى بداية الحوار. كنا طوال الوقت ننزع عنك الشعارات واحداً واحداً. المناضل. المنفي. الأكاديمي. الفنان الملتزم. حتى بقي رجل يحمل عوداً.
- سعيد المغربي: وهل هذا قليل؟
- الوادي: بل ربما هذا هو كل شيء. لعل أجمل ما بقي لنا بعد سقوط كل الأيديولوجيات نغمة لا تحتاج إلى شعار.

البشير سكيرج



- الوادي: سي سكيرج، هل أنصفك المغرب؟
- سكيرج: المغرب لا يظلم ولا ينصف. الذين يفعلون ذلك هم البشر الذين بأيديهم مفاتيح الأبواب.
- الوادي: جواب دبلوماسي.
- سكيرج: لا. جواب رجل عاش طويلاً بما يكفي ليفهم أن الوطن أكبر من موظف ثقافي وأكبر من مدير مهرجان.
- الوادي: لكن الفنان حين يشعر بالتهميش يهاجم الجميع: الوزارة، التلفزيون، المنتجين، النقاد. ألا يتحول أحياناً إلى ضحية محترفة؟
- سكيرج: يفعل هذا بعض الفنانين.
- الوادي: وأنت؟
- سكيرج: أنا لا أحتاج إلى دور الضحية. لعبت أدواراً أصعب منه.

- الوادي: لكنك كنت غاضباً كثيراً.
- سكيرج: الغضب أحياناً هو آخر دليل على أن الإنسان لم يتحول إلى قطعة أثاث.
- الوادي: هل الفنان لا يحتمل أن يراه الناس يشيخ بينما تتقدم أسماء أخرى إلى الواجهة؟
- سكيرج: الشيخوخة لا تخيفني. النسيان هو الذي يزعج الفنان.
- الوادي: ولكن الفن نفسه تدريب طويل على الموت. تنتهي المسرحية، تنطفئ الأضواء، يخرج الجمهور، ولا يبقى فوق الخشبة أحد.
- سكيرج: لهذا نعود إليها في الليلة التالية.
- الوادي: وحين لا تكون هناك ليلة تالية؟
- سكيرج: يبقى ما فعلته.
- الوادي: وهل ما فعلته يكفيك؟
- سكيرج: الفنان لا يكفيه شيء.
- الوادي: أليس الفنان كائناً جشعاً؟ يريد التصفيق، والمال، والشهرة، والخلود، ثم يحدثنا عن الرسالة النبيلة للفن.
- سكيرج: من قال إن الفنان ملاك؟ الفنان إنسان، فيه المجد وفيه الغرور، فيه النبل وفيه الأنانية.
- الوادي: أين كان غرور سكيرج؟
- سكيرج: في اعتقادي أحياناً أنني أستحق أكثر مما حصلت عليه.
- الوادي: هل كنت مخطئاً؟
- سكيرج: ربما.
- الوادي: هل كان سكيرج ممثلاً كبيراً بالفعل، أم أن ذاكرة الجمهور ضخمت صورته لأنها تحن إلى جيل كامل أكثر مما تحن إلى أداء فني بعينه؟
- سكيرج: لو قلت لك إنني ممثل كبير اِتهمتني بالغرور، ولو قلت لك إنني عادي اِتهمتني بالتواضع الكاذب.
- الوادي: قل ما تؤمن به.

- سكيرج: كنت ممثلاً حقيقياً.
- الوادي: لماذا تجنبت كلمة "كبير"؟
- سكيرج: لأن الزمن هو الذي يقررها لا صاحبها.
- الوادي: لكن الزمن قاسٍ. قد يحتفظ بممثل أقل موهبة لأنه ظهر في عمل أكثر انتشاراً، ويمحو فناناً أعظم.
- سكيرج: طبعاً. التاريخ ليس محكمة عادلة دائماً.
- الوادي: إذن الشهرة صدفة؟
- سكيرج: جزء منها صدفة، وجزء منها موهبة، وجزء منها علاقات، وجزء منها توقيت.
- الوادي: قلت "علاقات".
- سكيرج: نعم.
- الوادي: هل كان الوسط الفني المغربي تحكمه العلاقات أكثر من الموهبة؟
- سكيرج: لا تجعلني أختصر عقوداً في كلمة.
- الوادي: أنا أطلب منك الكلمة التي يخاف الآخرون قولها.
- سكيرج: حسناً، الموهبة وحدها لم تكن يوماً كافية.
- الوادي: ومن لا يملك العلاقات؟
- سكيرج: يدفع الثمن.
- الوادي: أنت دفعت؟
- سكيرج: كل فنان مستقل يدفع.
- الوادي: هذه أيضاً إجابة عامة.
- سكيرج: لأنك تريد أسماء.
- الوادي: أريد الحقيقة.
- سكيرج: أحياناً طلب الأسماء ليس بحثاً عن الحقيقة، بل بحث عن فضيحة.
- الوادي: وأحياناً الاختباء وراء الحكمة طريقة أنيقة للجبن.
- سكيرج: وأحياناً الاستفزاز طريقة سهلة لادعاء الشجاعة.
- الوادي: أيهما أحببت أكثر: المسرح أم السينما؟

- سكيرج: المسرح لا يسمح لك بالكذب طويلاً. أما في السينما، فتستطيع الكاميرا أن تنقذك أحياناً. المونتاج ينقذك. الإعادة تنقذك. في المسرح أنت عارٍ أمام الجمهور.
- الوادي: مع ذلك، السينما هي التي تمنح الممثل الخلود.
- سكيرج: خلود من نوع آخر.
- الوادي: المسرح يموت في اللحظة نفسها التي يولد فيها.
- سكيرج: لهذا هو جميل.
- الوادي: هذه رومانسية مسرحية.
- سكيرج: بل مأساة مسرحية.
- الوادي: هل صنع التلفزيون المغربي نجوماً أم استهلك ممثلين؟
- سكيرج: فعل الأمرين معاً.
- الوادي: ألم يختزل أحياناً الممثل في وجه مألوف؟ نفس الشخصيات، نفس النبرات، نفس الوجوه كل رمضان؟
- سكيرج: حين يتحول الممثل إلى عادة، يبدأ موته الفني.
- الوادي: هل وقعت أنت في هذا الفخ؟
- سكيرج: ربما في بعض اللحظات.
- الوادي: أخيراً اعترفت.
- سكيرج: الفنان الذي لا يعترف بأخطائه بعد سنوات طويلة لم يتعلم شيئاً.
- الوادي: ما هو الدور الذي ندمت عليه؟
- سكيرج: لا أحب محاكمة أعمال الماضي بعقل الحاضر.
- الوادي: تهرب مرة أخرى.
- سكيرج: لا. أحمي الشاب الذي كنته من الشيخ الذي أصبحته. ذلك الشاب كان يحتاج إلى العمل، إلى المال، إلى الحضور، إلى التجربة. لماذا أحاكم اختياراته الآن وأنا أعرف أشياء لم يكن يعرفها؟
- الوادي: حدثني عن الفنان المغربي الذي يقترب من الشيخوخة.
- سكيرج: سؤال موجع.

- الوادي: لهذا طرحته.
- سكيرج: يكتشف فجأة أن الهاتف الذي كان يرن كثيراً صار صامتاً.
- الوادي: ثم؟
- سكيرج: يقول لنفسه: ربما غداً.
- الوادي: ثم لا يرن غداً.
- سكيرج: نعم.
- الوادي: فيبدأ بمهاجمة الجيل الجديد؟
- سكيرج: بعضهم يفعل.
- الوادي: أليس ذلك غيرة؟
- سكيرج: أحياناً.
- الوادي: هل غرت يوماً من ممثل شاب؟
- سكيرج: غرت من الفرص، لا من الأشخاص.
- الوادي: فرق لغوي ذكي.
- سكيرج: وفرق إنساني أيضاً. حين ترى شخصاً أقل تجربة يحصل على فرصة كنت تستطيع أن تقدم فيها شيئاً مختلفاً، تشعر بالمرارة. هذا طبيعي.
- الوادي: لكن الجيل القديم يريد أحياناً احتكار المجد حتى بعد أن يترك الخشبة.
- سكيرج: والجيل الجديد يريد أحياناً اختراع الفن من جديد وكأنه لم يوجد أحد قبله.
- الوادي: إذن الصراع ليس بين قديم وجديد، بل بين غرورين. لماذا يموت كثير من الفنانين عندنا مرتين؟ مرة حين يتوقفون عن العمل، ومرة حين يموتون فعلاً؟
- سكيرج: لأننا لا نملك ثقافة الوفاء.
- الوادي: بل نملكها بعد الموت.
- سكيرج: هذا أسوأ.

- الوادي: نضع باقة ورد فوق قبر الفنان بعدما حرمناه من دور وهو حي. نكتب: فقد المغرب هرماً فنياً.
- سكيرج: بعدما تركنا الهرم وحيداً.
- الوادي: ألا ترى بعض النفاق في الجنائز الثقافية؟
- سكيرج: كثيراً.
- الوادي: من المسؤول؟
- سكيرج: نحن جميعاً.
- الوادي: هذه العبارة توزع الجريمة حتى يختفي المجرم.
- سكيرج: ماذا تريدني أن أقول؟
- الوادي: أن تقول إن المؤسسات مسؤولة.
- سكيرج: مسؤولة.
- الوادي: والفنانون؟
- سكيرج: مسؤولون.
- الوادي: والنقاد؟
- سكيرج: مسؤولون.
- الوادي: والجمهور؟
- سكيرج: حتى الجمهور.
- الوادي: كيف؟
- سكيرج: لأن الجمهور قد يطلب منك أن تبقى إلى الأبد في الشخصية التي أحبك فيها. فإذا تغيرت قال: لم يعد كما كان. وإذا كررتها قال: يكرر نفسه.
- الوادي: إذن الممثل محكوم عليه بالخيانة؟
- سكيرج: بالضبط. كي يتطور، عليه أن يخون الصورة التي أحبها الناس فيه.
- الوادي: هل كان الفن المغربي حراً؟
- سكيرج: أي حرية تقصد؟
- الوادي: تلك التي تجعل الفنان يقول ما يريد، لا ما يسمح له به المناخ السياسي والاجتماعي والمؤسساتي.

- سكيرج: الفنان في كل زمان يتفاوض مع الحدود.
- الوادي: كلمة "يتفاوض" مهذبة جداً.
- سكيرج: أتريد كلمة "يخاف"؟
- الوادي: نعم.
- سكيرج: الفنان يخاف.
- الوادي: وأنت خفت؟
- سكيرج: من يقول إنه لم يخف في حياته إما مجنون أو كاذب.
- الوادي: هل الخوف خيانة للفن؟
- سكيرج: لا. الاستسلام للخوف هو الخيانة.
- الوادي: لكن كم مرة صمت الفنان المغربي كي يحافظ على مكانه؟
- سكيرج: كثيراً.
- الوادي: وكم مرة تكلم بعد أن صار الكلام بلا ثمن؟
- سكيرج: كثيراً أيضاً.
- الوادي: يريد البطولة بأثر رجعي؟
- سكيرج: لا تسخر. الإنسان ضعيف.
- الوادي: الفنان الذي يطالب المجتمع بالشجاعة لا يحق له الاحتماء بضعفه.
- سكيرج: الفنان ليس نبياً.
- الوادي: لكنه يحب أن يعامله الناس كنبي. هل الفن رسالة؟
- سكيرج: الفن أولاً فن.
- الوادي: إذن كفى من كلمة "رسالة".
- سكيرج: كثيرون يضعفون أعمالهم ثم يطلبون منك احترام "الرسالة". العمل الرديء لا يصبح عظيماً لأن موضوعه نبيل.
- الوادي: ولا يصبح المسرح جيداً لأنه يتحدث عن الفقر؟
- سكيرج: طبعاً لا.
- الوادي: ولا يصبح الفيلم عميقاً لأنه يتحدث عن الهجرة والمهمشين؟

- سكيرج: لا.
- الوادي: إذن ماذا بقي؟
- سكيرج: الحرفة. الصدق. اللغة. الجسد. الإيقاع. الخيال.
- الوادي: والمال؟
- سكيرج: المال ضروري.
- الوادي: أخيراً كلمة يخجل الفنانون منها.
- سكيرج: أنا لا أخجل منها. الفنان يأكل ويدفع الفواتير مثل أي إنسان.
- الوادي: لكن بعض الفنانين حين يحصلون على الدعم يصبحون حراساً لمن منحهم الدعم.
- سكيرج: هنا تبدأ الكارثة.
- الوادي: لأن الدعم يتحول من تمويل للفن إلى شراء للصمت؟
- سكيرج: حين يحدث ذلك، نعم.
- الوادي: لو عاد بك الزمن، هل تختار التمثيل؟
- سكيرج: نعم.
- الوادي: رغم كل المرارة؟
- سكيرج: بسببها أيضاً.
- الوادي: لا أفهم.
- سكيرج: الفن الذي لا يجرحك لا يغيرك.
- الوادي: هل غيرك الفن إلى الأفضل؟
- سكيرج: لا أعرف. جعلني أكثر فهماً للبشر، لكنه لم يجعلني بالضرورة أفضل منهم.
- الوادي: هذه ربما أقسى حقيقة قلتها.
- سكيرج: الفنان يعرف كيف يمثل الطيبة، وهذا لا يعني أنه طيب. ويعرف كيف يمثل الشجاعة، وقد يكون جباناً. ويمثل الحب، وقد يفشل فيه. ويمثل الحكمة، وقد يرتكب حماقات لا تنتهي.
- الوادي: في النهاية، من هو سكيرج حين تسقط عنه الشخصيات كلها؟

- سكيرج: رجل قضى عمره يدخل في جلود الآخرين.
- الوادي: حتى كاد ينسى جلده؟
- سكيرج: ربما.
- الوادي: وهل وجد نفسه في النهاية؟
- سكيرج: لا أظن أن الإنسان يجد نفسه. يظل يبحث عنها حتى النهاية.
- الوادي: أي دور كان أصعب عليك؟
- سكيرج: دور البشير سكيرج؛ لأنه بلا مخرج، وبلا إعادة تصوير، وبلا مونتاج، وبلا جمهور أحياناً.
- الوادي: ماذا تقول لهذا الجمهور الآن؟
- سكيرج: لا تصفقوا للفنان بعد موته أكثر مما صفقتم له وهو حي.
- الوادي: وأنا سأعارضك للمرة الأخيرة: الفنان الحقيقي لا يحتاج إلى التصفيق.
- سكيرج: يقول هذا من لم يقف فوق خشبة.
- الوادي: إذن تحتاجونه؟
- سكيرج: نعم.
- الوادي: إلى هذه الدرجة؟
- سكيرج: نحن نمثل كي يرانا أحدهم.
- الوادي: وإذا لم يركم؟
- سكيرج: نكون قد عشنا نصف حياة.
- الوادي: أليست هذه مأساة الفنان؟
- سكيرج: بل مأساة الإنسان كلها.
- الوادي: كيف؟
- سكيرج: كل إنسان، في مكان ما داخله، يصرخ: أُنظروا إليّ... أنا هنا.
- الوادي: وحين لا ينظر إليه أي أحد؟
- سكيرج: يسدل الستار.

- الوادي: النهاية؟
- سكيرج: لا. في المسرح فقط يسمونها نهاية.
- الوادي: وفي الحياة؟
- سكيرج: صمت طويل لا نعرف ما بعده.

الزهرة رميج



- الوادي: ألا تخشين أنك كتبت كثيراً عن الذاكرة حتى أصبحت عندك مهنة؟
- رميج: وأنت ألا تخشى أنك تسأل كثيراً عن الذاكرة لأنك تخاف مما تتذكره؟
- الوادي: أنا لا أختبئ وراء الرواية.
- رميج: ومن قال إن الرواية مخبأ؟ أحياناً تكون الرواية غرفة تحقيق. الفرق أن الكاتب يجلس فيها في مكان المتهم والقاضي معاً.
- الوادي: لكن الكاتب يستطيع أن يكذب، وأن يسمي كذبه تخييلاً. إذن ما الذي يمنع الروائي من تزوير حياته؟
- رميج: لا شيء. الأدب ليس محضر شرطة. حين أكتب رواية، لا أوقع أمام القارئ على تعهد بأن كل شيء وقع كما أرويه. لكن حين أسمي الكتاب سيرة ذاتية، يصبح الصدق جزءاً من العقد الأخلاقي بيني وبين القارئ.

- الوادي: وهل الذاكرة صادقة أصلاً؟
- رميج: لا.
- الوادي: إذن سقط العقد منذ البداية.
- رميج: الذاكرة ناقصة، وليست بالضرورة كاذبة. هناك فرق بين أن تنسى وأن تزور.
- الوادي: أنت لا تنتقين؟
- رميج: كل كاتب ينتقي.
- الوادي: إذن كل سيرة ذاتية هي مقبرة مليئة بالجثث التي قرر الكاتب ألا يخرجها.
- رميج: حتى المقبرة تقول الحقيقة عن الجماعة التي بنتها.
- الوادي: عندما يكتب الإنسان حياته، فإنه يمنح نفسه سلطة هائلة: يتكلم، بينما الموتى لا يستطيعون الاعتراض. ألا ترين في ذلك شيئاً من الاستبداد؟
- رميج: يوجد.
- الوادي: كاتبة تهاجم الاستبداد وتمارسه على شخصيات ذاكرتها؟
- رميج: لهذا ينبغي للكاتب أن يخاف من الكتابة.
- الوادي: لا أراك خائفة.
- رميج: الخوف الحقيقي يظهر في الكلمة التي تمحوها عشر مرات قبل أن تسمح لها بالبقاء.
- الوادي: في أعمالك حضور قوي للمرأة. ألم تصبح المرأة في بعض الأدب العربي سلعة أدبية مربحة؟
- رميج: طبعاً.
- الوادي: حتى في الأدب الذي تكتبه النساء؟
- رميج: خصوصاً حين تعرف الكاتبة ما يريد السوق أن يسمعه منها.

- الوادي: اِمرأة مقموعة، رجل متسلط، مجتمع ذكوري، جسد محاصر، ثم غلاف مثير وعنوان مناسب... وتبدأ المهرجانات. أين تنتهي القضية وتبدأ التجارة؟
- رميج: عندما تصبح المرأة وصفة.
- الوادي: وهل نجوت أنت من الوصفة؟
- رميج: لا يحق لي أن أمنح نفسي شهادة البراءة.
- الوادي: هذا تهرب.
- رميج: بل رفض لمحاكمة يكون المتهم فيها هو الذي يكتب الحكم.
- الوادي: هل استثمرت الزهرة رميج معاناة المرأة أدبياً؟
- رميج: نعم. الأدب كله استثمار للمعاناة. دوستويفسكي استثمر الجريمة، كافكا استثمر الخوف، والمتنبي استثمر ذاته. السؤال ليس: هل استثمرت الألم؟ السؤال: ماذا صنعت به؟
- الوادي: ربما حولته إلى كتب.
- رميج: وهل كنت تريدني أن أحوله إلى صمت؟
- الوادي: أليست البادية عندك أحياناً أجمل مما كانت عليه في الحقيقة؟
- رميج: لا.
- الوادي: أنا أتهمك بالحنين.
- رميج: وأنا أتهمك بأنك تخلط بين استعادة المكان وتجميله.
- الوادي: الذاكرة تضع دائماً ضوء الغروب على الأشياء القبيحة.
- رميج: والحاضر يضع عليها ضوء النيون. وكلاهما يزور بطريقته.
- الوادي: إذن أنت تعترفين أن الماضي الذي نقرأه عندك ليس الماضي نفسه.
- رميج: بالطبع ليس هو.
- الوادي: فأي قيمة للذاكرة إذن؟

- رميج: قيمتها أنها تخبرك بما فعله الماضي بنا، لا بما كان عليه الماضي فقط.
- الوادي: هذا جواب روائي.
- رميج: أنا روائية، ماذا كنت تنتظر؟ تقريراً من وزارة الداخلية؟
- الوادي: الكتاب العرب يتحدثون كثيراً ضد الاستبداد، ومع ذلك يعيش الاستبداد بصحة أفضل منهم جميعاً. ما يعني أن الأدب فشل.
- رميج: هذا استنتاج طفل غاضب.
- الوادي: بل استنتاج مواطن يرى أن آلاف الروايات والقصائد والمسرحيات لم تمنع سجناً واحداً من أن يمتلئ.
- رميج: لأنك تطلب من الرواية وظيفة دبابة.
- الوادي: لا. أطلب منها ألا تتباهى بأنها تقاوم بينما لا يخاف منها أحد.
- رميج: ومن قال إن السلطة لا تخاف من الكلمات؟
- الوادي: لو كانت تخافها فعلاً لما مولت المهرجانات الأدبية.
- رميج: ها أنت وصلت إلى سؤال حقيقي.
- الوادي: هل تستطيع السلطة أن تدجن الكاتب بالاحتفاء به؟
- رميج: بكل سهولة.
- الوادي: بالجوائز؟ بالدعوات؟ بالصور؟ بالجلوس في الصف الأول؟
- رميج: خصوصاً بالجلوس في الصف الأول.
- الوادي: إذن أخطر لحظة على الكاتب ليست عندما تمنعه السلطة من الكلام، بل عندما تصفق له.
- رميج: أحياناً.
- الوادي: لأن التصفيق قد يكون كمامة فاخرة.
- رميج: وقد تكون الكمامة التي يرتديها الكاتب بنفسه هي الأخطر.
- الوادي: هل يوجد مثقف مستقل فعلاً؟

- رميج: الاستقلال الكامل وهم.
- الوادي: إذن المثقف الذي يحدثنا طوال اليوم عن استقلاليته يكذب.
- رميج: قلت إن الاستقلال الكامل وهم، لا إن المقاومة وهم.
- الوادي: مقاومة ماذا؟
- رميج: المال، السلطة، الجماعة، الشهرة، الخوف، وحتى الجمهور.
- الوادي: الجمهور أيضاً؟
- رميج: الجمهور قد يتحول إلى مستبد.
- الوادي: كيف؟
- رميج: حين يطلب من الكاتب أن يكرر الكتاب الذي أحبه فيه. حين يقول له: كن دائماً كما عرفناك.
- الوادي: وأنت هل كررت نفسك؟
- رميج: بالتأكيد في بعض المواضع.
- الوادي: اِعتراف ثانٍ.
- رميج: لماذا تحب الاعترافات إلى هذا الحد؟ هل جئت لتحاورني أم لتدير مخفراً؟
- الوادي: جئت لأهدم الصورة.
- رميج: أي صورة؟
- الوادي: صورة الكاتبة الحكيمة التي تستخرج من الذاكرة خلاصاً أخلاقياً.
- رميج: اِهدمها إذا استطعت.
- الوادي: الذاكرة ليست خلاصاً. إنها مرض أحياناً، وإن الإنسان الذي يعيش في ذاكرته قد يتحول إلى حارس لمقبرة، وإن بعض الكتابة عن الماضي ليست شجاعة، بل عجز عن دخول الحاضر.
- رميج: أتفق.
- الوادي: أنت تفسدين الحوار.
- رميج: لماذا؟

- الوادي: لأنني أبحث عن معركة.
- رميج: أنت تتصور أن المعركة لا تقوم إلا إذا قلت لك: لا. أخطر المعارك تبدأ عندما يقول خصمك: نعم، ثم يسألك: وبعد؟
- الوادي: حسناً. وبعد؟
- رميج: بعد أن نتفق أن الذاكرة قد تكون مرضاً، أسألك: ما العلاج؟ النسيان؟
- الوادي: ربما.
- رميج: الشعوب التي تنسى بسهولة تصنع جلاديها مرتين.
- الوادي: والشعوب التي لا تنسى تصنع ثاراتها إلى الأبد.
- رميج: لهذا نحتاج إلى ذاكرة تفهم، لا ذاكرة تنتقم.
- الوادي: قلت إن العلم يمكن أن يكون نافذة ضد الاستبداد. سأعارضك تماماً: أكثر الأنظمة بطشاً في التاريخ استخدمت العلماء والتقنيين والخبراء.
- رميج: العلم ليس الفضيلة.
- الوادي: إذن لا يهزم الاستبداد.
- رميج: العلم الذي لا يصاحبه وعي قد يخدمه.
- الوادي: إذن مشكلتنا ليست الجهل.
- رميج: ليس وحده.
- الوادي: لدينا متعلمون يصفقون للاستبداد أكثر من الأميين.
- رميج: وأكاديميون أيضاً، وكتّاب، ومثقفون.
- الوادي: إذن لقب "مثقف" لا يعني شيئاً.
- رميج: يعني أنك قرأت كتباً. أما ماذا فعلت بك الكتب، فتلك مسألة أخرى.
- الوادي: هناك شيء آخر يزعجني: كلمة الأدب النسائي.
- رميج: تزعجني أيضاً حين تستعمل كسجن.
- الوادي: لماذا نقول "كاتبة نسائية"، ولا نقول عن الرجل "كاتب ذكوري"؟

- رميج: لأن الرجل نجح طويلاً في تقديم تجربته باعتبارها التجربة الإنسانية العامة.
- الوادي: هل تريد المرأة أن ترتكب الخطأ نفسه؟
- رميج: لا ينبغي.
- الوادي: لكنني أخشى أن تتحول الكتابة النسائية بدورها إلى مؤسسة لها حراسها وممنوعاتها ومقدساتها.
- رميج: كل فكرة ناجحة معرضة لأن تتحول إلى مؤسسة، وكل مؤسسة معرضة لأن تنتج شرطتها.
- الوادي: يمكن إذن أن توجد نسوية مستبدة؟
- رميج: كل فكر يرفض السؤال يمكن أن يصبح مستبداً.
- الوادي: حتى الفكر الذي ولد لمحاربة الاستبداد؟
- رميج: خصوصاً ذلك الفكر، إذا أقنع نفسه بأنه يمثل الخير المطلق.
- الوادي: هل الرجل عدو المرأة؟
- رميج: لا.
- الوادي: المجتمع؟
- رميج: ليس بهذه البساطة.
- الوادي: الدين؟
- رميج: السؤال ملغوم.
- الوادي: فككي اللغم.
- رميج: يمكن استخدام الدين للتحرير كما يمكن استخدامه للهيمنة، ويمكن استخدام الحداثة للتحرير كما يمكن استخدامها للهيمنة.
- الوادي: حتى الحداثة؟
- رميج: ألم ترَ حداثيين يتحدثون عن حرية المرأة ثم يعاملون المرأة في بيوتهم كخادمة؟
- الوادي: كثيرين.
- رميج: إذن المشكلة أعمق من الشعارات.
- الوادي: هل يحتاج الكاتب إلى المأساة لكي يصبح كاتباً كبيراً؟

- رميج: لا.
- الوادي: ولكن المآسي صنعت كتباً عظيمة.
- رميج: وصنعت صامتين أيضاً.
- الوادي: هل أعطاك الموت أدباً؟
- رميج: الموت لا يعطي.
- الوادي: لكنك كتبت من الألم.
- رميج: هناك فرق. الموت يأخذ. نحن نحاول بعد ذلك أن نصنع من الفراغ شيئاً كي لا نسقط فيه.
- الوادي: إذن الكتابة تعويض؟ علاج؟ اِنتقام؟
- رميج: أحياناً.
- الوادي: خلود؟
- رميج: هذه أكذوبة الكتاب المفضلة.
- الوادي: ألا تؤمنين بخلود الأدب؟
- رميج: كم كاتباً "خالداً" تستطيع أن تسمي من حضارات كاملة اختفت؟
- الوادي: قليلاً.
- رميج: إذن تواضعوا قليلاً. نحن نكتب لأننا أحياء، لا لأننا ضمنا الخلود.
- الوادي: لكن الكاتب يريد أن يبقى.
- رميج: بالطبع.
- الوادي: وأنت تريدين أن تبقي.
- رميج: بالطبع.
- الوادي: إذن وراء التواضع نرجسية.
- رميج: الكاتب بلا نرجسية لا ينشر.
- الوادي: ها نحن نصل إلى الجريمة الأصلية.
- رميج: أي جريمة؟
- الوادي: أن يظن إنسان أن أفكاره مهمة إلى درجة أن على آلاف الناس أن يشتروا كتاباً لكي يقرأوها.

- رميج: نعم، في كل كتاب شيء من الوقاحة.
- الوادي: وأمام كل توقيع كتاب، يجلس شخص يقول سراً: أُنظروا إلي.
- رميج: وربما يقف قارئ يقول: أرني شيئاً يستحق أن أنظر إليك من أجله.
- الوادي: هل الجوائز تفسد الأدب؟
- رميج: يمكن.
- الوادي: النقاد؟
- رميج: يمكنهم أيضاً.
- الوادي: الجامعات؟
- رميج: طبعاً.
- الوادي: الصحافة الثقافية؟
- رميج: نعم.
- الوادي: المهرجانات؟
- رميج: أكيد.
- الوادي: لم يبق شيء.
- رميج: بقي الكاتب.
- الوادي: وهو الأكثر قابلية للفساد.
- رميج: الآن بدأت تفهم.
- الوادي: أتخافين من النقاد؟
- رميج: لا.
- الوادي: كذبت.
- رميج: لماذا؟
- الوادي: كل كاتب يقول إنه لا يهتم بالنقد ثم يحفظ المقال السيئ أكثر مما يحفظ المقال الذي مدحه.
- رميج: لا أخاف الناقد، لكنني أخاف أن يكتشف شيئاً في نصوصي لم أكن أريد أن أراه.

- الوادي: هذا أجمل تعريف للنقد. هل يمكن أن تكون الرواية المغربية كبيرة وهي منشغلة دائماً بالمغرب؟
- رميج: وهل كان ماركيز يحتاج إلى مغادرة قريته كي يصبح عالمياً؟
- الوادي: هذه حجة نكررها كثيراً.
- رميج: لأن السؤال نفسه يتكرر.
- الوادي: لكن المحلية قد تتحول إلى فلكلور معد للتصدير. قرية، موسم، جلباب، امرأة مقموعة، شيخ، تعويذة، رائحة طاجين... ثم تقول دار نشر أوروبية: يا له من مغرب ساحر!
- رميج: هذه إحدى أخطر صور الاستشراق الذي قد يمارسه الكاتب على نفسه.
- الوادي: أي أن الكاتب العربي قد يستشرق ذاته؟
- رميج: حين يكتب نفسه كما يتوقع الآخر أن يراه، نعم.
- الوادي: والترجمة؟ أليست أحياناً امتحاناً مذلاً؟ ينتظر الكاتب شهادة من لغة أخرى لكي يقال إنه أصبح عالمياً.
- رميج: العالمية ليست جواز سفر تمنحه باريس أو لندن.
- الوادي: لكننا نتصرف كأنها كذلك.
- رميج: هذه عقدتنا، لا عقدة الترجمة.
- الوادي: حين تترجم رواية عربية إلى الفرنسية، تقوم القيامة. وحين تبقى عربية يقرأها عشرات الآلاف، نتعامل معها كأنها لم تغادر الحي.
- رميج: لأن جزءاً منا ما زال يرى نفسه بعين الآخر.
- الوادي: هذه استعمارية ثقافية مستمرة؟
- رميج: بل أخطر: اِستعمار بعد رحيل المستعمر.
- الوادي: هل ترين المشهد الثقافي المغربي حراً؟
- رميج: لا يوجد مشهد ثقافي حر بالكامل.
- الوادي: جواب دبلوماسي.
- رميج: بل واقعي.

- الوادي: أنا أريد جواباً يجرح.
- رميج: حسناً. أخطر رقابة ليست التي تمنع كتابك، بل الرقابة التي تجعلك تعيد كتابة الجملة في رأسك قبل أن تكتبها، ثم تقنع نفسك أن التعديل كان فنياً.
- الوادي: هذه رقابة بلا شرطي.
- رميج: لهذا هي ناجحة.
- الوادي: هل مارستها على نفسك؟
- رميج: من يقول لك إنه لم يفعل مطلقاً، فإما أنه قديس أو كاذب.
- الوادي: بعد كل هذا، ما جدوى الكتابة؟
- رميج: ها قد عدنا إلى البداية.
- الوادي: نعم. آلاف الكتب، والاستبداد موجود. الظلم موجود. المرأة تهان. الفقر موجود. الحروب موجودة. الأكاذيب موجودة. فما جدوى أن نضيف رواية أخرى إلى الرف؟
- رميج: لا جدوى.
- الوادي: ماذا؟
- رميج: إذا كنت تريد من الرواية أن توقف الحرب غداً، فلا جدوى.
- الوادي: إذن انتهينا.
- رميج: لم ننته.
- الوادي: ماذا بقي؟
- رميج: أن تمنع إنساناً واحداً من أن يصبح شبيهاً بجلاده. أن تجعل امرأة تقرأ حكاية فتكتشف أن الألم الذي ظنته قدراً شخصياً هو بنية اجتماعية. أن تجعل رجلاً يشك للحظة في حقيقة ظل يؤمن بها أربعين سنة.
- الوادي: ولحظة الشك هذه ستغير العالم؟
- رميج: كل الطغاة يخافون تلك اللحظة.
- الوادي: تبالغين في قوة الكتب.
- رميج: وأنت تبالغ في ضعفها.

- الوادي: آخر سؤال. لو جلست الآن أمام جميع الشخصيات التي كتبتها، وقالت لك: لقد استعملت آلامنا لكي تصنعي اسم الزهرة رميج، ماذا ستقولين لها؟
- رميج: سأصمت.
- الوادي: لا جواب؟
- رميج: هناك اتهامات لا يليق بالكاتب أن يدافع عن نفسه أمامها.
- الوادي: وإذا سألتك عزوزة: من أعطاك الحق أن تحولي حياتي إلى أدب؟
- رميج: سأقول لها: لا أحد.
- الوادي: إذن أنت مذنبة.
- رميج: ربما.
- الوادي: وتواصلين الكتابة؟
- رميج: نعم.
- الوادي: أي تناقض هذا؟
- رميج: إنه تناقض الكتابة نفسها. نأخذ من الحياة كي نقاوم موتها، ونجرح الصمت كي نتكلم، ونحول أشخاصاً من لحم ودم إلى كلمات، ثم نزعم أننا أنقذناهم.
- الوادي: وهل أنقذتهم؟
- رميج: لا أعرف.
- الوادي: إذن ماذا أنقذت الكتابة؟
- رميج: ربما أنقذتني أنا.
- الوادي: هذه أنانية.
- رميج: نعم.
- الوادي: وأين القارئ؟
- رميج: إذا وجد نفسه بين الكلمات، نجا معي. وإن لم يجد نفسه، فليغلق الكتاب.
- الوادي: إذن لم تعودي تدافعين عن الأدب.

- رميج: الأدب الذي يحتاج إلى الدفاع عنه طوال الوقت لا يستحق أن يعيش.
- الوادي: وعمن تدافعين إذن؟
- رميج: عن حق الإنسان في ألا تكتب حياته له من طرف الآخرين.
- الوادي: وأنت كاتبة، أي أنك تفعلين ذلك بالضبط.
- رميج: لهذا أكتب وأنا خائفة.
- الوادي: ممن؟
- رميج: من الكلمة التي أظن أنني أملكها، ثم أكتشف أنها هي التي تملكني.
- الوادي: هل هذه نهايتك؟
- رميج: لا.
- الوادي: ما النهاية إذن؟
- رميج: أن يأتي قارئ بعدنا، يمحو اسمينا من هذا الحوار، ويضع اسمه مكانهما، ثم يكتشف أن المعركة لم تكن بينك وبين الزهرة رميج أصلاً.
- الوادي: بين من إذن؟
- رميج: بين الإنسان والحكاية التي اخترعها كي يستطيع احتمال نفسه.

بوجميع



- الوادي: بوجميع، هل كنتم ثواراً حقاً، أم أن الناس احتاجوا إلى ثوار فاخترعوكم؟
- بوجميع: أخيراً سؤال لا يحمل البخور. لم نجلس يوماً ونقول: سنصبح ضمير الشعب. خرجنا من حي يعرف الجوع والكدح والاختناق. غنينا ما كان يضغط على صدورنا. الناس بعد ذلك هم الذين صنعوا الأسطورة.
- الوادي: كل فنان حين تكبر صورته يقول: الجمهور هو الذي صنع الأسطورة. لكنكم استفدتم منها أيضاً.
- بوجميع: تريدني أن أعتذر لأن الناس أحبوا ما فعلناه؟
- الوادي: أريدك أن تعترف بأن "صوت المقهورين" يمكن أن يتحول هو الآخر إلى سلطة.
- بوجميع: هذه أخطر لحظة في حياة الفنان: حين يصبح كلامه مقدساً لأنه قاله ذات يوم من موقع الهامش. المظلوم إذا لم ينتبه يستطيع أن يصنع لنفسه عرشاً من مظلوميته.

- الوادي: إذن لنكسر العرش. يقال إن ناس الغيوان قالوا ما لم يكن ممكناً قوله. لكن لماذا قلتموه بالإشارة والرمز؟ لماذا لم تسمّوا الأشياء بأسمائها؟
- بوجميع: هل تعتقد أن الصراخ باسم الشيء أشجع دائماً من زرع المعنى في رأس المستمع؟
- الوادي: أحياناً يكون الرمز اسماً مهذباً للخوف.
- بوجميع: وأحياناً تكون المباشرة اسماً مهذباً للغباء.
- الوادي: لا تهرب إلى البلاغة.
- بوجميع: لا تهرب أنت إلى بطولة مجانية بعد نصف قرن. أنت تسألني من زمن يستطيع فيه رجل أن يكتب جملة، ثم يغلق هاتفه وينام. نحن كنا نبحث عن اللغة التي تعبر الحائط ولا تُقتل عند الباب.
- الوادي: إذن تعترف أن الرقابة كانت موجودة داخل رؤوسكم قبل أن تكون خارجها؟
- بوجميع: طبعاً. أخطر شرطي هو الذي يسكن الرأس. لكن الفنان الحقيقي لا يطرده دائماً؛ أحياناً يخدعه.
- الوادي: أخذتم من الملحون وگناوة والإيقاعات الشعبية والحلقة. هل جددتم التراث فعلاً، أم كنتم بارعين فقط في إعادة تدويره؟
- بوجميع: لو أعدنا تدويره لما بقيتم تتحدثون عنه إلى اليوم.
- الوادي: البقاء ليس دليلاً على الجودة. الخرافة أيضاً تعيش طويلاً.
- بوجميع: لا تقِسنا بطول العمر. اِسأل: هل بقي الشيء كما كان بعد مرورنا منه؟ حين يأخذ الفنان التراث ويضعه في متحف فهو حارس مقبرة. وحين يقطعه عن جذوره يصبح لصاً. كنا نحاول أن نفعل شيئاً ثالثاً: أن نجعله يتشاجر مع الحاضر.
- الوادي: لكنكم صنعتم أنتم أيضاً تراثاً جديداً، ثم جاء مقلدوكم فحوّلوه إلى متحف.
- بوجميع: وهل أحاسب على الذين قلدوني؟

- الوادي: أحاسبك على النموذج الذي كان قابلاً للتقليد.
- بوجميع: كل نموذج قابل للتقليد. حتى الثورة لها تجار.
- الوادي: عبارة "صوت الشعب" تزعجني. من أعطاكم حق الكلام باسم الشعب؟
- بوجميع: لا أحد.
- الوادي: إذن كنتم تنتحلون صفة.
- بوجميع: إذا قلت إنني الشعب فقد كذبت. وإذا قلت إنني واحد منه، فقد وصفت مكاني فقط.
- الوادي: لكن الناس رفعوكم فوقهم.
- بوجميع: هذه ليست فضيلة دائماً. الفنان الذي يعتلي كتف الجمهور طويلاً ينسى أن له قدمين.
- الوادي: لو عدت اليوم ورأيت صورتك معلقة، والناس يتحدثون عنك كما لو كنت ولياً من أولياء الفن، ماذا ستفعل؟
- بوجميع: سأنزع الصورة. وأقول لهم: إذا كنتم تحبون بوجميع لأنه مات، فأنتم لا تحبون الفن؛ أنتم تحبون الجنائز.
- الوادي: ألا تعتقد أن موتك المبكر ساهم في تضخيم أسطورتك؟
- بوجميع: بالتأكيد.
- الوادي: إذن ربما لو عشت طويلاً لكنت أصبحت فناناً عادياً.
- بوجميع: ربما. الموت محرر عبقري؛ يحذف الأخطاء ويترك اللقطات الجميلة.
- الوادي: هكذا نحب موتانا أكثر لأنهم لا يستطيعون إحباطنا.
- بوجميع: ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم أيضاً. أنتم تجعلون الميت يقول ما يناسبكم، ثم تصفقون له.
- الوادي: هذا ما أفعله الآن معك.
- بوجميع: أخيراً أمسكتَ بنفسك متلبساً.
- الوادي: إذن هذا الحوار كله كذبة؟
- بوجميع: لا. التخييل ليس كذباً حين يصرح بأنه تخييل. الكذب هو أن تضع كلاماً في فمي ثم تقول للناس: هكذا قال بوجميع.

- الوادي: هل كانت أغانيكم سياسية فعلاً، أم أننا منحناها بعد ذلك حمولة سياسية أكبر مما تحتمل؟
- بوجميع: بعضها كان يحمل الاحتجاج بوضوح، وبعضها كان وجودياً واجتماعياً وروحياً. المشكلة أن الناس يحبون الأدراج: هذا سياسي، وهذا صوفي، وهذا شعبي.
- الوادي: لكن الاحتجاج من دون مشروع تغيير ليس سياسة. إنه أنين جميل.
- بوجميع: من قال إن المغني ملزم بتقديم برنامج حكومي؟
- الوادي: إذن لماذا تنتظرون منا أن نصفكم بالثوار؟
- بوجميع: لا تصفونا. اِسمع العمل واترك الأوسمة في الدرج.
- الوادي: لكن الأغنية التي تصرخ ضد الظلم ولا تقول كيف نبني العدل قد تتحول إلى مخدر. يصفق الناس، يفرغون غضبهم، ويعود كل شيء كما كان.
- بوجميع: الفن يمكن أن يوقظ، ويمكن أن يمنح الإنسان وهماً بأنه فعل شيئاً لمجرد أنه تأثر. لا توجد أغنية تسقط الظلم وحدها.
- الوادي: إذن بالغنا حين جعلنا ناس الغيوان حركة سياسية.
- بوجميع: ربما ظلمتم الفن حين أردتم منه أن يكون حزباً.
- الوادي: لقد حوّلتم البؤس إلى جمال. الفقر على الخشبة يصبح إيقاعاً، والجمهور يدفع ثمن التذكرة ليستمتع بألم الفقراء.
- بوجميع: هذه ليست مشكلتنا وحدنا. إنها مشكلة الفن منذ أن رسم الإنسان جرح إنسان آخر.
- الوادي: لا تختبئ خلف تاريخ الفن. هل يمكن أن يكون الفنان تاجراً في الألم؟
- بوجميع: نعم.
- الوادي: وهل كنتم كذلك؟
- بوجميع: اِسأل أولاً: هل اخترعنا الألم لنبيعه، أم وجدناه حولنا وحاولنا إعطاءه لغة؟
- الوادي: التاجر لا يخترع القمح أيضاً، لكنه يبيعه.

- بوجميع: الحد الفاصل هو: هل يصبح ألم الناس سلماً يصعد عليه الفنان بعيداً عنهم؟ إذا حدث ذلك، يبدأ الفساد.
- الوادي: ماذا تقول لمن يقلد ناس الغيوان اليوم: نفس الآلات، نفس النبرة، نفس الزي، نفس الحركات؟
- بوجميع: أقول له: أنت لا تحبنا، أنت تحنطنا. من يحب تجربة فنية حقيقية لا يكرر نتائجها، بل يكرر جرأتها.
- الوادي: أي أن الغيواني الحقيقي اليوم قد لا يشبه ناس الغيوان إطلاقاً؟
- بوجميع: بالضبط.
- الوادي: قد يغني بالراب؟ وبالإلكترونيك؟
- بوجميع: لم لا؟
- الوادي: وبلغة لا علاقة لها بقاموسكم؟
- بوجميع: إذا كان يقول زمنه بلغته، فهو أقرب إليّ من رجل يقلد صوتي ويرتدي ثيابي.
- الوادي: لو جلست اليوم إلى شباب الأحياء الشعبية وقالوا لك: أنتم أصبحتم جزءاً من المؤسسة الثقافية نفسها التي كنتم تتمردون عليها، ماذا تقول؟
- بوجميع: أقول: حاكمونا.
- الوادي: لا تدافع؟
- بوجميع: عن ماذا؟ إذا تحولت صورتنا إلى غطاء يمنع ظهور أصوات جديدة، فمزقوا الغطاء.
- الوادي: حتى صورتك؟
- بوجميع: اِبدأ بها.
- الوادي: حتى أغانيكم؟
- بوجميع: اِنتقدوها.
- الوادي: حتى "قداستكم"؟
- بوجميع: خصوصاً هذه.
- الوادي: أين أخطأ بوجميع؟

- بوجميع: تريد اعترافاً أخيراً؟
- الوادي: أريد أن أنزل الرجل من التمثال.
- بوجميع: إذن اسمع: كنت شاباً، متحمساً، وربما صدقت أحياناً أن حرارة الكلمة تكفي. لا تكفي. وربما ظننا أن القرب من الناس يعصم الفنان من الغرور. لا يعصمه. وربما لم نكن نتصور أن ما نصنعه سيتحول يوماً إلى معيار يخنق من يأتي بعدنا.
- الوادي: وهل ندمت؟
- بوجميع: الندم كلمة سهلة بعد الموت. لو عشت لربما راجعت أشياء كثيرة، وربما ارتكبت أخطاء أكبر.
- الوادي: إذن موتك حماك من اختبار الزمن.
- بوجميع: نعم.
- الوادي: وحرمنا من معرفة إن كان بوجميع سيبقى بوجميع.
- بوجميع: هذا هو السؤال الذي لن تجيب عنه الأسطورة أبداً.
- الوادي: سؤال أخير. ما الذي يخيفك أكثر لو عدت إلى المغرب اليوم؟
- بوجميع: ألا يغضب الشباب.
- الوادي: لماذا؟
- بوجميع: لأن المجتمع الذي يفقد قدرة شبابه على الغضب يصبح مؤدباً جداً أمام الخراب.
- الوادي: وما الذي يخيفك في الغضب نفسه؟
- بوجميع: أن يصبح عرضاً.
- الوادي: كيف؟
- بوجميع: يغضب الإنسان أمام الكاميرا، يجمع التصفيق، ثم يعود إلى حياته راضياً. حتى الاحتجاج يمكن أن يتحول إلى فرجة.
- الوادي: إذن لا الأغنية تكفي، ولا الصرخة تكفي، ولا الفنان يكفي.
- بوجميع: نعم.
- الوادي: فماذا يبقى؟

- بوجميع: أن يرفض الإنسان أن يكذب على نفسه.
- الوادي: هذه ثورة؟
- بوجميع: إن استطاع فعلها حقاً... فهي بداية كل ثورة.
- الوادي: وبوجميع؟
- بوجميع: أُتركوه يمُت.
- الوادي: ماذا؟
- بوجميع: كفوا عن إحيائي كي تهربوا من صناعة أصوات جديدة. أنا فعلت ما استطعت في زمني. لا تجعلوا من الغيوان ضريحاً تزورونه... اِجعلوا منه سؤالاً يطردكم من الضريح. والمرة القادمة يا أخي... لا تسأل الميت لماذا لم يغيّر العالم.
اِسأل الأحياء: ماذا فعلتم بكل هذا الوقت الذي منحكم إياه الموت؟

إدريس الشعراني



- الوادي: سأبدأ من الاسم الذي وضعته بنفسك أمام قصيدتك: "القصيدة الجمالية". لماذا يحتاج الشعر إلى لافتة جديدة؟ ألا يكفي أن يكون شعراً؟ أم أن القصيدة حين تعجز عن فرض نفسها بالنص تبحث لها عن "مشروع" يسبقها إلى القارئ؟
- الشعراني: الشعر الذي يكرر نفسه يموت. التسمية ليست عكازاً للنص، وإنما محاولة لتحديد أفق أشتغل داخله.
- الوادي: كل شاعر تقريباً يستطيع أن يقول: "أنا أفتح أفقاً جديداً". السؤال القاسي هو: ما الذي أضفته أنت إلى الشعر ولا نجده عند غيرك؟ لا تقل لي الجمال، فالشعر منذ امرئ القيس يبحث عن الجمال.
- الشعراني: أنا لا أدعي أنني اخترعت الجمال. أتحدث عن بناء شعري يجعل الجمالي محوراً للكتابة، لا زينة ملحقة بها.
- الوادي: لكن حين يتحول "الجمالي" إلى برنامج، ألا يصبح ضد الشعر؟ الشعر ابن المفاجأة، وأنت تريد أن تدخله إلى المختبر

وكأنك ما زلت أستاذ رياضيات تبحث عن معادلة: صورة + إيقاع + دهشة = قصيدة.
- الشعراني: من قال إن الرياضيات ضد الشعر؟ الرياضيات نفسها نظام خفي للجمال. قد تكون القصيدة أكثر حرية من المعادلة، لكنها ليست فوضى.
- الوادي: إذن أنت تحمل السبورة معك إلى القصيدة!
- الشعراني: وأنت تحمل المطرقة إلى الحوار.
- الوادي: لأنني لا أريد أن أجلس أمامك لأقول: شاعر جميل، تجربة جميلة، مدينة جميلة، ثم نتصافح ونذهب. أريد أن أعرف ماذا يبقى من إدريس الشعراني إذا نزعت عنه الألقاب والمهرجانات والدروع والتسميات؟
- الشعراني: تبقى القصيدة. وهي التي ينبغي أن تحاكمها.
- الوادي: أليس في بعض الكتابة التي تحتفي كثيراً بالجمال خوف من القبح الحقيقي للعالم؟ الفقر، العنف، السلطة، الهزيمة، الجسد المسحوق، الإنسان الذي لا يجد خبزه... أين يذهب كل هذا حين تصبح القصيدة حديقة؟
- الشعراني: من قال إن الجمال هروب من القبح؟ قد يكون الجمال نفسه شكلاً من أشكال المقاومة.
- الوادي: هذه العبارة قالها الشعراء ألف مرة. كيف يقاوم الجمال؟ هل يسقط طاغية؟ هل يشبع جائعاً؟ هل يفتح زنزانة؟
- الشعراني: لا. الشاعر الذي يزعم أن قصيدته تفعل ذلك مباشرة يكذب. الشعر لا يعوض السياسة ولا الخبز ولا العدالة. لكنه يحمي في الإنسان شيئاً يجعل الحياة جديرة بأن تُعاش.
- الوادي: أخشى أن تكون الإجابة نفسها قصيدة هاربة من السؤال.
- الشعراني: وأخشى أن تكون أنت أسير فكرة أن الحقيقة لا تكون حقيقة إلا إذا صرخت.
- الوادي: تحضر مدينة أبي الجعد في كتابتك وذاكرتك. لماذا يعود الكاتب باستمرار إلى مسقط الرأس؟ هل لأن المدينة كنز أدبي، أم

لأن الكاتب حين يتقدم في العمر يبدأ في تحويل طفولته إلى وطن مفقود؟
- الشعراني: المدينة الأولى ليست جغرافيا فقط. إنها اللغة الأولى، الوجوه الأولى، الخوف الأول، رائحة الأزقة، أصوات الناس...
- الوادي: أنا أخاف من النوستالجيا لأنها كاذبة قليلاً. الذاكرة تلمع ما مضى. تجعل الزقاق الضيق حميمياً، والفقر بساطةً، والقسوة حكمةً شعبية. ألا نخون الماضي حين نجمله؟
- الشعراني: نخونه أيضاً حين نحوله كله إلى سواد.
- الوادي: لكن عنوان "مدينة القرابين" ليس فيه الكثير من الاطمئنان. من هم القرابين، الناس أم الأحلام؟
- الشعراني: ربما الإثنان معاً.
- الوادي: ومن الذي يذبحهما؟
- الشعراني: الزمن أحياناً، المجتمع أحياناً، نحن أحياناً.
- الوادي: "نحن" هذه مريحة جداً؛ توزع الجريمة على الجميع حتى يختفي المجرم.
- الشعراني: رغبتك في العثور على مجرم واحد مريحة أيضاً؛ لأن الواقع أعقد من كرسي اتهام.
- الوادي: الشاعر في المغرب يستطيع أن يؤسس جمعية، ويحضر ملتقى، ويتلقى درعاً، ويكتب عنه أصدقاؤه، ثم يقتنع تدريجياً بأنه أصبح جزءاً من تاريخ الشعر. من يحمي الشاعر من الوهم؟
- الشعراني: النص.
- الوادي: لكنه لا يتكلم بنفسه. حوله أصدقاء، جمعيات، نقاد، مجاملات، صور، مهرجانات...
- الشعراني: والقارئ؟
- الوادي: أين هو هذا القارئ؟ دعنا نكن قاسيين: كم شاعراً مغربياً يقرأه الناس فعلاً خارج دائرة الشعراء الذين يقرأ بعضهم بعضاً؟
- الشعراني: هذه مشكلة ثقافية عامة، وليست جريمة يرتكبها الشاعر.

- الوادي: لكن الشاعر يتصرف أحياناً كأن القاعة الممتلئة بأصدقائه هي الجمهور.
- الشعراني: وأنت ماذا تريد منه؟ أن يكتب ثم يختبئ؟
- الوادي: أريده أن يشك. الشاعر الذي يتوقف عن الشك في قيمته الأدبية يبدأ في التحول إلى تمثال لنفسه.
- الشعراني: أتفق معك هنا.
- الوادي: قلت إنك تشتغل أيضاً على ما تسميه "الرواية المعرفة". لماذا هذا الإصرار على تسمية المشاريع؟ القصيدة الجمالية، الرواية المعرفة... ألا تخشى أن يصبح الناقد النظري داخلك أعلى صوتاً من المبدع؟
- الشعراني: التسمية طريقة في التفكير.
- الوادي: أم طريقة في التسويق الأدبي؟
- الشعراني: يمكن أن تتحول إلى ذلك إذا كان وراءها فراغ.
- الوادي: هل أنت واثق أن وراءها ما يكفي؟
- الشعراني: لو كنت واثقاً مائة بالمائة لما واصلت الكتابة.
- الوادي: هذه أول إجابة أحبها منك؛ لأنها تحمل شكاً. هل تعتقد أن إدريس الشعراني أخذ مكانه الحقيقي في الشعر المغربي؟
- الشعراني: التاريخ سيجيب.
- الوادي: هذه المقبرة الشهيرة التي يهرب إليها الأدباء: التاريخ سينصفني. ماذا لو لم ينصفك؟ ماذا لو مرّ بك ببساطة؟
- الشعراني: فسيمر.
- الوادي: أريد أن أعرف إن كان الكاتب يكتب لأنه يحتاج إلى الكتابة، أم لأنه يريد ألا يموت.
- الشعراني: كل كاتب يحمل شيئاً من الرغبتين.
- الوادي: إذن الأدب شكل راقٍ من الخوف من الموت؟
- الشعراني: أحياناً.
- الوادي: والكتاب شاهد قبر مؤجل؟
- الشعراني: وأحياناً نافذة مفتوحة بعد أن يُغلق القبر.

- الوادي: دعني أضعك أمام محكمة افتراضية. يقول لك ناقد: "إدريس الشعراني شاعر أعطى للمشروع والتسمية والتنظير أكثر مما أعطى للقطيعة الشعرية الحقيقية." ماذا تقول؟
- الشعراني: أقول له: إعطني النص، وأرني موضع الضعف فيه. لا تحاكمني بالعناوين.
- الوادي: ويقول آخر: "القصيدة الجمالية ليست جنساً شعرياً جديداً، وإنما إعادة تسمية لخصائص موجودة أصلاً في الشعر."
- الشعراني: أناقشه. وإذا أقنعني أراجِع نفسي.
- الوادي: تستطيع حقاً أن تتخلى عن المشروع الذي ارتبط باسمك؟
- الشعراني: إن أثبت لي أنه بلا معنى، نعم.
- الوادي: هنا لا أصدقك تماماً. الإنسان يدافع عن الأخطاء التي حملت اسمه أكثر مما يدافع عن الحقائق المجهولة.
- الشعراني: هذه جملة تنطبق عليك أيضاً.
- الوادي: بالتأكيد. ولهذا أجلس أمامك لا أعلى منك. هل يؤمن أستاذ الرياضيات داخلك فعلاً بالشاعر؟
- الشعراني: ولماذا لا يؤمن؟
- الوادي: لأن الرياضيات تريد البرهان، والشعر يعيش أحياناً من دون برهان.
- الشعراني: الشعر برهان من نوع آخر.
- الوادي: برهان على ماذا؟
- الشعراني: على أن الإنسان أكبر مما يمكن قياسه.
- الوادي: لكن أجمل معادلة في العالم لها نتيجة. ما نتيجة قصيدة؟
- الشعراني: أن تخرج منها مختلفاً عمّا دخلت.
- الوادي: وإذا خرجت كما دخلت؟
- الشعراني: إما أن القصيدة فشلت، أو أنك لم تدخل إليها أصلاً.
- الوادي: ها أنت تلقي نصف المسؤولية على القارئ!

- الشعراني: لأن القراءة ليست كرسياً يتلقى صاحبه الخدمة. إنها مشاركة.
- الوادي: الآن السؤال الذي لا يحبه الشعراء: هل كتبت قصائد سيئة؟
- الشعراني: طبعاً.
- الوادي: ونشرتها؟
- الشعراني: ربما. من المستحيل أن يكون كل ما كتبه شاعر في المستوى نفسه.
- الوادي: هل تستطيع اليوم أن تحذف نصف ما كتبت؟
- الشعراني: قد أحذف، لكن ليس لأنني أخجل من الماضي. النصوص الضعيفة أيضاً آثار لمسيرة.
- الوادي: لا أحب هذا التسامح. المتاحف مليئة بالآثار، أما الشعر فيحتاج إلى قسوة.
- الشعراني: القسوة نفسها قد تصبح استعراضاً.
- الوادي: لو طلبت منك أن تختار بين أن تبقى كل ألقابك وتضيع قصائدك، أو تضيع كل الألقاب وتبقى قصيدة واحدة عظيمة، ماذا تختار؟
- الشعراني: القصيدة.
- الوادي: لماذا يحب الشعراء الألقاب إلى هذا الحد؟
- الشعراني: لأنهم بشر.
- الوادي: هذه ربما مشكلتهم الكبرى.
- الشعراني: وهي أيضاً مصدر شعرهم.
- الوادي: أريد منك الآن تعريفاً للشعر من دون: جمال، دهشة، روح، حلم، لغة، موسيقى، حياة، وجود.
- الشعراني: حرمتني من قاموس الشعر كله تقريباً.
- الوادي: لهذا أسألك.
- الشعراني: الشعر... شيء يجعل ما نعرفه غريباً للحظة كي نراه من جديد.

- الوادي: هذه إجابة شاعر.
- الشعراني: أخيراً اِعترفت.
- الوادي: لم أعترف بك بعد. قلت فقط إن الإجابة لشاعر. والآن إلى السؤال الأخير. إذا جلس أمامك شاعر شاب وقال: أريد أن أصبح إدريس الشعراني الثاني، ماذا تقول له؟
- الشعراني: أقول له: إذا أصبحتَ إدريس الشعراني الثاني فقد فشلت.
- الوادي: لماذا؟
- الشعراني: لأن الشعر لا يحتاج نسخة مني. يحتاج النسخة الأولى منك.
- الوادي: وهل أنت متأكد أنك أنت نفسك استطعت أن تكون "النسخة الأولى" من إدريس الشعراني؟
- الشعراني: لا.
- الوادي: لا؟
- الشعراني: ذلك هو السبب الذي يجعلني أكتب حتى الآن.
- الوادي: إذن كل هذه الدواوين، والمشاريع، والجماليات، والرواية، والمدينة، والجوائز... ولم تصل؟
- الشعراني: الشاعر الذي يصل ينتهي.
- الوادي: والشاعر الذي لا يصل؟
- الشعراني: يمشي.
- الوادي: إلى أين؟
- الشعراني: نحو قصيدة يظن دائماً أنها ستكون أفضل قصائده.
- الوادي: ثم يكتبها؟
- الشعراني: لا.
- الوادي: إذن ما جدوى الطريق؟
- الشعراني: الطريق هو القصيدة.
- الوادي: هنا فقط أضع المطرقة جانباً.

عبد الهادي بلخياط



- الوادي: سي عبد الهادي، حين قلت إنك تبت وابتعدت عن الغناء، ألم تكن، من حيث لا تقصد، تقول لجمهور أحبَّ "قطار الحياة"، و"يا بنت الناس"، و"القمر الأحمر": لقد أمضيتم سنوات تستمعون إلى شيء ينبغي أن أتوب منه؟
- بلخياط: لا. أنا تحدثت عن نفسي، لا عن الناس. التوبة شأن بين العبد وربه.
- الوادي: لكنك لست شخصاً مجهولاً أغلق باب بيته وقال: إنتهى الأمر. أنت صوتٌ دخل ملايين البيوت. حين يتوب نجار لا تصبح الكراسي موضع شبهة، لكن حين يتوب مطرب عن الغناء، فإن أغانيه القديمة تقف فجأة في قفص الاتهام.
- بلخياط: من قال إنني وضعتها في قفص الاتهام؟
- الوادي: كلمة "تبت" تفعل ذلك وحدها.
- بلخياط: ربما الناس حمّلوها أكثر مما تحتمل.
- الوادي: أم أنك أنت حمّلت الفن أقل مما يستحق؟

- بلخياط: كيف؟
- الوادي: لأنك عشت عقوداً تصنع الجمال، ثم اكتشفت الطمأنينة في مكان آخر، وكأن الجمال والطمأنينة عدوان. لماذا كان عليك أن تغادر الفن كي تقترب من الله؟ لماذا لم تقل: سأبقى فناناً، لكنني سأجعل فني أعمق؟
- بلخياط: الإنسان حين تحدث له هزة روحية لا يجلس وراء مكتب ليصنع تسوية فلسفية. يشعر أن عليه أن يغيّر حياته.
- الوادي: أفهم تغيير الحياة. لكنني لا أفهم لماذا يكون الفن دائماً أول متهم.
- بلخياط: الشهرة قد تفتن الإنسان.
- الوادي: إذن المشكلة في الشهرة، لا في الغناء.
- بلخياط: ربما.
- الوادي: هذه الـ"ربما" خطيرة يا سي عبد الهادي. لأن آلاف الفنانين قد يسمعون منك أن الطريق إلى الله يمر عبر كسر العود وإطفاء الميكروفون.
- بلخياط: أنا لم أكسر عود أحد.
- الوادي: لكن الأسطورة تفعل أحياناً ما لا يفعله صاحبها. حين يعتزل عبد الهادي بلخياط، لا يعتزل شخص فقط؛ تنشأ حكاية تقول: المطرب الكبير رأى الحقيقة أخيراً فترك الغناء.
- بلخياط: هذه قراءة الآخرين، لا حكمي عليهم.
- الوادي: ولكنك كنت تعرف أن لصوتك سلطة.
- بلخياط: نعم.
- الوادي: إذن لا يمكنك أن تطلب المجد بصفتك فناناً، ثم حين تتغير تقول: قراري شخصي ولا شأن له بالجمهور. الشهرة عقد غير مكتوب. الجمهور يمنحك جزءاً من عمره، وأنت تمنحه صوتك.
- بلخياط: هل تريد أن يبقى الفنان أسير الجمهور حتى يموت؟

- الوادي: إطلاقاً. له الحق أن يصمت. لكن ليس له أن يوحي بأن صمته أرفع أخلاقياً من كلامه السابق.
- بلخياط: وإذا كنت أشعر بذلك في تجربتي الخاصة؟
- الوادي: قل: أنا تغيرت. لا تقل: تبت عن الفن.
- بلخياط: أنت تحاكم الكلمات.
- الوادي: لأنك مطرب. وأنت تعرف أكثر مني أن كلمة واحدة يمكن أن تعيش خمسين سنة.
- بلخياط: صحيح.
- الوادي: ماذا فعلت بعبد الهادي القديم؟
- بلخياط: لم أفعل به شيئاً.
- الوادي: بل دفنته حياً. ذلك الشاب الذي غنى الحب، ووقف أمام الآلاف، وأبكى الناس وأسعدهم... هل كان ضالاً؟
- بلخياط: لم أقل ذلك.
- الوادي: هل تخجل منه؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: هل تحبه؟
- بلخياط: هو أنا.
- الوادي: لا أصدقك تماماً. لو كان "هو أنت" لما احتجت إلى إعلان القطيعة معه.
- بلخياط: الإنسان يمر بمراحل.
- الوادي: المراحل لا تلغي بعضها. أنا لا أطالبك بالعودة إلى المنصة. أسألك فقط: لماذا يحتاج الإنسان عندنا إلى قتل نسخته السابقة كي يثبت صدق نسخته الجديدة؟
- بلخياط: لعلها رغبة في البداية من جديد.
- الوادي: ولكن لا بداية من جديد. صوتك يحمل كل ما غنيته. حتى حين تنشد قصيدة صوفية، الناس يسمعون خلفها عبد الهادي الذي غنى الحب.
- بلخياط: ربما لم أكن أريد محو ذلك أصلاً.

- الوادي: الآن اقتربنا.
- بلخياط: من ماذا؟
- الوادي: من التناقض الجميل الذي حاولت الهرب منه. أنت لم تتخلص من الفنان. أخذته معك إلى الروحانية.
- بلخياط: ما العيب في ذلك؟
- الوادي: لا عيب. العيب أنك ربما سمّيت الرحلة "خروجاً من الفن"، بينما كانت في الحقيقة انتقالاً داخل الفن.
- بلخياط: تفسيرك أنت.
- الوادي: طبعاً. لكن قل لي: حين وقفت بعد الاعتزال لتنشد قصائد دينية أمام الجمهور، ألم تكن ما تزال تفعل الشيء نفسه؟ صوت، مقام، إيقاع، جمهور، خشبة، تصفيق...
- بلخياط: النية مختلفة.
- الوادي: هنا مشكلتي الثانية معك: هل تكفي النية لتغيير طبيعة الشيء؟
- بلخياط: النية أساس.
- الوادي: روحياً نعم. فنياً لا. القصيدة الصوفية حين تغنيها تصبح فناً، مهما كانت نيتك.
- بلخياط: لم أقل إنها ليست فناً.
- الوادي: إذن أنت لم تعتزل الفن.
- بلخياط: اِعتزلت لوناً منه.
- الوادي: كان يمكن أن توفر علينا سنوات من الالتباس لو قلتها هكذا منذ البداية.
- بلخياط: تريد أن تربح المناظرة بأي ثمن.
- الوادي: لا. أريد أن أمنع كلمة "التوبة" من أن تتحول إلى سكين فوق رقبة الفن.
- بلخياط: أنت تدافع عن الفن كأنه دين.

- الوادي: لا. أدافع عنه لأنه متهم دائماً. السياسة تفسد الفن. المجتمع ينافق الفن. الإنسان يشتهي الأغنية. وعندما يشيخ الفنان ويخاف الموت، يُطلب من الفن أن يدفع الفاتورة.
- بلخياط: الآن تجاوزت حدودك.
- الوادي: لهذا أنا هنا.
- بلخياط: تقول إنني اعتزلت لأنني خفت الموت؟
- الوادي: أسألك: كم في التحول الروحي من يقين، وكم فيه من خوف؟
- بلخياط: ومن لا يخاف الموت؟
- الوادي: كلنا. لكن الفنان حين يشيخ يصبح السؤال أكثر قسوة: ماذا لو اكتشف أن التصفيق لا يرافقه إلى القبر؟
- بلخياط: بالطبع لا يرافقه.
- الوادي: فهل يصبح التصفيق بلا قيمة؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: والأغنية؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: والحب الذي غنيته؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: إذن لماذا نضع الدنيا والآخرة دائماً على طرفي حبل، ونطلب من الإنسان أن يقطع أحدهما لينجو بالآخر؟
- بلخياط: لأن القلب قد يمتلئ بشيء حتى لا يبقى فيه مكان لشيء آخر.
- الوادي: أنا أخالفك. القلب الذي لا يتسع إلا لشيء واحد قلب فقير.
- بلخياط: هذه فلسفتك.
- الوادي: نعم. كما أن الاعتزال كان فلسفتك.
- بلخياط: كان تجربة، لا فلسفة.

- الوادي: التجربة حين يرويها شخص بحجمك تتحول إلى خطاب عام، شئت أم أبيت.
- بلخياط: ماذا تريد مني إذن؟ أن أعتذر لأنني بحثت عن السكينة؟
- الوادي: أبداً. أريد منك أن تصالح بين الرجلين: الذي غنى للمرأة، والذي أنشد لله.
- بلخياط: لماذا تفترض أنهما متخاصمان؟
- الوادي: لأن خطابنا الثقافي يحب أن يجعلهما متخاصمين. ربما كانت أجمل قصائدك الروحية ممكنة فقط لأنك قضيت عقوداً تغني الحب الإنساني.
- بلخياط: كيف؟
- الوادي: لأن الصوت لا يدخل العشق الإلهي بلا ذاكرة. من لم يعرف الوجد الأرضي، كيف يفهم لغة الوجد الصوفي؟ الكلمات تتغير، لكن الارتعاشة واحدة.
- بلخياط: إنتبه. لا تخلط المقامات.
- الوادي: لا أساوي بينها. أقول إن الإنسان واحد. الحنجرة التي قالت "أحبك" هي نفسها التي قالت "يا رب".
- بلخياط: نعم، الحنجرة واحدة.
- الوادي: والقلب؟
- بلخياط: القلب يتغير.
- الوادي: لكنه لا يولد من الصفر.
- بلخياط: صحيح.
- الوادي: إذن عبد الهادي المتعبد مدين لعبد الهادي المطرب.
- بلخياط: ربما.
- الوادي: مرة أخرى "ربما".
- بلخياط: ماذا تريد؟ شهادة اعتراف؟
- الوادي: نعم.
- بلخياط: بماذا؟

- الوادي: بأن الفن لم يكن خطيئتك. هل ندمت على الجمال الذي صنعته؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: هل ندمت على أن الناس أحبوا صوتك؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: هل ندمت على أغنية خففت وجع إنسان؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: هل ندمت على عاشق وجد في أغنيتك ما لم يستطع قوله؟
- بلخياط: لا.
- الوادي: إذن على ماذا كانت التوبة؟
- بلخياط: على أشياء تخصني أنا.
- الوادي: هذه أول إجابة عادلة للفن قلتها منذ بدأنا.
- بلخياط: ربما لأنك لم تكن تريد أن تسمع غيرها.
- الوادي: وربما لأنك احتجت إلى عمر كامل كي تقولها بهذه البساطة.
- بلخياط: لا تكن مغروراً.
- الوادي: لست مغروراً. أنا غاضب فقط من ثقافة تجعل الفنان يعتذر عن الفرح في آخر حياته.
- بلخياط: وأنا غاضب من ثقافة تجعل الفنان عبداً للأضواء حتى آخر حياته.
- الوادي: جميل. هنا نتساوى.
- بلخياط: لا، هنا يبدأ الحوار الحقيقي.
- الوادي: إذن لنسأل السؤال الأصعب: لمن كان صوت عبد الهادي بلخياط؟
- بلخياط: لي.
- الوادي: خطأ. حنجرتك لك. أما الصوت، بعد أن دخل ذاكرة الناس، صار لهم أيضاً.

- بلخياط: هل تصادر حقي في الصمت؟
- الوادي: لا. أصادر فقط حقك في إلغاء ذاكرة الآخرين.
- بلخياط: لم ألغها.
- الوادي: هذا سبب خلودك رغم اعتزالك. أنت صمتَّ، وهم واصلوا الاستماع. الفنان يستطيع ترك المنصة، لكنه لا يستطيع إخراج نفسه من ذاكرة جمهوره.
- بلخياط: ربما تلك هي ضريبة الفن.
- الوادي: أو مكافأته.
- بلخياط: الاثنان معاً.
- الوادي: الآن أريد منك أن تتخيل أنك أمام عبد الهادي الشاب في بداية الطريق. ماذا تقول له؟
- بلخياط: أقول له: لا تجعل التصفيق يخدعك.
- الوادي: أنا سأقاطعه وأقول له: ولا تجعل الخوف يوماً يقنعك أن التصفيق كان بلا معنى.
- بلخياط: ستفسد عليّ النصيحة كالعادة.
- الوادي: لأنني أخشى عليك من الحكمة حين تتحول إلى محكمة.
- بلخياط: ماذا تقول أنت للشاب؟
- الوادي: سأقول له: غنِّ. لكن لا تجعل الجمهور إلهاً. وأحبّ. لكن لا تجعل الحب صنماً. وإذا جاء يوم اخترت فيه الصمت، فلا تلعن صوتك القديم، لأن آلاف الناس ربما بنوا جزءاً من حياتهم فوق أغنية منك.
- بلخياط: كلام جميل.
- الوادي: لا تجاملني.
- بلخياط: لم أجامل طوال الحوار، فلماذا أبدأ الآن؟
- الوادي: سؤال أخير، وسيكون أشدها. لو عاد بك الزمن، هل ستغني من جديد؟
- بلخياط: لو عاد بي الزمن وأنا أعرف ما أعرف الآن...
- الوادي: نعم؟

- بلخياط: سأغني.
- الوادي: ماذا؟
- بلخياط: ربما الأغاني نفسها.
- الوادي: إذن هزمتك.
- بلخياط: لا تتعجل.
- الوادي: تفضل.
- بلخياط: سأغنيها، لكنني سأعرف منذ البداية أن الصوت أمانة، وأن الشهرة عابرة، وأن الإنسان أكبر من صورته في الملصق.
- الوادي: وأنا سأعتبر ذلك انتصاراً للفن.
- بلخياط: وأنا سأعتبره انتصاراً على الفن. حين تستطيع أن تغني دون أن يملكك الغناء، تكون قد انتصرت عليه.
- الوادي: وحين تستطيع أن تؤمن دون أن تحتقر الأغنية، تكون قد انتصرت على الخوف.
- بلخياط: ما زلت تريد الكلمة الأخيرة.
- الوادي: هذه مهنتي.
- بلخياط: وأنا مهنتي أن أحول الكلمة الأخيرة إلى نغمة.
- الوادي: لكنك اعتزلت.
- بلخياط: قلت لك منذ قليل إنك لم تفهم اعتزالي.
- الوادي: كيف أفهمه؟
- بلخياط: أنا لم أقتل المطرب.
- الوادي: ماذا فعلت به إذن؟
- بلخياط: طلبت منه أن ينزل من المنصة ويجلس بجانبي.
- الوادي: وهل جلس؟
- بلخياط: ظل يغني في داخلي.
- الوادي: إلى النهاية؟
- بلخياط: إلى النهاية.
- الوادي: إذن، لم يكن "قطار الحياة" أغنية فقط.
- بلخياط: لا.

- الوادي: ماذا كان؟
- بلخياط: كان اعترافاً مبكراً بأن لا أحد يستطيع النزول من القطار قبل محطته.
- الوادي: حتى الفنان الذي أعلن أنه نزل؟
- بلخياط: خصوصاً هو.
- الوادي: والآن، بعد أن توقف القطار؟
- بلخياط: القطار يتوقف.
- الوادي: والصوت؟
- بلخياط: الصوت لا يعرف المحطات.

محمد برادة



- الوادي: أستاذ برادة، هل خدمتَ الرواية المغربية، أم ساهمتَ في جعلها أكثر نخبوية وأقل قدرة على الوصول إلى الناس؟
- برادة: لماذا تفترض أن الوصول إلى الناس هو المقياس الوحيد لقيمة الأدب؟
- الوادي: لأنه حين يحتاج القارئ إلى ناقد كي يشرح له الرواية، أشك في أن الرواية قد نسيت وظيفتها الأولى: أن تُقرأ.
- برادة: هذه حجة خطيرة. بهذا المنطق علينا أن نكتب ما يطمئن القارئ إلى عاداته، لا ما يزعزعها.
- الوادي: أنا لا أطالبك بتطمينه. أطالبك ألا تعاقبه لأنه لم يدرس البنيوية والسيميائيات.
- برادة: الأدب لا يعاقب أحداً. الأدب يقترح أشكالاً جديدة لرؤية العالم.

- الوادي: لكن بعض الحداثيين جعلوا الشكل أهم من العالم نفسه. صرنا نرى روايات تعرف جيداً كيف تُكتب، ولا تعرف لماذا كُتبت.
- برادة: أنت تريد رواية تحمل لافتة تقول: "هذه هي قضيتي".
- الوادي: لا. أريدها أن تنزف. بعض الروايات الحديثة ماهرة جداً، لكنها لا تنزف.
- برادة: وهل النزيف معيار نقدي؟
- الوادي: ربما لا. لكنه معيار حياة.
- برادة: أنت تستعمل لغة الشاعر لتُحاكم بها الرواية.
- الوادي: وأنت تستعمل لغة الناقد لتحمي بها الروائي.
- برادة: إذن نحن متعادلان.
- الوادي: لسنا متعادلين بعد. أنت من جيل رفع راية الحداثة عالياً. بعد كل هذه العقود، هل تستطيع أن تقول إن الحداثة العربية حررت العقل فعلاً؟
- برادة: الحداثة ليست انقلاباً عسكرياً يستولي على السلطة في ليلة واحدة. إنها سيرورة طويلة.
- الوادي: كلمة "سيرورة" نفسها أصبحت مخبأً ممتازاً للهزائم.
- برادة: الهزيمة عندك دليل على بطلان الفكرة؟
- الوادي: لا. لكنها تفرض مراجعتها. نحن نردد منذ نصف قرن: الحداثة، الديمقراطية، العقلانية، حرية التعبير، ثم ننظر حولنا فنجد المجتمع أكثر خوفاً، والمثقف أقل تأثيراً.
- برادة: لأنك تمنح المثقف قوة لا يمتلكها أصلاً. المثقف ليس قائد جيش.
- الوادي: لكنه كان يتصرف أحياناً كما لو كان قائداً أخلاقياً للأمة.
- برادة: ربما كانت تلك إحدى أوهام جيلنا.
- الوادي: أخيراً اعترفتَ بوهم.
- برادة: الاعتراف بالأوهام جزء من الحداثة التي تهاجمها.
- الوادي: أنا لا أهاجم الحداثة. أهاجم كهنوت الحداثة.

- برادة: وما كهنوتها؟
- الوادي: أن تتحول أسماء مثل باختين وبارت وفوكو إلى أصنام صغيرة يخاف الكاتب العربي أن يكتب جملة قبل أن يستأذنها.
- برادة: أنت تبالغ.
- الوادي: والنقد العربي لم يبالغ حين جعل النصوص حقولاً لتجريب المصطلحات المستوردة؟
- برادة: المعرفة لا وطن لها.
- الوادي: صحيح. لكن المصطلح قد يصل بالطائرة، بينما الواقع يمشي حافياً.
- برادة: عبارة جميلة، لكنها لا تحل المشكلة.
- الوادي: لا أريد حلها. أريد كشفها.
- برادة: إذن أنت تفعل ما يفعله الناقد.
- الوادي: ولكن بلا جهاز مفاهيمي.
- برادة: هذا أحياناً جهاز مفاهيمي أيضاً، وإن كنت لا تعترف به.
- الوادي: دعنا نذهب إلى الرواية. في لعبة النسيان، الذاكرة ليست خزينة مطمئنة. كأنك تقول إننا لا نتذكر ما حدث، بل نعيد تأليفه.
- برادة: لأن الذاكرة ليست محضر شرطة.
- الوادي: لكن ألا يخيفك هذا؟ إذا كانت الذاكرة تعيد كتابة الماضي، فمن يضمن الحقيقة؟
- برادة: لا أحد. الحقيقة الإنسانية لا تصلنا معقمة.
- الوادي: هذا بالضبط ما تستفيد منه السلطة أيضاً: "لكل واحد روايته".
- برادة: لا تخلط بين تعدد وجهات النظر ومحو الوقائع.
- الوادي: الحد الفاصل بينهما صار دقيقاً جداً.
- برادة: مهمة الكاتب أن يحافظ على ذلك الحد.
- الوادي: وهل حافظ عليه المثقف المغربي؟
- برادة: أي مثقف؟ لا يوجد كائن اِسمه "المثقف المغربي" بصيغة المفرد.

- الوادي: جميل. حين نتكلم عن المسؤولية نصبح أفراداً، وحين نتكلم عن المجد نصبح جيلاً. ماذا فعل المثقفون المغاربة حين اقتربت السلطة منهم؟
- برادة: بعضهم قاوم، بعضهم ساوم، بعضهم صمت.
- الوادي: وبعضهم سمّى المساومة "واقعية سياسية".
- برادة: ربما.
- الوادي: وبعضهم سمّى الصمت "حكمة".
- برادة: ربما.
- الوادي: وبعضهم سمّى الامتياز "اِعترافاً بالمسار".
- برادة: تريد مني أن أصدر أحكاماً بالجملة، لن أفعل.
- الوادي: النقد سهل حين يكون النص أمامك، وأصعب حين يكون الصديق أمامك؟
- برادة: بلا شك.
- الوادي: إذن النقد يحتاج إلى شجاعة أكثر مما يحتاج إلى منهج.
- برادة: يحتاج إليهما معاً.
- الوادي: لكننا خرّجنا نقاداً كثيرين ولم نخرّج شجعاناً بالقدر نفسه.
- برادة: الشجاعة ليست تخصصاً جامعياً.
- الوادي: للأسف. كنت قريباً من أسئلة الفرنكفونية والترجمة والثقافة الفرنسية. ألا تعتقد أن جزءاً من النخبة المغربية ظل ينظر إلى نفسه في مرآة باريس؟
- برادة: لا أقبل هذه الصياغة التبسيطية.
- الوادي: لماذا؟ أليست باريس، بالنسبة إلى أجيال من مثقفينا، أكثر من مدينة؟ كانت ختماً للجودة.
- برادة: الثقافة الفرنسية كانت نافذة.
- الوادي: النافذة جيدة، ما لم يتحول البيت كله إلى نافذة.
- برادة: والانغلاق داخل "الأصالة" ليس بيتاً أيضاً، بل قبو.

- الوادي: أتفق معك. لكنني أسأل: لماذا كان على الكاتب المغربي أحياناً أن يمر عبر اعتراف الآخر حتى ننتبه إليه نحن؟
- برادة: تلك عقدة ثقافية تتجاوز الأفراد.
- الوادي: لكنها لا تتجاوز مسؤوليتهم. أنت تؤمن بالتجريب.
- برادة: أؤمن بأن الرواية لا ينبغي أن تتحول إلى وصفة.
- الوادي: وأنا أخشى أن يتحول التجريب نفسه إلى وصفة.
- برادة: كيف؟
- الوادي: كسر الزمن، تعدد الأصوات، تشظي الحكاية، الراوي المراوغ، اللعب بالذاكرة، ثم نضع على الغلاف كلمة "رواية" وننتظر النقاد.
- برادة: تسخر من أدوات هي جزء من تطور الفن الروائي.
- الوادي: أسخر حين تصبح الأدوات غاية.
- برادة: أتفق. التجريب الذي لا يكشف منطقة جديدة في الإنسان مجرد ألعاب تقنية.
- الوادي: هذه الكلمة كان ينبغي لبعض طلبتك أن يسمعوها مبكراً.
- برادة: وربما لبعض خصومي أيضاً.
- الوادي: هل الرواية العربية اليوم أكثر حرية؟
- برادة: تقنياً، نعم.
- الوادي: وإنسانياً؟
- برادة: السؤال أصعب.
- الوادي: وسياسياً؟
- برادة: أصعب.
- الوادي: إذن اِكتسبنا حرية في ترتيب الفصول وخسرنا حرية ترتيب المجتمع؟
- برادة: الكاتب لا يرتب المجتمع.
- الوادي: لكنه يحلم بذلك سراً.
- برادة: في الشباب، ربما.
- الوادي: وفي الشيخوخة؟

- برادة: يكتشف أن المجتمع كان يقرأه أقل مما كان يتخيل. لكنه يحرر الكاتب من الغرور.
- الوادي: هل تحررتَ منه؟
- برادة: لا أحد يتحرر تماماً من غروره.
- الوادي: حتى النقاد؟
- برادة: خصوصاً النقاد.
- الوادي: سؤال أخير. لو عاد محمد برادة شاباً، هل سيكتب الكتب نفسها؟
- برادة: بالتأكيد لا.
- الوادي: هل سيتبنى الأفكار نفسها؟
- برادة: أتمنى ألا يفعل.
- الوادي: لماذا؟
- برادة: لأن أسوأ ما يمكن أن يحدث لمثقف في العشرين هو أن يكون نسخة مبكرة من نفسه في الثمانين.
- الوادي: وأنا أخشى العكس.
- برادة: ماذا تخشى؟
- الوادي: أن يقضي المثقف حياته كلها في تغيير لغته، بينما تظل تنازلاته ثابتة.
- برادة: ما الذي يدفعك إلى كل هذه القسوة؟
- الوادي: لم آتِ لألتقط صورة تذكارية معك.
- برادة: وأنا لم أجلس لأمنحك شهادة حسن السيرة.
- الوادي: إذن اتفقنا أخيراً.
- برادة: على ماذا؟
- الوادي: على أن الحوار الحقيقي لا ينتهي باتفاق.
- برادة: يبدأ عندما يصبح الاتفاق مستحيلاً.
- الوادي: ربما الأدب كذلك.
- برادة: لا، الأدب أشد خبثاً.
- الوادي: كيف؟

- برادة: يجعلك تقضي عمرك تحاول الانتصار عليه...
- الوادي: ثم؟
- برادة: ثم تكتشف، في الصفحة الأخيرة، أنه كان يكتبك أنت.

محمد جسوس



- الوادي: أستاذ جسوس، قضيتَ عمراً تحلل المجتمع المغربي. هل غيّرتَ شيئاً فيه، أم أنك كنتَ فقط طبيباً يكتب تقرير الوفاة بدقة؟
- جسوس: عالم الاجتماع لا يملك مشرط الجراح ولا عصا الحاكم. وظيفته أن يكشف ما يُراد له أن يبقى مستوراً.
- الوادي: المثقف يكشف، والسلطة تحكم، والشعب يدفع الثمن. وفي النهاية يعود المثقف إلى بيته راضياً لأنه كشف.
- جسوس: تريد من المثقف أن يتحول إلى قائد انقلاب؟
- الوادي: أريده ألا يجعل من العجز فضيلة.
- جسوس: وأنا أريد من المجتمع ألا يجعل من المثقف نبياً. المثقف الذي يعد الناس بالخلاص أخطر أحياناً من السياسي الذي يكذب عليهم.

- الوادي: ولكنكم، أنتم علماء الاجتماع، حولتم المغربي أحياناً إلى موضوع دراسة: الفقر، الهشاشة، الأمية، البادية، المخزن، النخبة... صنفتم كل شيء. هل سألتم يوماً ذلك المغربي ماذا يريد؟
- جسوس: كان يقول ما يريد منذ عقود.
- الوادي: وماذا كان يريد؟
- جسوس: أن يُعامل كمواطن لا كرعية.
- الوادي: وهل أصبح مواطناً؟
- جسوس: اِسأل الدولة.
- الوادي: لا. أنا أسألك أنت. لأن الاختباء وراء كلمة "الدولة" هو أول أبواب الهروب. من هي الدولة؟ شرطي؟ قائد؟ وزير؟ حزب؟ رجل أعمال؟ شبكة مصالح؟ أم نحن جميعاً؟
- جسوس: الدولة في مجتمعاتنا ليست بناية واحدة. إنها علاقات قوة متراكمة. سلطة سياسية، إقتصاد، إدارة، نخب، ولاءات، وخوف اجتماعي يعيد إنتاج نفسه.
- الوادي: قلتَ "خوف". هل المغرب محكوم بالخوف؟
- جسوس: جزء منه محكوم بالخوف، وجزء آخر محكوم بالمصلحة، وجزء ثالث محكوم بالأمل.
- الوادي: والأغلبية؟
- جسوس: محكومة بالحاجة.
- الوادي: إذن الفقير ليس حراً؟
- جسوس: الحرية التي لا تستطيع أن ترفض بها الخبز مقابل صوتك حرية ناقصة.
- الوادي: كل بضع سنوات يقال للمغربي: اِختر مستقبلك. ثم يكتشف أن المستقبل سبق أن اختاره آخرون. أليست الانتخابات أحياناً مجرد مسرحية اجتماعية كبرى؟
- جسوس: حين تكون المؤسسات ضعيفة، والمال قوياً، والزبونية متجذرة، يصبح الاقتراع وحده عاجزاً عن إنتاج الديمقراطية.
- الوادي: لم أقل عاجزاً. قلت: مسرحية.

- جسوس: المسرحية تفترض نصاً مكتوباً بالكامل.
- الوادي: أنت غير مقتنع أن النص مكتوب؟
- جسوس: مقتنع بأن هوامش الحركة تضيق وتتسع بحسب موازين القوى.
- الوادي: لغة عالم اجتماع ممتازة للهروب من كلمة واحدة: التحكم.
- جسوس: أنت تستخدم كلمة "التحكم" كأنها مفتاح يفتح كل الأبواب. المجتمع أعقد من مؤامرة واحدة.
- الوادي: هذه أيضاً حيلة أكاديمية. كلما اقتربنا من المسؤول، قلتم: المجتمع معقد.
- جسوس: لأنه معقد فعلاً. أخطر شيء أن نعفي المجتمع من مسؤوليته ونحمّل جهازاً خفياً كل الشرور.
- الوادي: أتريد تحميل الضحية جزءاً من جريمة جلادها؟
- جسوس: لا. أريد أن أفهم كيف ينجح الجلاد في العثور دائماً على من يساعده.
- الوادي: الآن اقتربنا من الجرح.
- جسوس: الجرح ليس أن هناك سلطة فقط، بل أن السلطة تجد داخل المجتمع من يعيد إنتاجها: في الأسرة، في المدرسة، في الحزب، في الإدارة، في الجامعة.
- الوادي: حتى في الجامعة؟
- جسوس: خصوصاً في الجامعة.
- الوادي: الجامعة التي كنتَ جزءاً منها؟
- جسوس: نعم.
- الوادي: إذن أنت متهم كذلك.
- جسوس: بالطبع.
- الوادي: أُتّهم جيلكم بأنه كان يعرف أكثر مما يجب، ويتكلم أقل مما يجب.
- جسوس: وجيلكم؟

- الوادي: لا تغيّر الاتجاه.
- جسوس: بل سأغيره. الصدام الحقيقي ليس أن تستجوب ميتاً لا يستطيع الانسحاب من الحوار. الصدام أن تقبل أن يعود السؤال إليك. ماذا فعل جيلكم بكل المعرفة التي تراكمت؟ هل بنى مؤسسات؟ هل حمى المدرسة؟ هل جعل الحزب أكثر ديمقراطية؟ هل حرر الجامعة من الرداءة؟ أم اكتفى بسبّ الدولة في المقاهي؟
- الوادي: أنت تساوي بين سلطة تملك القرار ومواطن لا يملك شيئاً.
- جسوس: لا أساوي. أوزع المسؤوليات بقدر القوة. من يملك السلطة يتحمل المسؤولية الأكبر. لكن من يتنازل عن حقه في التفكير يتحمل نصيبه من الخراب.
- الوادي: فلنتحدث عن المدرسة. من دمّر التعليم ببلادنا؟
- جسوس: السؤال نفسه مضلل.
- الوادي: لماذا؟
- جسوس: لأنك تبحث عن قاتل واحد لجثة شارك كثيرون في قتلها.
- الوادي: إعطني الأسماء.
- جسوس: سياسات مرتبكة. تفاوت طبقي. تعليم خصوصي يتوسع. مدرسة عمومية تفقد ثقة الطبقة الوسطى. لغة تدريس غير محسومة. جامعة مكتظة. تكوين ضعيف. بيروقراطية. ومجتمع يريد من الشهادة وظيفة أكثر مما يريد منها معرفة.
- الوادي: نسيت الدولة مرة أخرى.
- جسوس: وضعتها أولاً حين قلت "السياسات".
- الوادي: لا، خبأتها داخل كلمة.
- جسوس: أنت تريدني أن أختزل تاريخاً كاملاً في متهم واحد؛ لأن ذلك أكثر راحة للغضب.
- الوادي: الغضب أحياناً أكثر صدقاً من الدراسات.
- جسوس: وأكثر عمى أيضاً.

- الوادي: هل الموضوعية ليست شكلاً من أشكال البرودة الأخلاقية؟
- جسوس: لا توجد موضوعية بلا موقف أخلاقي حين تدرس الظلم. لكن هناك فرق بين أن تفهم الظلم وأن تصرخ في وجهه فقط.
- الوادي: ماذا أفادنا الفهم؟
- جسوس: السؤال نفسه خطير. كأنك تقول: ما دام الفكر لم يُسقط الظلم، فلا حاجة إلى الفكر.
- الوادي: أنا أقول: حين يصبح الفكر بلا أثر، يتحول إلى زينة.
- جسوس: صحيح.
- الوادي: إذن كثير من الجامعة المغربية زينة.
- جسوس: وأحياناً مقبرة.
- الوادي: مقبرة ماذا؟
- جسوس: الأسئلة.
- الوادي: لأن الأستاذ يخاف؟
- جسوس: بعضهم يخاف. بعضهم تعب. بعضهم اشترى سلامه. وبعضهم لم يعد يملك سؤالاً أصلاً. والأسوأ الذي يعلّم طلابه الطاعة ثم يحدثهم عن الفكر النقدي.
- الوادي: هذا موجود في الجامعة وفي الأحزاب.
- جسوس: وفي البيوت أيضاً.
- الوادي: أنت مصرّ على إعادة السلطة إلى المجتمع.
- جسوس: لأن الاستبداد ليس شرطياً فقط. قد يكون أباً لا يسمح لابنته بالكلام. أستاذاً يذل طالباً. مديراً يحتقر موظفاً. مثقفاً يحتكر الحقيقة. معارضاً صغيراً يحلم بأن يصبح طاغية كبيراً.
- الوادي: وهل بهذه الفكرة لا نبرئ السلطة السياسية؟
- جسوس: لا. بل نفهم لماذا تستطيع السلطة السياسية الاستمرار.
- الوادي: هل خانت النخبة المجتمع؟
- جسوس: أي نخبة؟

- الوادي: ها قد عدنا إلى التفكيك.
- جسوس: لأن كلمة "النخبة" كيس كبير. فيه المناضل والانتهازي، العالم والجاهل، المقاوم والسمسار.
- الوادي: المثقف الذي بدأ يسارياً وانتهى مستشاراً؛ الذي كان يهتف ضد الامتياز ثم دخل قاعة الامتياز؛ الذي كان يتحدث باسم الفقراء ثم صار يخاف منهم.
- جسوس: بعض المسارات السياسية تحولت فعلاً من تغيير قواعد اللعبة إلى محاولة الحصول على مقعد أفضل داخلها.
- الوادي: هذه خيانة.
- جسوس: أحياناً.
- الوادي: لماذا أحياناً؟
- جسوس: لأن السياسة ليست رهبنة. التسوية ليست دائماً خيانة.
- الوادي: متى تصبح كذلك؟
- جسوس: حين لا تعود تعرف ماذا تنازلت عنه، ولماذا، ولصالح من.
- الوادي: وحين يصبح المناضل موظفاً عند النظام الذي كان يريد تغييره؟
- جسوس: السؤال ليس أين يعمل، بل ماذا أصبح يفعل.
- الوادي: أنت تمنح الجميع مخارج.
- جسوس: وأنت تبحث عن المقصلة.
- الوادي: لأن التاريخ المغربي امتلأ بالمخارج حتى ضاعت المداخل. من يملك البلد؟
- جسوس: لا أحد يملكه كاملاً.
- الوادي: جواب جبان.
- جسوس: بل جواب يزعجك لأنه لا يقدم لك شيطاناً واحداً.
- الوادي: من يملك الأرض والمال والإعلام والقرار يملك أكثر ممن يملك بطاقة تعريفه الوطنية فقط.
- جسوس: بالطبع.

- الوادي: إذن هناك مغاربة أكثر مغربية من مغاربة آخرين.
- جسوس: هناك مغاربة أكثر قدرة على تحويل مواطنتهم إلى قوة.
- الوادي: بسبب المال؟
- جسوس: المال، القرابة، الموقع، التعليم، العلاقات، القرب من دوائر القرار، القدرة على الوصول.
- الوادي: وماذا يبقى للفقير؟
- جسوس: العدد.
- الوادي: العدد بلا تنظيم قطيع.
- جسوس: هذه هي المعضلة.
- الوادي: إذن لماذا يخافون من التنظيم؟
- جسوس: لأن الفرد الغاضب مشكلة أمنية. أما المواطن المنظم فهو مشكلة سياسية.
- الوادي: هذه أخطر كلمة قلتها.
- جسوس: لأنها تفسر لماذا يجري أحياناً إضعاف الوسائط: الحزب، النقابة، الجمعية، الجامعة، الصحافة المستقلة.
- الوادي: حتى يصبح المواطن وحيداً أمام الدولة؟
- جسوس: وأمام السوق.
- الوادي: أيهما أخطر؟
- جسوس: حين يتحالفان، لا معنى للسؤال.
- الوادي: وهل تحالفا عندنا؟
- جسوس: أُنظر إلى من يستفيد من القرارات الكبرى ثم أجب بنفسك.
- الوادي: بدأتَ تتكلم مثلي.
- جسوس: لا. أنت تبدأ من الاتهام لتصل إلى الدليل. أنا أبدأ من الوقائع لأعرف من أتهم.
- الوادي: ماذا عن الشعب، هل هو بريء؟

- جسوس: لا يوجد شعب بريء بالكامل. الشعب قد يكون ضحية ومستبداً في الوقت نفسه. قد يطالب بالحرية لنفسه ويرفضها لامرأة في بيته. قد يلعن الرشوة ثم يدفعها. قد يسب المحسوبية ثم يبحث عن قريب يتوسط له.
- الوادي: لأنه يعيش داخل نظام يفرض عليه ذلك.
- جسوس: صحيح، لكنه حين يمارسه يعيد إنتاجه.
- الوادي: إذن نحن في دائرة مغلقة؟
- جسوس: ليست مغلقة.
- الوادي: أين الباب؟
- جسوس: التعليم.
- الوادي: التعليم نفسه الذي قلت إنه يحتضر؟
- جسوس: لهذا بالضبط هو ساحة المعركة.
- الوادي: لا الانتخابات؟
- جسوس: الانتخابات معركة موسم. التعليم معركة أجيال.
- الوادي: لا الاقتصاد؟
- جسوس: من دون تعليم جيد، حتى التنمية قد تنتج مستهلكين لا مواطنين.
- الوادي: لا الثورة؟
- جسوس: الثورة تستطيع تغيير من يجلس على الكرسي بسرعة. لكنها لا تغير بسهولة ما يجلس داخل الرأس.
- الوادي: إذن أنت إصلاحي؟
- جسوس: إذا كان الإصلاح يعني تغيير البنيات بعمق، فسمّه ما شئت.
- الوادي: الإصلاح كلمة تعشقها السلطة لأنها لا تخيفها.
- جسوس: والثورة كلمة يعشقها بعض المثقفين لأنهم لا يدفعون دائماً ثمنها.

- الوادي: ربما كان علم الاجتماع المغربي نفسه جزءاً من ترويض الغضب. يحول الظلم إلى "ظاهرة"، والفقر إلى "مؤشر"، والقمع إلى "بنية"، ثم يعود الباحث إلى مكتبه.
- جسوس: وإذا كان البديل أن نحول المجتمع إلى شعارات؟
- الوادي: البديل أن تكون المعرفة خطرة.
- جسوس: أتفق.
- الوادي: هل كانت معرفتكم خطرة بما يكفي؟
- جسوس: لا. كان يجب أن نصل إلى المجتمع أكثر. أن نكتب بلغة يفهمها الناس أكثر. أن نكسر أسوار الجامعة أكثر.
- الوادي: إذن أخفقتم.
- جسوس: في أشياء كثيرة.
- الوادي: هذه أول مرة أشعر أنك لا تدافع عن نفسك.
- جسوس: العالم الذي يدافع عن نفسه أكثر مما يدافع عن الحقيقة يتحول إلى محامٍ.
- الوادي: لو عدت اليوم ورأيت المغرب، ما أول سؤال تطرحه؟
- جسوس: لماذا ازداد الكلام عن التنمية بينما ازداد شعور كثير من الناس بعدم الإنصاف؟
- الوادي: أنا سأجيبك: لأن الأرقام تصعد والإنسان لا يصعد معها. والسؤال الثاني؟
- جسوس: لماذا فقدت المدرسة العمومية قدرتها على جمع أبناء الطبقات المختلفة تحت سقف واحد؟
- الوادي: لأنها أصبحت مدرسة الفقراء.
- جسوس: حين تصبح المدرسة العمومية مدرسة الفقراء فقط، يصبح الدفاع عنها قضية الفقراء فقط. وهنا يبدأ موتها.
- الوادي: والسؤال الثالث؟
- جسوس: أين اختفت السياسة؟
- الوادي: لم تختف. أُفرغت من القرار.
- جسوس: ومن الناس أيضاً.

- الوادي: لماذا هجروها؟
- جسوس: لأنهم حين لا يرون أثراً لصوتهم، يتحول الامتناع عن السياسة إلى احتجاج صامت.
- الوادي: أو إلى يأس.
- جسوس: اليأس السياسي أخطر من الغضب السياسي.
- الوادي: لماذا؟
- جسوس: الغاضب ما زال يؤمن أن شيئاً يمكن تغييره. اليائس لا يريد شيئاً إلا النجاة الفردية.
- الوادي: الهجرة إذن تصويت؟
- جسوس: أحياناً هي أقسى ورقة اقتراع: أن تصوت ضد بلدك بقدميك.
- الوادي: سأختم بسؤال لن أدعك تفككه: هل المغرب بلد عادل؟
- جسوس: لا.
- الوادي: ديمقراطي؟
- جسوس: ليس بالقدر الذي يستحقه مواطنوه.
- الوادي: متساوٍ؟
- جسوس: بعيد عن ذلك.
- الوادي: حر؟
- جسوس: الحرية فيه موجودة، لكنها موزعة بطريقة غير متساوية.
- الوادي: من المسؤول؟
- جسوس: الذين يملكون القوة أولاً.
- الوادي: ثم؟
- جسوس: الذين يخدمونهم.
- الوادي: ثم؟
- جسوس: الذين يصمتون خوفاً.
- الوادي: هل تضع الضحية مع الجلاد مرة أخرى؟
- جسوس: قلت "خوف"، ولم أقل "ذنب". اِفهم الفرق.

- الوادي: وأخيراً؟
- جسوس: الذين عرفوا وسكتوا طمعاً.
- الوادي: المثقفون؟
- جسوس: بعضهم.
- الوادي: والسياسيون؟
- جسوس: بعضهم.
- الوادي: والأساتذة؟
- جسوس: بعضهم.
- الوادي: والشعب؟
- جسوس: بعضه.
- الوادي: وأنت؟
- جسوس: أنا أيضاً يجب أن أُسأل.
- الوادي: لو وقف أمامك شاب مغربي وقال: لا أثق في الدولة، ولا الحزب، ولا المدرسة، ولا النقابة، ولا المثقف... ماذا تقول له؟
- جسوس: سأقول له: عدم الثقة قد يكون بداية الوعي، لكنه إذا صار عقيدة أصبح قبراً.
- الوادي: وماذا يفعل؟
- جسوس: ينظم عدم ثقته.
- الوادي: ماذا تعني؟
- جسوس: يحول الشك إلى سؤال، والسؤال إلى معرفة، والمعرفة إلى موقف، والموقف إلى فعل جماعي.
- الوادي: وإذا مُنع؟
- جسوس: يقاوم.
- الوادي: وإذا خاف؟
- جسوس: يتذكر أن الخوف شعور إنساني، أما الطاعة فقرار.
- الوادي: وإذا قالوا له: لا شيء سيتغير؟
- جسوس: فليشك في هذه الكلمة أكثر من أي شيء آخر.

- الوادي: لماذا؟
- جسوس: لأن أقوى سلطة ليست التي تمنعك من تغيير الواقع، ولكن التي تقنعك أن تغييره مستحيل.

شفيق السحيمي



- الوادي: سي السحيمي، أبدأ من السؤال الذي قد يفسد الحوار منذ بدايته: ألست مخرجاً صنع حول نفسه أسطورة "الفنان الممنوع" أكبر أحياناً من حجم ما مُنع فعلاً؟
- السحيمي: وأنا أبدأ بسؤال أكثر إفساداً: لماذا يزعجكم الفنان حين يتكلم عن المنع، ولا يزعجكم الذي يمنع؟ أصبح المطلوب من الضحية أن تخجل من جرحها حتى لا تتهم باستثماره. أنا لم أصنع أسطورة؛ المؤسسة هي التي تصنع الأساطير حين تغلق الأبواب ولا تفسر لماذا.
- الوادي: لكن كلمة "المؤسسة" عندك تكاد تصبح شماعة. حين ينجح العمل تقول: اِنتصر الفن. وحين يتعثر تقول: تآمرت المؤسسة. أين يبدأ خطأك أنت؟
- السحيمي: يبدأ خطئي حين أقبل الرداءة. وحين أفشل فنياً، ضع أصبعك على موضع الفشل وسأناقشك. أما أن تقول لي: ربما أنت

المخطئ لأن باباً أغلق في وجهك، فأنت تحوّل الجلاد إلى ناقد فني.
- الوادي: ها أنت تستعمل فوراً كلمة "الجلاد". أليست لغتك نفسها استبدادية؟ إما فنان حر وإما جلاد. إما مقاوم وإما متواطئ. أين المنطقة الرمادية؟
- السحيمي: المنطقة الرمادية اِخترعها الخائفون ليعيشوا مرتاحين. في الفن يمكنني أن أقبل ألف لون، أما في الحرية فلا توجد حرية رمادية. نصف الحرية رقابة مؤجلة.
- الوادي: لكنك أنت أيضاً تمارس سلطة هائلة داخل العمل: تكتب، تقتبس، تخرج، تمثل أحياناً، وتفرض رؤيتك على العالم كله. بأي حق تنتقد سلطة المؤسسة وأنت تبني داخل موقع التصوير مملكتك الخاصة؟
- السحيمي: فرق هائل بين سلطة تستمد شرعيتها من المسؤولية الفنية وسلطة تستمدها من القدرة على المنع. المخرج ديكتاتور؟ نعم، إذا كان المقصود أنه مسؤول عن وحدة الرؤية. لكنه يصبح طاغية حين يلغي الممثل والكاتب والتقني ويستعملهم أثاثاً. أنا أريد ممثلاً يقاومني، لا ممثلاً يهز رأسه.
- الوادي: هل كنت تحتمل فعلاً من يقاومك؟
- السحيمي: إذا قاومني بفكرة، نعم. إذا قاومني بالنزوة، لا.
- الوادي: هذه إجابة كل ديكتاتور: المعارضة المقبولة هي المعارضة التي أقرر أنا أنها فكرة وليست نزوة.
- السحيمي: جميل. أنت الآن تفعل الشيء نفسه. قررت أن جوابي ديكتاتوري قبل أن تختبره. الصدام سهل، أما الإنصاف فأصعب.
- الوادي: لنكن أكثر قسوة. أخذت من زولا، ومن بريخت، ومن تشيكوف، وأعدت زرع نصوص عالمية في التربة المغربية. لماذا لا نسمي ذلك عجزاً عن إنتاج الحكاية من داخل واقعنا بدل تسميته "اِقتباساً خلاقاً"؟

- السحيمي: لأن الأدب العظيم ليس عقاراً محفظاً باسم صاحبه. زولا لا يملك الفقر، وتشيكوف لا يملك الانهيار، وبريخت لا يملك الصراع الطبقي. حين آخذ بنية وأعيد خلقها داخل مجتمع آخر فأنا لا أسرق بيتاً؛ أنا آخذ سؤالاً وأجعله يتكلم بلساني.
- الوادي: أم أنك تحتاج اسماً أوروبياً كبيراً خلفك ليمنح مشروعك شرعية ثقافية؟
- السحيمي: لو كنت أبحث عن الشرعية الأوروبية لبقيت في أوروبا. المشكلة عند بعض مثقفينا أنهم يتهمونك بالاستلاب إذا قرأت الغرب، ويتهمونك بالانغلاق إذا لم تقرأه. ماذا يريدون؟ فناناً مصاباً بفقدان الذاكرة؟
- الوادي: أريد فناناً لا يحوّل المرجع الأجنبي إلى عصا يضرب بها زملاءه الأقل تكويناً.
- السحيمي: أتفق معك. لكن لا تطلب مني أيضاً أن أعتذر لأنني درست. لدينا حساسية غريبة من المعرفة. نتسامح مع الجهل باسم الأصالة، ثم نهاجم المتعلم باسم النخبوية.
- الوادي: هنا أصل إلى المشكلة: أليس في خطابك قدر من التعالي؟ كأنك تقول باستمرار: أنا أعرف المسرح لأنني درسته، وأعرف التلفزيون لأنني مارسته، وأعرف المؤسسة لأنني اصطدمت بها، والبقية لا تفهم اللعبة.
- السحيمي: إذا قلت إنني درست فهذا خبر، لا شتيمة للآخرين. التعالي الحقيقي هو أن يكون المرء جاهلاً ويطالبك باحترام جهله بوصفه وجهة نظر.
- الوادي: ما كل هذه القسوة؟!
- السحيمي: طلبت الصدام، فلا تشتك من حرارة النار.
- الوادي: حسناً. هل الدراما عندك فن أم منبر سياسي مقنع؟
- السحيمي: كل فن عظيم سياسي، حتى حين يدعي أنه لا علاقة له بالسياسة. أن تختار فقيراً بطلاً قرار سياسي. أن تجعل الغني

دائماً أنيقاً وذكياً قرار سياسي. أن تصور مجتمعاً بلا ظلم قرار سياسي أخطر من خطاب حزبي كامل.
- الوادي: هذا يفتح باب الدعاية. إذا صار كل شيء سياسياً، يتحول الممثل إلى منشور، والشخصية إلى أطروحة، والمشهد إلى اجتماع حزبي.
- السحيمي: هذه وظيفة الفن: ألا يسمح للفكرة بأن تقتل الإنسان. أنا لا أريد شخصية تقول رأيي، بل شخصية تجبرني على الشك في رأيي.
- الوادي: لكن أعمالك كثيراً ما تنحاز بوضوح إلى المهمش والمقهور.
- السحيمي: وهل المطلوب أن أقف في المنتصف بين من يضرب ومن يُضرب حتى أبدو موضوعياً؟ الحياد أمام الظلم ليس موضوعية، بل اختيار للطرف الأقوى مع غسل اليدين.
- الوادي: قد يكون المظلوم في عمل فني رديئاً فنياً، ولا تنقذه عدالة قضيته.
- السحيمي: نعم. النبل الأخلاقي لا يصنع فناً. يمكنك أن تدافع عن أعظم قضية في العالم وتصنع أسوأ مسرحية في العالم. الفن لا يمنحك شهادة الجودة لأن نيتك طيبة.
- الوادي: ربما جزء من أزمة الفنان المغربي أنه يفسر فشله الفني تفسيراً سياسياً.
- السحيمي: بالتأكيد. وهناك أيضاً مؤسسة تفسر المنع السياسي تفسيراً فنياً. اللعبة متبادلة. فنان رديء قد يختبئ وراء كلمة "الرقابة"، ورقيب ذكي قد يختبئ وراء كلمة "الجودة".
- الوادي: الفنان قد يكذب إذن.
- السحيمي: الفنان بشر، لا نبي. وقد يكون أكثر نرجسية من السياسي لأنه يريد السلطة والتصفيق معاً.
- الوادي: هل أنت نرجسي؟

- السحيمي: كل مخرج فيه شيء من النرجسية. الرجل الذي يضع مئات الأشخاص داخل رؤيته ثم يقول لك: "أنا متواضع جداً" يحتاج إلى طبيب لا إلى ناقد.
- الوادي: إذن لماذا يغضب المخرجون عندما يقال إنهم يحبون الظهور؟
- السحيمي: لأنهم يريدون خطيئة النرجسية دون اسمها.
- الوادي: التلفزيون الذي انتقدته هو نفسه الذي منحك جمهوراً لم يكن المسرح قادراً على منحه لك. أليست علاقتك به علاقة عاشق غاضب لأنه لم يعد محبوباً بالقدر نفسه؟
- السحيمي: علاقتي به علاقة مواطن بمرفق عمومي. التلفزيون ليس صدقة يعطيني إياها مسؤول. أنا لا أدخل إليه متسولاً. التلفزيون ملك للمجتمع، والفنان واحد ممن يصنعون معناه.
- الوادي: لكن هناك ميزانيات، لجان، نسب مشاهدة، إعلانات، حسابات إنتاج. لا يمكن أن يُنتج كل مشروع لأن صاحبه يؤمن به.
- السحيمي: طبعاً. أنا لا أطالب بإنتاج كل مشروع، بل أطالب بمعايير يمكن الدفاع عنها في وضح النهار. قل لي: رفضنا عملك لهذه الأسباب. ناقشني. إعطني تقريراً. المشكلة تبدأ حين تصبح اللجنة اسماً مستعاراً لشخص لا نراه.
- الوادي: ربما لأن الفنان المغربي يريد الشفافية من اللجنة ولا يريدها من نفسه. كم كلف العمل؟ كيف تم اختيار الممثلين؟ من استفاد؟ لماذا يتكرر الأشخاص أنفسهم؟ لماذا تتحول الفرق أحياناً إلى عائلات فنية مغلقة؟
- السحيمي: أسئلة مشروعة تماماً. من يطالب المؤسسة بالشفافية يجب أن يقبلها على نفسه. وإلا أصبح نضاله مجرد محاولة لتغيير الجالس على الكرسي، لا تغيير الكرسي.
- الوادي: هذه أخطر كلمة قلتها حتى الآن.

- السحيمي: لأنها تديننا نحن أيضاً. والفنان الذي لا يضع نفسه داخل قفص الاتهام يتحول سريعاً إلى واعظ.
- الوادي: هل أنت جزء من جيل فشل في بناء مؤسسات فنية تستمر بعده؟ أسماء كبيرة، تجارب كبيرة، صراعات كبيرة... لكن أين المدرسة؟ أين التراكم؟ أين البنية التي لا تنهار برحيل صاحبها؟
- السحيمي: هذا اتهام أقبله جزئياً. جيلنا صنع معارك أكثر مما صنع مؤسسات. وربما لأننا قضينا وقتاً طويلاً في الدفاع عن حقنا في الوجود، فلم يبق وقت كاف لبناء ما يأتي بعدنا.
- الوادي: عذر آخر؟
- السحيمي: تفسير، وليس عذراً. وإذا تحول التفسير إلى تبرئة فارفضه.
- الوادي: هل تخاف من جيل جديد لا يعرف شفيق السحيمي؟
- السحيمي: إذا كان بقائي في ذاكرة الناس يحتاج إلى إجبارهم على معرفتي، فالأفضل أن ينسوني. الفنان الحقيقي لا يطالب الأجيال بالوفاء. يترك عمله في الطريق ويرحل. من وجده احتفظ به، ومن تجاوزه فذلك حقه.
- الوادي: لكن الفنانين لا يقولون ذلك في أعماقهم. يريدون الخلود.
- السحيمي: بالطبع نريده. نحن نعرف أننا سنموت، فنخترع الفن كي نفاوض الموت على مهلة إضافية.
- الوادي: هل انتصرت؟
- السحيمي: لا أحد ينتصر على الموت. أقصى ما يفعله الفنان أن يترك له بعض الأشغال المتأخرة.
- الوادي: لو جلست اليوم أمام شفيق السحيمي الشاب، ذلك المملوء بالحماسة والأفكار الكبرى، ماذا ستقول له؟
- السحيمي: سأقول له: لا تصدق أنك ستغيّر العالم بالمسرح. لكن إياك أن تتوقف عن المحاولة.
- الوادي: تناقض.

- السحيمي: الفن يعيش من هذا التناقض. نعرف أن الخشبة لن تسقط نظاماً، ومع ذلك نضيء المصباح. نعرف أن مسلسلاً لن يلغي الفقر، ومع ذلك نصور وجه الفقير. نعرف أن الجمهور سيعود إلى بيته بعد ساعتين، لكننا نحاول أن نجعل الإنسان الذي يعود مختلفاً قليلاً عن الإنسان الذي أتى.
- الوادي: سؤالي الأخير: بعد كل هذه المعارك، من كان خصم شفيق السحيمي الحقيقي؟ الرقابة؟ المؤسسة؟ الرداءة؟ السياسة؟
- السحيمي: الخوف.
- الوادي: خوف الآخرين منك؟
- السحيمي: خوفي أنا أيضاً. خوف الفنان من أن يقول الجملة حتى نهايتها. خوف المسؤول من العمل الذي لا يستطيع توقع أثره. خوف الممثل من فقدان الدور. خوف الناقد من خسارة الصديق. خوف المثقف من خسارة الامتياز. مجتمع كامل يتعلم كيف يقول نصف الحقيقة ثم يحتفل بشجاعته.
- الوادي: أنت قلت الحقيقة كاملة؟
- السحيمي: لا.
- الوادي: إذن بماذا تختلف عنهم؟
- السحيمي: ربما لا أختلف كثيراً.
- الوادي: بعد كل هذا الصخب تنتهي إلى "ربما"؟
- السحيمي: نعم. لأنني كلما تقدمت في الفن اِزددت شكاً في الذين يملكون أجوبة نهائية.
- الوادي: حتى شفيق السحيمي؟
- السحيمي: خصوصاً شفيق السحيمي.
- الوادي: إذن أسقطنا آخر صنم.
- السحيمي: لا تتعجل. أخطر الأصنام هو الرجل الذي يتصور نفسه هادم الأصنام.
- الوادي: تقصدني؟
- السحيمي: أقصدنا معاً.

إبراهيم الكوني



- الوادي: لماذا تبدو الصحراء في رواياتك أكبر من مجرد مكان؟
- الكوني: لأن المكان الذي نراه بأعيننا ليس هو المكان الحقيقي. الصحراء مرآة. حين تنظر إليها طويلاً لا ترى الرمل، ترى نفسك.
- الوادي: ولكن أليست الصحراء فراغاً؟
- الكوني: الفراغ أكثر الأشياء امتلاء. المدن تخدعك بالضجيج، أما الصحراء فتجردك من كل شيء حتى لا يبقى منك إلا ما يستحق البقاء.
- الوادي: لهذا تكثر في أعمالك العزلة؟
- الكوني: العزلة ليست غياب الآخرين، بل حضور الذات. الإنسان يخاف أن ينفرد بنفسه، ولذلك اخترع المدن.
- الوادي: تبدو شخصياتك دائماً كأنها تبحث عن شيء لا تصل إليه.

- الكوني: لأنها لو وصلت لانتهت الحكاية. الإنسان كائن يطارده المستحيل.
- الوادي: الحرية أيضاً مستحيلة؟
- الكوني: الحرية الكاملة موت. نحن نطلب الحرية، ثم نبحث بسرعة عن قيد جديد نحتمي به.
- الوادي: غريب أن تقول هذا وأنت ابن فضاء مفتوح.
- الكوني: الصحراء تعلمك أن الأفق المفتوح لا يعني أنك حر. قد تكون بلا جدران، ومع ذلك تسكنك ألف زنزانة.
- الوادي: هل الرواية عندك بحث عن الإنسان أم عن الأسطورة؟
- الكوني: الأسطورة هي الإنسان حين ينسى اسمه وتبقى حقيقته.
- الوادي: لكن البعض يرى أن حضور الأسطورة بكثافة قد يبعد الرواية عن الواقع.
- الكوني: وما هو الواقع؟ ما نأكله ونلبسه ونشاهده في الشارع؟ ذلك سطح الأشياء فقط. الأسطورة تحفر تحت هذا السطح.
- الوادي: كأنك لا تثق في الواقع.
- الكوني: لا أثق فيه حين يدعي أنه الحقيقة الوحيدة.
- الوادي: وماذا عن اللغة؟ أحياناً تبدو عندك كأنها تريد أن تكون شعراً.
- الكوني: اللغة التي تكتفي بنقل الحوادث لغة موظف. الأدب يبدأ حين تصبح الكلمة قدراً.
- الوادي: ألا تخشى أن تثقل الفكرة على الحكاية؟
- الكوني: أخشى الحكاية التي تنتهي بانتهاء الصفحة أكثر مما أخشى الفكرة.
- الوادي: إذن ماذا تريد من القارئ؟
- الكوني: لا أريد منه أن يعرف ماذا حدث. أريده أن يغلق الكتاب ويسأل نفسه: ماذا حدث لي أنا؟
- الوادي: بعد كل هذه الكتب، ماذا بقي في الصحراء لم تكتبه؟

- الكوني: كل شيء. نحن لا نكتب الصحراء يا صديقي. نحن نمحو قليلاً من الرمل الذي يغطي أسرارها.
- الوادي: لقد جعلتَ من الصحراء أسطورة حتى كادت تختفي منها الصحراء الحقيقية.
- الكوني: الصحراء الحقيقية لا يراها من يبحث فيها عن الرمل والخيام فقط.
- الوادي: بدون مراوغة لو سمحت. الناس هناك يجوعون، يهاجرون، يتصارعون، وأنت تجعلهم يطاردون السر والخلود والعدم.
- الكوني: لأن الجوع نفسه ليس مجرد خبز. وراء كل جوع جوع آخر.
- الوادي: أليس هذا ترفاً فلسفياً؟ الفقير لا يحتاج إلى ميتافيزيقا، يحتاج إلى ماء.
- الكوني: ومن قال إن الماء ليس ميتافيزيقا في الصحراء؟
- الوادي: ها أنت تفعلها من جديد. تحوّل كل شيء إلى رمز.
- الكوني: لأن الأشياء التي بلا رموز تموت بسرعة.
- الوادي: ربما لأن الرمز يسمح للكاتب بالهروب من الواقع.
- الكوني: الواقع أحياناً هو الذي يهرب من الكاتب.
- الوادي: لكن قارئك قد يشعر أنك تفرض عليه صحراء لا وجود لها إلا في رأسك.
- الكوني: كل روائي يكتب العالم الذي يسكنه، لا العالم الذي تصوره نشرات الأخبار.
- الوادي: مع ذلك، تبدو الصحراء عندك أحياناً أهم من الإنسان.
- الكوني: لأنها أبقى منه.
- الوادي: هذا احتقار للإنسان.
- الكوني: بل كسر لغروره.
- الوادي: تقسو كثيراً على الإنسان.
- الكوني: الإنسان كان دائماً أشد قسوة على العالم.

- الوادي: حتى شخصياتك، تبدو كأنها محكومة بالخطيئة واللعنة والقدر. أين الإنسان البسيط الذي يعيش فقط؟
- الكوني: الإنسان الذي يعيش فقط اختراع مريح. كل إنسان يحمل هاوية، حتى لو كان يبيع الخبز في السوق.
- الوادي: وماذا عن اللغة؟ أحياناً أشعر أنك لا تكتب رواية بل تلقّن القارئ حكمة بعد حكمة.
- الكوني: إذا كانت الحكمة تزعجك، فربما لأن الرواية الحديثة عوّدت القارئ على الثرثرة.
- الوادي: أو ربما لأن الحكمة حين تكثر تتحول إلى استعراض.
- الكوني: الاستعراض الحقيقي هو أن يكتب المرء خمسمائة صفحة ولا يقول شيئاً.
- الوادي: إذن أنت ترى كثيراً من الرواية العربية فارغة؟
- الكوني: أرى أن كثرة الكتب لا تعني كثرة الأدب.
- الوادي: هل تعتبر نفسك خارج هذا الخراب؟
- الكوني: لا أحد خارج الخراب.
- الوادي: لكنك تتحدث أحياناً كما لو أنك تحمل مفتاح السر.
- الكوني: لو كنت أملك المفتاح لما كتبت رواية واحدة.
- الوادي: لعل المشكلة أنك جعلت من الصحراء إجابة جاهزة لكل شيء.
- الكوني: بل جعلتها سؤالاً لا ينتهي.
- الوادي: أراك سجيناً لها.
- الكوني: السجين الذي يعرف سجنه أكثر حرية من إنسان يظن نفسه طليقاً.
- الوادي: ألا تخشى أن تتحول الصحراء عندك إلى صنم أدبي؟
- الكوني: أخشى أكثر أن تتحول المدينة إلى إله وحيد للأدب.
- الوادي: لكنك تكتب عن الصحراء وكأنها الأصل، وما عداها انحراف.

- الكوني: لأن الإنسان حين ابتعد كثيراً عن الأصل بدأ ينسى نفسه.
- الوادي: هذه رومانسية خطيرة.
- الكوني: والواقعية التي تقدسونها أحياناً ليست سوى خوف من الأسئلة الكبرى.
- الوادي: لا. أنا أخاف العكس: أن تتحول الأسئلة الكبرى إلى ستار يخفي الإنسان الحقيقي.
- الكوني: من هو الإنسان الحقيقي الذي تدافع عنه؟
- الوادي: إنسان يأكل، يحب، يخون، يمرض، يضحك، ويخطئ دون أن يكون كل خطإ منه علامة كونية.
- الكوني: حتى ضحكته علامة كونية، لكنه لا يعرف.
- الوادي: ها أنت تؤسطر ضحكته أيضاً.
- الكوني: وها أنت تصر على تصغير الإنسان حتى يصبح حادثة يومية.
- الوادي: ربما لأن الأدب ليس معبداً. وأنت كثيراً ما تكتبه كأنه معبد.
- الكوني: لأننا نعيش في زمن حوّل السوق إلى معبد، فكان لا بد للكلمة أن تقاوم.
- الوادي: إذن أنت لا تكتب الصحراء، بل تدافع عن مقدس مفقود.
- الكوني: ربما.
- الوادي: ألا تخاف من أن يكون هذا المقدس وهماً؟
- الكوني: الإنسان لا يعيش بلا أوهام.
- الوادي: والأديب؟
- الكوني: مهمته أن يخلق وهماً يكشف حقيقة.
- الوادي: أو يخفيها.
- الكوني: هنا يبدأ خلافنا الحقيقي.

ثريا جبران



- الوادي: ثريا، سأنطلق من الجرح مباشرة: هل خسرك المسرح يوم أصبحت وزيرة؟
- ثريا جبران: لماذا تفترض أن الوزارة نقيض المسرح؟
- الوادي: لأن المسرح يزعج السلطة، والوزارة جزء منها. الممثل يقف أمام الحاكم بأمره ويسأله: لماذا؟ أما الوزير فيجلس إلى جانبه ويقول: كيف ننفذ؟
- ثريا جبران: أنت تبسط المسألة كي تجعل الإدانة سهلة. وهل على الفنان أن يبقى خارج المؤسسات إلى الأبد حتى يحافظ على عذريته الثورية؟
- الوادي: المشكلة ليست في دخول المؤسسة. المشكلة: هل تدخل لتغيرها أم تدخل فتغيرك؟
- ثريا جبران: من قال إنني خرجت منها كما دخلت؟
- الوادي: هذا بالضبط سؤالي. عندما جلست على كرسي الوزارة، من كانت تنظر إلى الأخرى: ثريا الممثلة أم ثريا الوزيرة؟
- ثريا جبران: كانتا تتصارعان.

- الوادي: ومن انتصرت؟
- ثريا جبران: ولا واحدة منهما. وهذا أكثر إيلاماً مما تتصور.
- الوادي: إذن أنت تعترفين بأن السلطة تروض الفنان.
- ثريا جبران: لا. أعترف بأن الواقع أعقد من الشعارات. من السهل جداً أن تقف خارج الباب وتصرخ: اِفتحوا. الأصعب أن تدخل وتكتشف أن وراء الباب ألف باب.
- الوادي: هنا تبدأ لغة المسؤولين: الإكراهات، التوازنات، الممكن، الظرفية...
- ثريا جبران: لأنك لم تجرب المسؤولية.
- الوادي: أخطر كلام يمكن أن يقوله مسؤول لمثقف هو: "أنت لا تعرف". كأن المعرفة تبدأ فقط بعد الجلوس على الكرسي.
- ثريا جبران: وأخطر ما يمكن أن يفعله المثقف أن يحول جهله بالتدبير إلى فضيلة.
- الوادي: جميل. لكنني أسألك عن المسرح، لا عن الملفات الإدارية. المسرح المغربي ظل يشكو الهشاشة، القاعات، التوزيع، الدعم، الاعتراف بالفنان. ماذا استطاعت الفنانة حين أصبحت وزيرة أن تفعل للفنان الذي كانت تعرف بؤسه؟
- ثريا جبران: اِستطاعت أشياء وعجزت عن أشياء.
- الوادي: منذ الاستقلال وأنا أسمع الوزراء يلوكون هذا الخطاب.
- ثريا جبران: أنت تريد مني اعترافاً مسرحياً، لا جواباً سياسياً.
- الوادي: أريد الحقيقة.
- ثريا جبران: الوزارة ليست عصا سحرية، هذه هي الحقيقة.
- الوادي: والمسرح ليس عكازاً أخلاقياً نستعمله حين نغادر الوزارة.
- ثريا جبران: ما أقساك!
- الوادي: أحاور ثريا جبران، لا صورتها المؤطرة على جدار التكريم.
- ثريا جبران: مزق الصورة إذن.

- الوادي: بكل سرور. هل كان قبولك بالوزارة انتصاراً للفنان أم انتصاراً للسلطة التي استطاعت أن تقول: ها هي واحدة منكم عندنا؟
- ثريا جبران: قد يكون الاثنان معاً.
- الوادي: مرعب جداً هذا الرد.
- ثريا جبران: لكنه صادق. السلطة تستفيد من الفنان حين يقترب منها، والفنان يحاول الاستفادة من موقع السلطة ليغير شيئاً. السؤال الحقيقي: من يستفيد أكثر؟
- الوادي: وأنت، من استفاد منك أكثر؟
- ثريا جبران: لا أملك الميزان.
- الوادي: التاريخ يملكه.
- ثريا جبران: التاريخ ظالم أحياناً.
- الوادي: لا سيما حين نطلب منه أن يجاملنا.
- ثريا جبران: لا تجاملني.
- الوادي: لا تقلقي. أنت آتية من خشبة تعلم أن تقول "لا"، ثم دخلت فضاء يقوم في جزء كبير منه على فن قول "نعم ولكن". ألم تشعري بالخيانة؟
- ثريا جبران: شعرت بالخوف.
- الوادي: ممّن؟
- ثريا جبران: من نفسي.
- الوادي: هذه أول إجابة أصدقها.
- ثريا جبران: أنت تحب الاعترافات التي تنزف.
- الوادي: المسرح في حد ذاته اعتراف ينزف. ماذا يفعل الفنان إن لم يعر جسده للحقيقة؟
- ثريا جبران: أحياناً يكذب كي يصل إلى الحقيقة.
- الوادي: هل كذبت الوزارة عليك؟
- ثريا جبران: الوزارة لا تكذب. الوزارة تجعلك ترى حدودك.
- الوادي: ربما تجعل الإنسان يقبل بها.

- ثريا جبران: من قال إن الإنسان قادر دائماً على هدم الجدران؟
- الوادي: الفنان الذي لا يهدم الجدران يتحول إلى دهان لها.
- ثريا جبران: كم هي ظالمة هذه العبارة!
- الوادي: الفن العظيم ظالم تجاه الاطمئنان.
- ثريا جبران: هل تريد الفنان جائعاً كي يبقى نقياً؟
- الوادي: لا. أريده شبعاناً ومستقلاً.
- ثريا جبران: من سيمول استقلاله؟
- الوادي: وصلنا إلى الفخ: الدعم.
- ثريا جبران: الدعم ليس جريمة.
- الوادي: صحيح. لكن متى يتحول الدعم من حق إلى طوق؟
- ثريا جبران: حين يشترط الصمت.
- الوادي: وهل الصمت يشترط دائماً بالكلمات؟ ألا يكفي أن يعرف الفنان من يوقع الشيك؟
- ثريا جبران: إذا خاف الفنان من توقيع، فمشكلته أعمق من الدعم.
- الوادي: لكن الجوع يربي الخوف أيضاً.
- ثريا جبران: لهذا نحتاج مؤسسات، لا صدقات.
- الوادي: مع ذلك، ما زال الفنان المغربي كثيراً ما يعيش بين منحة موسمية وتكريم متأخر وصورة جنازة فخمة.
- ثريا جبران: هذه مأساة عظيمة.
- الوادي: بل مفارقة: نترك الفنان يتآكل في الحياة ثم نلمعه بعد الموت.
- ثريا جبران: الموت لا يطالب بميزانية.
- الوادي: هل صنعت الدولة مسرحاً وطنياً حقيقياً، أم صنعت مهرجانات وصوراً وخطابات عن المسرح؟
- ثريا جبران: صنعت الاثنين بنسب مختلفة.
- الوادي: لا تهربي مرة ثانية.

- ثريا جبران: أنت تريد جواباً ثورياً جاهزاً: الدولة قتلت المسرح. أليس كذلك؟
- الوادي: لو قتلته لكان الأمر أبسط. أخشى أنها فعلت شيئاً أكثر ذكاء: أبقته حياً بالقدر الذي لا يصبح فيه خطراً.
- ثريا جبران: هذه تهمة ثقيلة.
- الوادي: بل سؤال ثقيل: مسرح مدعوم، مهرجانات، جوائز، لجان، تكريمات... لكن أين ذلك المسرح الذي يجعل المجتمع يرتجف؟
- ثريا جبران: لا تطلب من الوزارة أن تكتب لك "هاملت".
- الوادي: أطلب منها ألا تحول هاملت إلى ملف طلب دعم من خمس نسخ مصادق عليها.
- ثريا جبران: ها أنت تسخر.
- الوادي: البيروقراطية حين تدخل الفن تصبح كوميديا رديئة.
- ثريا جبران: لكن الفنانين أنفسهم ليسوا ملائكة. هناك من يتحدث عن حرية الإبداع وهو يبحث فقط عن نصيبه من الكعكة.
- الوادي: ربما أخطر فساد ثقافي هو فساد الفنان نفسه.
- ثريا جبران: أخيراً اِتفقنا.
- الوادي: لا تتعجلي. هل ساهمت المؤسسات في صناعة هذا الفنان المستأنس؟
- ثريا جبران: ساهم الفنانون في صناعة مؤسسات تستأنس بهم. أحياناً توجد علاقات مصلحة تتخفى خلف كلمات كبيرة: الثقافة، الإبداع، خدمة الفن.
- الوادي: هل كنت جزءاً منها؟
- ثريا جبران: كنت داخل المنظومة، وبالتالي لا أستطيع أن أزعم أنني كنت فوقها.
- الوادي: الآن بدأ الحوار.
- ثريا جبران: كنت تنتظر مني جلد الذات؟
- الوادي: لا. كنت أنتظر أن تنزلي من التمثال.

- ثريا جبران: أنا ممثلة يا أستاذ. أعرف أن التماثيل لا تتنفس.
- الوادي: لكننا في المغرب نحب تحويل الفنان بعد موته إلى تمثال كي نعفي أنفسنا من مناقشته.
- ثريا جبران: ناقشني.
- الوادي: ماذا بقي من المسرح الذي آمنت به؟
- ثريا جبران: بقي الممثل واقفاً أمام إنسان آخر في الظلام، يحاول أن يقول له: أنت لست وحدك.
- الوادي: أخاف أن نستخدم الجمال لتغطية الخراب.
- ثريا جبران: وأنا أخاف أن نستخدم الغضب كي نثبت لأنفسنا أننا أحياء.
- الوادي: هل ترينني غاضباً؟
- ثريا جبران: أراك تحاكم جيلاً كاملاً.
- الوادي: لقد حمل أحلاماً كبيرة، ثم انتهى بعضه قريباً من المؤسسات التي كان ينتقدها.
- ثريا جبران: هل الاقتراب من الدولة خيانة تلقائية؟
- الوادي: لا. لكن الصمت بعد الاقتراب يثير الريبة.
- ثريا جبران: ربما الصمت تعب.
- الوادي: التعب حق إنساني، لكنه ليس موقفاً فكرياً. أنت كنت على الخشبة تعرفين أن الجمهور لا يصفق للنية.
- ثريا جبران: ولا التاريخ.
- الوادي: بالضبط. هل كونك امرأة في المسرح المغربي ضاعف المعركة؟
- ثريا جبران: أكيد.
- الوادي: لكن ألا ترين أن الاحتفاء بالمرأة الناجحة قد يتحول أيضاً إلى حيلة لإخفاء البنية الذكورية؟ نرفع امرأة واحدة عالياً ثم نقول: أنظروا، لا مشكلة لدينا.
- ثريا جبران: صحيح. الاستثناء قد يستخدم لتبرير القاعدة.
- الوادي: هل كنت استثناء؟

- ثريا جبران: كنت امرأة شقت طريقها وسط مقاومات كثيرة.
- الوادي: لكن هل صارت المرأة الفنانة اليوم حرة فعلاً؟
- ثريا جبران: أكثر حرية، لا حرة تماماً.
- الوادي: من يقيدها الآن؟ الرجل؟ السوق؟ التلفزيون؟ الجمهور؟ أم خوفها من خسارة الفرص؟
- ثريا جبران: كل ما ذكرت. وأحياناً هي نفسها.
- الوادي: إذن الرقابة انتقلت إلى الداخل. الفنان الذي يحذف الجملة قبل أن يمنعها الرقيب. والكاتب الذي يفكر في لجنة الدعم قبل أن يفكر في الشخصية. والمخرج الذي يعرف مسبقاً أين يجب ألا يقترب. صرنا أمام مسرح يتقن تجنب الألغام أكثر مما يتقن تفجير الأسئلة.
- ثريا جبران: ليس كله. جزء مؤلم منه.
- الوادي: ثريا، ماذا تختارين الآن لو أعيد بك الزمن: كرسي الوزارة أم خشبة فارغة؟
- ثريا جبران: الخشبة؛ لأن الكرسي يمنحك سلطة محدودة على الملفات، أما الخشبة فتعطيك سلطة خطيرة على السؤال.
- الوادي: ندمت إذن؟
- ثريا جبران: لا تجعل الحياة بهذه البساطة. قد أختار الخشبة اليوم، ولا يعني هذا أنني ألعن كل خطوة قادتني إلى الوزارة.
- الوادي: لكن الوزارة علمتك شيئاً؟
- ثريا جبران: علمتني أن السلطة أضعف مما يتخيل الناس وأقوى مما يتخيل الفنانون. ضعيفة لأنها لا تستطيع خلق شاعر حقيقي بقرار. وقوية لأنها تستطيع أن تجعل مائة شاعر يضيعون أعمارهم أمام بابها.
- الوادي: يستطيع الفنان أن يرفض الوقوف أمام الباب.
- ثريا جبران: إذا استطاع دفع ثمن الرفض.
- الوادي: هنا يكمن الامتحان. إذن الفن ليس موهبة فقط.
- ثريا جبران: إنه كلفة.

- الوادي: والحرية؟
- ثريا جبران: أغلى أدوار الفنان.
- الوادي: والسلطة؟
- ثريا جبران: خشبة ضخمة، لكن الجمهور فيها لا يرى كل ما يجري خلف الستار.
- الوادي: والمسرح؟
- ثريا جبران: مكان نحاول فيه سحب الستار.
- الوادي: حتى لو ظهر خلفه أصدقاؤنا؟
- ثريا جبران: خصوصاً في هذه الحالة.
- الوادي: حتى لو ظهر وجهنا نحن؟
- ثريا جبران: خصوصاً هنا.
- الوادي: الآن فقط أصدق أنني أحاور ممثلة حقيقية.
- ثريا جبران: الآن فقط توقفت عن البحث عن متهمة.
- الوادي: ربما لأنني وجدتها.
- ثريا جبران: من؟
- الوادي: كلنا.
- ثريا جبران: هذه أول إجابة منك أصدقها.

علي مهدي



- الوادي: ماذا تسمون هذه المنطقة الجميلة يا علي؟
- علي مهدي: المقرن. هنا نقطة التقاء النيل الأبيض والنيل الأزرق.
- الوادي: نحن أيضاً نلتقي فيها اليوم. أينا الأبيض، وأينا الأزرق؟
- علي مهدي: أنت كلاهما معاً.
- الوادي: شكراً على عظيم كرمك. تقول إنك وجدت في المسرح الاحتفالي طريقاً يعيد المسرح إلى الناس. هل أعدت المسرح إلى الناس، أم أعدت الناس إلى طقس قديم وأطلقت عليه اسم المسرح؟
- علي مهدي: لماذا تفترض أن الطقس القديم نقيض المسرح؟ المسرح نفسه خرج من الطقس.
- الوادي: خرج منه، نعم. لكنه لم يُخلق لكي يبقى فيه. الإنسان خرج من الكهف أيضاً، ولا معنى لأن نعيده إليه باسم الأصالة.
- علي مهدي: أنت تنظر إلى التراث ككهف، وأنا أنظر إليه كذاكرة.

- الوادي: الذاكرة ضرورية، لكن السكن فيها مرض. أخشى أن يتحول المسرح الاحتفالي إلى سياحة داخل الماضي: دفوف، حلقات، أزياء، أناشيد، وجمهور نصف منبهر بالصورة ونصف غائب عن السؤال.
- علي مهدي: الاحتفال عندي ليس زينة. الاحتفال طريقة في بناء العلاقة بين الممثل والجمهور.
- الوادي: هنا تبدأ مشكلتي معكم، أنتم الاحتفاليين. تتحدثون كثيراً عن العلاقة، الحلقة، الساحة، الحكواتي، الجسد، الجماعة... وأحياناً أسأل: أين الإنسان الممزق؟ أين الصراع؟ أين تلك اللحظة التي يخرج فيها المتفرج من المسرح أقل طمأنينة مما دخل؟
- علي مهدي: ومن قال إن الاحتفال طمأنينة؟ الاحتفال يمكن أن يكون صرخة.
- الوادي: لكنه يمكن أيضاً أن يكون مخدّراً جماعياً. السلطة نفسها تحب الاحتفالات. تحب الحشود والألوان والإيقاع والتصفيق.
- علي مهدي: أنت تخلط بين الاحتفال الذي تصنعه السلطة والاحتفال الذي تصنعه الجماعة.
- الوادي: هل الحد بينهما واضح دائماً؟ حين تتحول الخشبة إلى مهرجان كبير، قد يصبح السؤال السياسي مجرد إيقاع جميل.
- علي مهدي: المسرح ليس منشوراً سياسياً.
- الوادي: لم أقل ذلك. لكنني أخشى المسرح الذي يرقص حول الجرح بدلاً من أن يضع أصبعه داخله.
- علي مهدي: أنت تريد المسرح مشرطاً.
- الوادي: أريده أحياناً مشرطاً. ما قيمة المسرح إذا ظل مهذباً أمام القبح؟
- علي مهدي: قيمته أن يبقى إنسانياً.
- الوادي: كلمة "الإنساني" نفسها أصبحت ملجأً مريحاً. كلما اقترب السؤال من السلطة قلنا: الإنسان. كلما اقترب من المسؤولية قلنا: السلام. كلما اقترب من الجرح قلنا: المصالحة.

- علي مهدي: لأنني عرفت الحرب، وعرفت أن المسرح يستطيع أن يجمع من فرّقتهم السياسة.
- الوادي: وهل مهمة المسرح أن يجمع دائماً؟ ربما تكون مهمته أحياناً أن يفرّق بين الحقيقة والكذب.
- علي مهدي: لكنه إذا عمّق الانقسام يتحول إلى وقود.
- الوادي: وإذا أخفاه يتحول إلى ستار.
- علي مهدي: أنت تريد من المسرح أن يحاكم المجتمع.
- الوادي: أريده أولاً أن يحاكم نفسه. وهذا ما أطالب به المسرح الاحتفالي: أن يسأل نفسه إن كان قد تحول من ثورة جمالية إلى وصفة جاهزة.
- علي مهدي: لا توجد لدي وصفة.
- الوادي: لكن هناك مفردات تتكرر: التراث، الحلقة، الجمهور، الساحة، الفرجة، الطقس...
- علي مهدي: لأن هذه المفردات جزء من ثقافتنا.
- الوادي: الثقافة ليست بريئة يا أخي علي. في التراث أيضاً قمع، وخرافة، وتسلسل سلطوي، وصمت طويل. لماذا نحتفل به قبل أن نستجوبه؟
- علي مهدي: نحن لا نقدسه.
- الوادي: إذن فلنكسره على الخشبة.
- علي مهدي: نكسره لكي نبنيه، لا لكي نلغيه.
- الوادي: هنا ألتقي معك. لكن سؤالاً أخطر يفرض نفسه: أنت أخذت الاحتفالية من مشروع ارتبط بالمغربي عبد الكريم برشيد. ماذا فعلت بها في السودان؟ هل سودنتها، أم اكتفيت بتغيير الأزياء والإيقاعات؟
- علي مهدي: لو فعلت ذلك لكانت استعارة سطحية. السودان نفسه فضاء احتفالي متعدد: إفريقي، عربي، صوفي، قبلي، مديني. أنا لم أنقل قالباً؛ وجدت في الفكرة مفتاحاً وفتحت به باباً سودانياً.
- الوادي: وهل يظل المفتاح ملك صاحبه الأول؟

- علي مهدي: الأفكار التي تدخل المسرح تفقد جواز سفرها.
- الوادي: أخشى الأجوبة الجميلة؛ لأنها كثيراً ما تنتصر في الحوار قبل أن تنتصر في الواقع.
- علي مهدي: إذن اِذهب إلى الواقع.
- الوادي: ذهبت، ووجدت جمهوراً عربياً يصفق كثيراً ثم يعود إلى بيته كما جاء.
- علي مهدي: هل تقيس أثر المسرح بعدد الثورات التي تقع بعد العرض؟
- الوادي: لا. أقيسه بمقدار القلق الذي يتركه.
- علي مهدي: وأنا أقيسه بمقدار الحياة التي يعيدها إلى الناس.
- الوادي: هنا خلافنا الحقيقي إذن. أنت تريد للمسرح أن يعيد للناس الحياة، وأنا أريده أن يفسد عليهم الحياة التي اعتادوا عليها.
- علي مهدي: إذا أفسدتها ولم تمنحهم أفقاً، فأنت لا تصنع مسرحاً، بل تصنع يأساً.
- الوادي: إذا منحتهم الأفق قبل أن تهدم الوهم، فأنت تصنع عزاء.
- علي مهدي: وما عيب العزاء؟
- الوادي: حين يصبح بديلاً عن الحقيقة، يكون خطيراً.
- علي مهدي: الحقيقة عندك واحدة؟
- الوادي: لا. ولهذا أحتاج المسرح. لو كانت واحدة لكتبت بياناً.
- علي مهدي: الآن بدأت تتحدث كمسرحي.
- الوادي: وربما أنت بدأت تتحدث كخصمي الحقيقي.
- علي مهدي: المسرح لا يحتاج إلى خصوم.
- الوادي: بل يحتاج إليهم بشدة. المسرح الذي لا يجد من يعارضه يتحول بسرعة إلى احتفال بنفسه.
- علي مهدي: الاحتفال بنفسه هو الشيء الوحيد الذي أرفض أن أسميه مسرحاً.
- الوادي: إذن لعلنا وصلنا أخيرا إلى نقطة اتفاق.
- علي مهدي: لا تتعجل.

- الوادي: لماذا؟
-علي مهدي: لأنك دخلت هذا الحوار لتضع الاحتفالية في قفص الاتهام، وانتهيت واقفاً داخل الحلقة.
- الوادي: وربما دخلتَ أنت الحلقة لتحتفل، وانتهيت مضطراً إلى الدفاع عن نفسك.
- علي مهدي: إذا حدث ذلك، فقد نجح المسرح.
- الوادي: لا. نجح الحوار.
- علي مهدي: ما المسرح في النهاية إلا حوار لم يعد يحتمل الجلوس على الكراسي.

عثمان عريوات



- الوادي: لماذا اختفيت يا عثمان؟ هل انسحبت من الفن أم انسحبت من الجزائر؟
- عريوات: ما بك صديقي؟ هذه العاصمة!
- الوادي: ما بك أنت صديقي؟ قد ننسحب من المكان ونحن فيه.
- عريوات: الجزائر هي التي انسحبت أحياناً من نفسها.
- الوادي: جواب جميل، لكنه يصلح للاختباء أيضاً. الفنان الذي يعرف عطب بلده ثم يصمت، ألا يصبح جزءاً من العطب؟
- عريوات: هل الكلام دائماً شجاعة؟ رأيت كثيرين يصرخون أمام الكاميرا، ثم يصمتون أمام الباب الذي توزع خلفه الامتيازات.
- الوادي: لكنك تركت الجمهور وحده.
- عريوات: الجمهور لم يكن يحتاج عثمان عريوات لكي يعرف أنه متعب. كان يرى حياته كل صباح في الطابور، وفي الإدارة، وفي الحافلة، وفي وجه الموظف الذي يقول له: إرجع غداً.
- الوادي: إذن ما جدوى الفنان؟

- عريوات: أن يجعل الإنسان يضحك لحظة، ثم يكتشف بعد انتهاء الضحك أنه كان يضحك على مصيبته.
- الوادي: هذا أخطر أنواع الكوميديا.
- عريوات: لذلك يريدون غالباً كوميديا لا تؤلم أحداً. مهرجاً يدخل، يسقط على الأرض، يضحك الناس، يأخذ أجره ويذهب إلى البيت.
- الوادي: أنت لم تكن مهرجاً؟
- عريوات: كل ممثل مهرج قليلاً.
- الوادي: لا تراوغ.
- عريوات: حسناً. كنت أحاول أن أجعل المهرج يحمل مرآة.
- الوادي: لكن المرآة نفسها يمكن أن تصبح سلعة. السلطة تسمح لك بالسخرية منها أحياناً لأنها تعرف أن الضحك يفرغ الغضب.
- عريوات: صحيح.
- الوادي: إذن ربما كانت أفلامك تخدم السلطة أكثر مما تقاومها؟
- عريوات: هذه ضربة تحت الحزام.
- الوادي: نحن هنا للحوار لا للمجاملة.
- عريوات: إذن اِسمع. الفن لا يسقط نظاماً، ولا يبني دولة، ولا يفتح سجناً. من يطلب منه ذلك يبحث عن بطل خرافي. الفن يفعل شيئاً أكثر تواضعاً وأشد خطورة: يمنع الكذبة من أن تصبح حقيقة كاملة.
- الوادي: ولكنك بعد ذلك صمتّ. والكذبة واصلت الكلام.
- عريوات: ربما كان صمتي أيضاً كلاماً.
- الوادي: هذه العبارة يستخدمها كل من يريد تحويل الغياب إلى بطولة.
- عريوات: وأنت تحول كل غياب إلى خيانة.
- الوادي: الفنان مسؤول أمام جمهوره.
- عريوات: إنه مسؤول أمام ضميره قبل جمهوره. الجمهور قد يطلب منك أن تعيد الشخصية نفسها ألف مرة. أن تكرر النكتة

نفسها. أن تصبح نسخة من نفسك حتى تموت وأنت تؤدي الدور الذي أحبوه في شبابك.
- الوادي: هل خفت أن تصبح أسير عثمان عريوات؟
- عريوات: أكثر سجن يخشاه الفنان ليس السجن الحقيقي... نجاحه.
- الوادي: غريب.
- عريوات: النجاح يقول لك: لا تتغير. الجمهور أحبك هنا، اِبق هنا. المنتج ربح منك هنا، اِبق هنا. التلفزيون عرفك هنا، اِبق هنا. وبعد ثلاثين سنة تكتشف أنك لم تكن تمثل الشخصيات، بل كنت تمثل نفسك.
- الوادي: مع ذلك صنعت شخصية الجزائري البسيط الغاضب حتى كادت تلتصق بك.
- عريوات: لأنني كنت أعرف ذلك الرجل.
- الوادي: أم لأن السوق عرف أنه يبيع؟
- عريوات: أنت لا تترك لي منفذاً.
- الوادي: الحوار الذي يترك للفنان مخارج كثيرة يتحول إلى حفل تكريم. فيلم "كرنفال في دشرة" أضحك الناس على السياسة. لكن بعد كل هذه السنوات، ألا يبدو أن الكرنفال خرج من الدشرة وصار أكبر منها؟
- عريوات: الكرنفال لم يخرج منها.
- الوادي: ماذا حدث إذن؟
- عريوات: اِكتشفنا أن الدشرة أكبر مما كنا نظن.
- الوادي: هل الفنان العربي محكوم بأن يسخر إلى الأبد من البؤس بدل أن يغيره؟
- عريوات: أنت تضع على كتف الممثل عبئاً هرب منه السياسي والمثقف والجامعة والصحافة والمواطن، ثم تقول له: غيّر البلد.
- الوادي: الفنان يملك الجمهور.

- عريوات: لا. الفنان يستعير الجمهور ساعتين. بعدها يعود كل واحد إلى حياته.
- الوادي: لكن بعض الأفكار تبقى ثلاثين سنة.
- عريوات: نعم، وتلك هي المعجزة الصغيرة التي نعيش من أجلها.
- الوادي: هل تخاف السلطة من الفنان؟
- عريوات: السلطة الذكية لا تخاف منه؛ لأنها تتعلم كيف تصفق له.
- الوادي: أخطر جواب قلته حتى الآن.
- عريوات: أخطر رقابة ليست أن يمنعوك من الكلام. أخطرها أن يسمحوا لك بكل شيء، ثم يجعلوا كلامك بلا أثر.
- الوادي: بالاحتواء؟
- عريوات: بالجوائز، بالمهرجانات، بالصور، بالمقاعد الأمامية، وبعبارة: "الفنان الكبير". حين تسمعها كثيراً، إبدأ بالخوف؛ لأنهم ربما بدأوا يحنطونك وأنت حي.
- الوادي: هل لهذا ابتعدت؟
- عريوات: ربما أردت أن أبقى حياً.
- الوادي: أم خفت المواجهة؟
- عريوات: الخوف ليس عيباً.
- الوادي: الاعتراف به نادر.
- عريوات: الفنان الذي يقول لك إنه لم يخف قط إما كاذب، أو لم يقترب بما يكفي من النار.
- الوادي: وهل اقتربت أنت؟
- عريوات: اِقتربت بالقدر الذي جعلني أعرف رائحتها.
- الوادي: ولم تدخلها.
- عريوات: هل تريد مني أن أحترق لكي تصدق أن النار موجودة؟

- الوادي: أريد أن أعرف فقط: عندما ينتهي كل شيء، ماذا يبقى من عثمان عريوات؟
- عريوات: أتمنى ألا يبقى عثمان عريوات.
- الوادي: ماذا يبقى إذن؟
- عريوات: ذلك الرجل الذي شاهده الناس على الشاشة وقالوا: هذا يشبه أبي... هذا يشبه جاري... هذا يشبهني.
- الوادي: بعد كل هذه السخرية، هل تغير شيء؟
- عريوات: تغير شيء واحد. صار الناس يعرفون أن ما يعيشونه ليس طبيعياً.
- الوادي: فقط؟
- عريوات: كل سلطة تبدأ انتصارها الحقيقي حين تقنعك أن العبث طبيعي.
- الوادي: إذن وظيفة الفن أن يفضح العبث؟
- عريوات: لا. أن يمنعنا من التعود عليه.
- الوادي: وإذا تعودنا؟
- عريوات: عندها لا نحتاج إلى فنانين.
- الوادي: ماذا نحتاج؟
- عريوات: نحتاج إلى مرايا.
- الوادي: والفنان؟
- عريوات: كان هو المرآة.
- الوادي: كان؟
- عريوات: نعم، لأنني أخشى أن كثيراً من الفنانين اليوم صاروا يحبون صورتهم في المرآة أكثر مما يحبون الحقيقة التي تعكسها.

محمد رگاب



- الوادي: سي رگاب، كلما تحدث المغاربة عنك عادوا إلى "حلاق درب الفقراء". ألا يزعجك أن تختصر حياة مخرج كاملة في فيلم واحد؟
- رگاب: يزعجني أكثر أن يصنع مخرج عشرين فيلماً ولا يبقى منها فيلم واحد.
- الوادي: جواب مريح.
- رگاب: الحقيقة ليست مطالبة بأن تكون مريحة.
- الوادي: لكن أليس في الأمر أيضاً فشل؟ أن تتحول إلى عنوان واحد؟
- رگاب: الفشل أن تتحول إلى لا شيء. أما أن ينجو لك فيلم من مقبرة النسيان، فهذه نعمة لا يعرف قيمتها إلا الموتى.

- الوادي: تتكلم كأن السينما مقبرة.
- رگاب: السينما المغربية خصوصاً مقبرة مزدحمة بالأحياء.
- الوادي: ما كل هذه القسوة؟
- رگاب: أنت جئت لتحاورني أم لتضع الزهور على قبري؟
- الوادي: جئت لأزعجك.
- رگاب: إذن اِبدأ الآن.
- الوادي: حسناً. أنتم الرواد تتحدثون دائماً عن صعوبة البدايات: قلة الإمكانات، غياب الدعم، ضعف التجهيزات... ألا تختبئون أحياناً خلف البطولة التاريخية؟
- رگاب: وأنتم تختبئون خلف الدعم. نحن كنا نصنع الفيلم ولا نملك شيئاً. أنتم تملكون لجاناً وصناديق ومهرجانات ومدارس ومعدات رقمية، ثم تأتون لتخبرونا أن السينما صعبة.
- الوادي: لكن كثرة الإمكانات لا تصنع بالضرورة مخرجاً.
- رگاب: بالضبط. لهذا أخاف عليكم أكثر مما أخاف علينا.
- الوادي: لماذا؟
- رگاب: لأن الفقر كان عذرنا. فما عذركم؟
- الوادي: الرقابة.
- رگاب: الرقابة تغيرت فقط. كانت تجلس أمامك، فأصبحت تسكن داخلك.
- الوادي: تقصد الرقابة الذاتية؟
- رگاب: أقصد المخرج الذي يسأل قبل أن يصور: هل سيمر الفيلم؟ هل سيحصل على الدعم؟ هل سيعجب اللجنة؟ هل سيدخل المهرجان؟ ثم بعد ذلك يتذكر أنه كان يريد أن يقول شيئاً.
- الوادي: وأنت لم تكن تحسب كل هذا؟
- رگاب: كنت أحسب كيف أصنع الفيلم. لا كيف أرضي من سيموله.
- الوادي: كلام جميل بعد الموت.
- رگاب: اِضرب أقوى.

- الوادي: ربما صنع الموت منكم أساطير أكبر من أفلامكم.
- رگاب: هذه أفضل ضربة حتى الآن.
- الوادي: إذن؟
- رگاب: ممكن. الموت ناقد فاسد أحياناً. يرفع أسهم الفنان لمجرد أنه لم يعد قادراً على الرد.
- الوادي: إذن أنت تقبل أن نعيد محاكمتك؟
- رگاب: بل أطالبكم بذلك. المخرج الذي يخشى المحاكمة بعد موته كان ينبغي ألا يصنع أفلاماً في حياته.
- الوادي: "حلاق درب الفقراء" هل تعتقد حقاً أنه ما يزال قادراً على مخاطبة مغرب اليوم؟
- رگاب: إذا لم يعد الفقر موجوداً، اِحذف الفيلم.
- الوادي: الفقر تغير.
- رگاب: إذن شاهد الفيلم بعين جديدة.
- الوادي: والحي الشعبي تغير.
- رگاب: تغيرت واجهاته. أما البشر فما زالوا يحملون جراحهم نفسها بأسماء جديدة.
- الوادي: أنت رومانسي تجاه الهامش.
- رگاب: لا. الرومانسي هو من يصور الفقير جميلاً كي ينام مرتاح الضمير، أما أنا فحاولت أن أجعله إنساناً.
- الوادي: هذه الجملة يقولها جميع المخرجين.
- رگاب: لأن جميع المخرجين يكذبون أحياناً.
- الوادي: بما فيهم أنت؟
- رگاب: أجل.
- الوادي: أخيراً.
- رگاب: السينما كذبة تحاول الوصول إلى حقيقة.
- الوادي: المشكلة أن بعض السينمائيين يصلون بالكذبة إلى الدعم ولا يصلون أبداً إلى الحقيقة.
- رگاب: الآن بدأت تعجبني.

- الوادي: لا أريد أن أعجبك.
- رگاب: ممتاز. المحاور الذي يريد إعجاب ضيفه يتحول إلى موظف استقبال.
- الوادي: هناك من يقول إن السينما المغربية اليوم أكثر حرية وجرأة من زمنكم.
- رگاب: وأكثر أفلاماً.
- الوادي: لم تجب.
- رگاب: كثرة العري ليست حرية، وكثرة الشتائم ليست جرأة، وكثرة الحديث عن المحرمات ليست بالضرورة تمرداً.
- الوادي: إذن ما الجرأة؟
- رگاب: أن تقترب بالكاميرا من المكان الذي تخاف أنت شخصياً أن تنظر إليه.
- الوادي: السياسة؟
- رگاب: أحياناً.
- الوادي: السلطة؟
- رگاب: أحياناً.
- الوادي: الدين؟
- رگاب: أحياناً.
- الوادي: الجنس؟
- رگاب: أحياناً.
- الوادي: ما الذي تخشاه أكثر؟
- رگاب: نفسي.
- الوادي: جواب فلسفي للهروب من السؤال.
- رگاب: لا. تستطيع أن تهاجم الدولة في فيلم وتخرج بطلاً. لكن هل تستطيع أن تفضح جبنك أنت؟
- الوادي: هل المخرج مطالب بفضح نفسه؟
- رگاب: إذا لم يدخل جزء منه إلى المذبحة، فلن يكون الفيلم إلا خطبة موجهة للآخرين.

- الوادي: لنتحدث عن الممثل. هل المخرج ديكتاتور؟
- رگاب: المخرج الذي يحتاج إلى الديكتاتورية كي يثبت أنه مخرج ضعيف.
- الوادي: لكن القرار الأخير له.
- رگاب: نعم، كما أن الربان يحدد وجهة السفينة. لكنه إذا عامل البحارة كعبيد سيغرق معهم.
- الوادي: هناك مخرجون يحطمون الممثل نفسياً بحثاً عن لقطة صادقة.
- رگاب: من يعجز عن استخراج الصدق بالفن يستخرجه بالعنف.
- الوادي: إذن ترفض أسطورة "المخرج المستبد العبقري".
- رگاب: أحتقرها.
- الوادي: حتى لو أنتجت تحفة؟
- رگاب: لا توجد لقطة تستحق تحقير إنسان.
- الوادي: الآن أصبحت أخلاقياً أكثر من اللازم.
- رگاب: الفن الذي يحتاج إلى حقارة صاحبه كي يصبح عظيماً ليس عظيماً كما تتصور.
- الوادي: دعنا نذهب إلى الجرح: لماذا لم تصنع السينما المغربية، رغم الرواد، صناعة سينمائية حقيقية؟
- رگاب: لأننا أحببنا الأفلام أكثر مما بنينا المؤسسات.
- الوادي: اِعتراف خطير.
- رگاب: جيلنا مسؤول أيضاً.
- الوادي: أخيراً تحملتم شيئاً من المسؤولية.
- رگاب: نحن فتحنا الطريق، نعم. لكننا لم نعبده كله.
- الوادي: والأجيال التي جاءت بعدكم؟
- رگاب: بعضها أكمل الطريق، وبعضها أقام كشك رسوم على المدخل.
- الوادي: تقصد شبكات المصالح؟
- رگاب: سمّها كما تشاء.

- الوادي: العلاقات، اللجان، المهرجانات، الصحافة، الجوائز...
- رگاب: عندما تتحول السينما إلى عائلة صغيرة تعرف بعضها بعضاً، تبدأ رائحة العفن.
- الوادي: لكن هذه العائلة موجودة في كل سينمات العالم.
- رگاب: صحيح. الفرق بين الصناعة والعشيرة أن الصناعة تستطيع استقبال الغرباء.
- الوادي: هل السينما المغربية تستقبل الغرباء؟
- رگاب: اِسأل من بقي عشر سنوات يحمل سيناريو تحت إبطه.
- الوادي: ربما كان رديئاً.
- رگاب: وربما كان عظيماً. المشكلة أن لا أحد قرأه أصلاً.
- الوادي: لو عدت اليوم، هل ستقبل الدعم العمومي؟
- رگاب: طبعاً.
- الوادي: إذن كل خطابك السابق يسقط.
- رگاب: لماذا؟ المال العمومي ليس رشوة.
- الوادي: لكنه قد يخلق التبعية.
- رگاب: حين يعتبره المخرج صدقة، نعم. أما حين يعتبره حقاً ثقافياً للمجتمع، فعليه أن يأخذه ثم يعض اليد التي حاولت شراء صمته.
- الوادي: هذا أمر خطير.
- رگاب: السينما التي لا تحمل خطراً تصبح إعلان شامبوان طويل.
- الوادي: هل على السينمائي أن يكون معارضاً؟
- رگاب: لا. عليه أن يكون حراً. قد تعارض اليوم وتوافق غداً. أما أن تختار موقفك قبل أن ترى الحقيقة، فأنت مناضل حزبي لا فنان.
- الوادي: أين تضع الجمهور؟
- رگاب: أمام الشاشة.
- الوادي: فقط؟

- رگاب: أين تريد أن أضعه، فوق كتفي أثناء التصوير؟
- الوادي: بعض المخرجين يحتقرون الجمهور باسم سينما المؤلف.
- رگاب: من يحتقر الجمهور لا يحق له أن يغضب حين يحتقره الجمهور.
- الوادي: هل السينما فن للنخبة؟
- رگاب: السينما فن لمن يستطيع أن يرى.
- الوادي: عبارة غامضة.
- رگاب: لأنك تريد مني جواباً يصلح لمنشور فيسبوك.
- الوادي: أنت تهرب إلى البلاغة.
- رگاب: وأنا ميت، اِمنحني هذا الترف على الأقل.
- الوادي: لا.
- رگاب: جميل.
- الوادي: سؤال أخير. لو شاهدت السينما المغربية اليوم، ماذا ستقول لمخرجيها؟
- رگاب: لن أقول شيئاً.
- الوادي: بعد كل هذا الكلام؟
- رگاب: سأشاهد أفلامهم أولاً.
- الوادي: ثم؟
- رگاب: سأبحث عن شيء واحد.
- الوادي: ما هو؟
- رگاب: الضرورة.
- الوادي: أي ضرورة؟
- رگاب: لماذا صنع هذا الإنسان هذا الفيلم؟ لماذا كان لابد أن يولد؟ ماذا كان سيحدث لو لم يصنعه؟
- الوادي: وإذا لم تجد جواباً؟
- رگاب: فالفيلم لم يكن ضرورياً.
- الوادي: ومعظم الأفلام؟

- رگاب: لا تدفعني إلى قولها.
- الوادي: قلها.
- رگاب: معظم الأفلام كان يمكن ألا توجد، ولن ينقص العالمَ شيء.
- الوادي: و"حلاق درب الفقراء"؟
- رگاب: أنت تسألني عن ابني إن كان جميلاً.
- الوادي: أجب.
- رگاب: لا أعرف إن كان جميلاً.
- الوادي: لكن؟
- رگاب: أعرف أنه كان ضرورياً بالنسبة إلي.
- الوادي: وكي يبقى؟
- رگاب: لا.
- الوادي: ما الذي يجعله يبقى إذن؟
- رگاب: أن يصبح ضرورياً لشخص لم يولد بعد حين صنعته.
- الوادي: ربما لهذا ما زلنا نحاورك.
- رگاب: وربما لأنكم لم تجدوا بعد من تجيبونه بين الأحياء.
- الوادي: حتى في النهاية تريد الضربة الأخيرة؟
- رگاب: المخرج الذي يترك آخر لقطة لمحاوره إختار المهنة الخطأ.

وحيد الطويلة



- الوادي: أشعر أحياناً يا وحيد أنك لا تدخل القرية روائياً، بل تدخلها مثل رجل يعرف أسرار البيوت ويستمتع بأن يترك الأبواب مفتوحة.
- الطويلة: الروائي الذي يغلق الأبواب خلف الناس ليس روائياً، بل بوّاب محترم.
- الوادي: جميل. لكن بين الروائي والفضولي شعرة. وأنت تمشي فوقها كثيراً.
- الطويلة: وأنت تريد من الكاتب أن يرى العورة ثم يصف الستارة؟
- الوادي: أريده أن يكشف الإنسان، لا أن يخلع عنه ملابسه ليضمن انتباه القارئ.
- الطويلة: الجسد ليس إعلاناً تجارياً يا عبد الرحمان. الجسد هو أول سجن نسكنه وآخر وثيقة تفضحنا.
- الوادي: لكنك مولع به أكثر مما ينبغي.

- الطويلة: ومن قال إن للأدب "ينبغي"؟
- الوادي: النقد يقول. الذائقة تقول. وأحياناً النص نفسه يصرخ: كفى.
- الطويلة: النص الذي يصرخ كفى لم يبدأ بعد.
- الوادي: ها أنت تهرب إلى البلاغة.
- الطويلة: وأنت تهرب إلى الأخلاق.
- الوادي: لا. أنا أسألك سؤالاً فنياً: هل الجسد عندك ضرورة روائية، أم أنك اكتشفت أنه باب مضمون إلى الإثارة؟
- الطويلة: لو كنت أبحث عن الإثارة لكتبت ما هو أسهل من الرواية. الرواية عذاب طويل مقابل عدد قليل من القراء.
- الوادي: لكنها تمنح الكاتب شيئاً أخطر من المال: تمنحه سلطة أن يسمّي رغبات الآخرين ويقرر ما يخفونه.
- الطويلة: هذا عمل الروائي.
- الوادي: لا. هذا عمل الله والجلاد والطبيب النفسي أيضاً.
- الطويلة: الفرق أن الثلاثة يريدون اعترافاً. الروائي يريد كذبة جيدة تكشف حقيقة أكبر.
- الوادي: أحياناً تبدو كأنك تقول: الناس منافقون، القرية مكبوتة، السلطة فاسدة، الجنس مختبئ خلف الجدران، والخوف يحكم الجميع. أليست هذه وصفة أصبحت جاهزة؟
- الطويلة: الجاهز ليس الموضوع، الجاهز هو الكاتب الذي يكتب الموضوع بالطريقة نفسها.
- الوادي: وهل أنت متأكد أنك لا تعيد كتابة وحيد الطويلة؟
- الطويلة: أخاف ذلك كل يوم.
- الوادي: هذه أول إجابة أعجبتني.
- الطويلة: لأنها أول إجابة لم تستطع مهاجمتها؟
- الوادي: بل لأنها خالية من استعراض الكاتب الواثق.
- الطويلة: الثقة الزائدة مقبرة الفنان.

- الوادي: مع ذلك أراك أحياناً في نصوصك تستعرض براعة الجملة حتى تكاد الشخصية تتوقف كي يمر الكاتب أمامها.
- الطويلة: قاسية.
- الوادي: طلبت منك ألا نأتي إلى هنا بالقطن.
- الطويلة: أكمل.
- الوادي: أحياناً أسمع صوت وحيد الطويلة أعلى من صوت أبطاله. الراوي يعرف، يعلّق، يسخر، يغمز، يصفق لنفسه في الخفاء. لماذا لا تصمت قليلاً وتترك الناس يعيشون؟
- الطويلة: لأن الصمت أيضاً حيلة فنية، وليس فضيلة.
- الوادي: لكن كثرة حضور الكاتب نوع من الاستبداد.
- الطويلة: كل رواية دكتاتورية صغيرة. الكاتب يخلق العالم، يقرر من يدخل ومن يموت، من يتكلم ومن يُحذف.
- الوادي: إذن أنت تعترف بأن الروائي مستبد؟
- الطويلة: بالتأكيد.
- الوادي: فما الفرق بينه وبين السلطة التي يسخر منها؟
- الطويلة: السلطة تريدك أن تصدق أن عالمها حقيقي. الروائي يقول لك منذ البداية: هذا كله مصنوع.
- الوادي: لا تكن مطمئناً. بعض الروائيين أشد تزويراً للوعي من السياسيين.
- الطويلة: وبعض القراء أشد كسلاً من الإثنين.
- الوادي: ها أنت تضرب القارئ الآن.
- الطويلة: لأنه ليس مقدساً.
- الوادي: ولا الكاتب.
- الطويلة: بالتأكيد.
- الوادي: إذن دعني أنزع عنك قداسة الكاتب. ماذا يبقى من وحيد الطويلة لو نزعتَ عنه المقاهي والهامش والجسد والسخرية والقرية؟
- الطويلة: سؤال خبيث.

- الوادي: لأنه يضعك أمام احتمال أنك بنيت لنفسك قفصاً ثم سمّيته عالماً روائياً.
- الطويلة: كل كاتب كبير لديه قفصه.
- الوادي: الكاتب الكبير يوسّع قضبانه حتى لا نراها. الكاتب الأقل شجاعة يلمّعها.
- الطويلة: وهل تراني ألمعها؟
- الوادي: أحياناً.
- الطويلة: متى؟
- الوادي: حين تصبح السخرية متوقعة. حين نعرف مسبقاً أن المقدس سيُنزَل إلى الأرض، وأن السلطة ستظهر عارية، وأن القرية ستكتشف أنها أقل طهارة مما تدّعي.
- الطويلة: ولكنها فعلاً أقل طهارة مما تدعي.
- الوادي: المشكلة أنك تعرف النتيجة قبل أن تبدأ الرواية.
- الطويلة: وأنت تعرف أن الإنسان سيموت قبل أن يولد، ومع ذلك تعيش.
- الوادي: جواب ذكي، لكنه لا ينقذك. الرواية ليست الحياة. الرواية يجب أن تفاجئ حتى مؤلفها.
- الطويلة: أتفق.
- الوادي: وهل تفاجئك شخصياتك؟
- الطويلة: حين تكون الرواية جيدة، نعم.
- الوادي: وحين لا تفاجئك؟
- الطويلة: أعرف أنني أكتب موظفاً عندي.
- الوادي: هذه عبارة تصلح ضدك أكثر مما تصلح لك.
- الطويلة: أُكتبها إذن.
- الوادي: كتبتها.
- الطويلة: أنت تستمتع باستجوابي.
- الوادي: لا. أختبر ما إذا كنت تستطيع احتمال السكين التي تستعملها مع مجتمعك.

- الطويلة: اِضرب.
- الوادي: حسناً. هل تكتب المهمش لأنه يهمك فعلاً، أم لأن الهامش أصبح رأسمالاً رمزياً للكاتب العربي؟ الفقير، المنسي، المرأة المقهورة، العاطل، المقهى، الحارة... مواد ممتازة لنيل صفة "كاتب منحاز للإنسان".
- الطويلة: لو كنت أبحث عن شهادة حسن سلوك ثقافية لاخترت خطاباً أكثر أناقة.
- الوادي: ليس ضرورياً. حتى القذارة يمكن أن تتحول إلى ديكور أنيق في الرواية.
- الطويلة: صحيح.
- الوادي: هذه المرة لم تدافع عن نفسك.
- الطويلة: لأن الخطر موجود. يمكن للكاتب أن يستعمل فقر الناس كما يستعمل المصور خلفية جميلة.
- الوادي: وهل فعلتها؟
- الطويلة: لا أعرف.
- الوادي: إجابة ثانية جيدة.
- الطويلة: لأنك تحب الشك.
- الوادي: لأن اليقين عند الكاتب رائحة كريهة.
- الطويلة: وعند الناقد؟
- الوادي: أشد نتانة.
- الطويلة: بدأنا نتفق، وهذا يقلقني.
- الوادي: سأفسد الإتفاق فوراً. أنت تسخر كثيراً من السلطة الاجتماعية والدينية والسياسية. لكن الكاتب العربي نفسه يحب السلطة. يحب المنصة، الصورة، المهرجان، الجائزة، التصفيق، أن يقال "الروائي الكبير".
- الطويلة: صحيح.
- الوادي: وأنت خارج هذه اللعبة؟
- الطويلة: لا أحد خارجها تماماً.

- الوادي: إذن الكاتب الذي يسخر من شيخ القرية نهاراً قد ينتظر دعوة الوزير مساءً.
- الطويلة: وقد يلعن المؤسسة ثم يغضب لأنها لم تدعه.
- الوادي: أخيراً نتكلم.
- الطويلة: ماذا كنت تظن أننا نفعل؟
- الوادي: كنا نتبادل الجمل. الآن بدأنا نذبح الوهم.
- الطويلة: أي وهم؟
- الوادي: وهم الكاتب بوصفه ضميراً للأمة.
- الطويلة: لم أؤمن به.
- الوادي: جيد. الكاتب ليس ضميراً لأحد.
- الطويلة: الكاتب بالكاد يستطيع إدارة ضميره الشخصي.
- الوادي: بل قد يكون أكثر أنانية من المواطن العادي. يحوّل موت أمه وحب حبيبته وفقر جاره وانكسار وطنه إلى مادة.
- الطويلة: هذه تهمة حقيقية.
- الوادي: الكاتب آكل جثث رمزي.
- الطويلة: أحياناً.
- الوادي: لا تقل أحياناً. دائماً. نحن نأكل حياتنا وحياة الآخرين ثم نقدمها في كتاب ونكتب على الغلاف أسماءنا وحدنا.
- الطويلة: وأنت تفعل ذلك؟
- الوادي: أفعل.
- الطويلة: إذن لماذا تحاكمني؟
- الوادي: لأنني أحاكم نفسي من خلالك.
- الطويلة: الآن صار الحوار أخطر.
- الوادي: لأن خصمي لم يعد وحيد الطويلة. خصمي الآن الكاتب نفسه.
- الطويلة: إذن اِضربنا معاً.
- الوادي: لماذا نكتب؟
- الطويلة: كي لا نموت بالكامل.

- الوادي: كذبة جميلة.
- الطويلة: وأنت؟
- الوادي: ربما نكتب لأننا عاجزون عن تغيير العالم، فنخترع عالماً نستطيع التحكم فيه.
- الطويلة: أقسى.
- الوادي: وربما نكتب لننتقم.
- الطويلة: ممن؟
- الوادي: من الزمن. من الذين لم يفهمونا. من النساء اللواتي تركننا. من المدن التي طردتنا. من السلطة التي احتقرتنا. من الموت الذي ينتظرنا.
- الطويلة: قد نكتب لنطلب الحب.
- الوادي: تلك أكثرها إذلالاً.
- الطويلة: لكنها الأكثر صدقاً.
- الوادي: الكاتب الذي يقول "لا يهمني رأي القراء" كاذب؟
- الطويلة: غالباً.
- الوادي: والذي يقول "أكتب لنفسي"؟
- الطويلة: لو كان يكتب لنفسه لأغلق الدفتر ووضعه في الدرج.
- الوادي: هائل. إذن النشر طلب اعتراف.
- الطويلة: نعم.
- الوادي: وكل كاتب يحمل داخله طفلاً يصيح: أنظروا إليّ.
- الطويلة: حتى الذي يكتب عن المهمشين.
- الوادي: خصوصاً الذي يكتب عن المهمشين.
- الطويلة: لماذا خصوصاً؟
- الوادي: لأنه قد يجعلهم جميعاً يصيحون كي يسمع الناس صوته هو.
- الطويلة: هذه ضربة تحت الحزام.
- الوادي: الأدب بلا حزام يا وحيد.
- الطويلة: أنت بدأت تستمتع بعباراتك مثلما اتهمتني قبل قليل.

- الوادي: أمسكتني.
- الطويلة: هذه مشكلة المحاور؛ يهاجم نرجسية الكاتب وهو ينتظر جملته اللامعة.
- الوادي: إذن نحن لصّان في الغرفة نفسها.
- الطويلة: أمامنا مرآة.
- الوادي: من يكسرها؟
- الطويلة: لا تكسرها. أُنظر جيداً.
- الوادي: ماذا ترى؟
- الطويلة: رجلين يتشاجران حول الأدب؛ لأن كليهما خائف من سؤال أبسط.
- الوادي: ما هو؟
- الطويلة: ماذا لو لم يكن لكل ما كتبناه أهمية كبيرة؟... لماذا سكتَّ؟
- الوادي: لأنك أخيراً قلت شيئاً لا أستطيع مهاجمته.
- الطويلة: تستطيع.
- الوادي: لا. هناك سؤال لا ينتصر فيه أحد: ماذا لو كانت الكتب التي أفنينا أعمارنا فيها مجرد ضجيج صغير بين ولادتين ومقبرتين؟
- الطويلة: عندئذ يكفيني أن ذلك الضجيج كان صوتي.
- الوادي: هذه إجابة رومانسية.
- الطويلة: ربما.
- الوادي: وغير كافية.
- الطويلة: الحياة نفسها غير كافية.
- الوادي: إذن الرواية؟
- الطويلة: محاولة فاشلة لجعلها تكفي.
- الوادي: والكاتب؟
- الطويلة: كائن يعرف أن المحاولة ستفشل ويكررها.
- الوادي: والقارئ؟

- الطويلة: شاهد على الفشل.
- الوادي: والنقد؟
- الطويلة: تشريح للجثة.
- الوادي: والجائزة؟
- الطويلة: باقة ورد فوقها.
- الوادي: والمهرجان؟
- الطويلة: جنازة فيها ما لذ وطاب من الطعام والشراب.
- الوادي: والخلود؟
- الطويلة: كذبة اِخترعها الموتى كي يواصل الأحياء شراء كتبهم.
- الوادي: الآن فقط أصدق أنك روائي.
- الطويلة: والآن فقط أصدق أنك لم تأت لتحاورني. جئت لتجد شخصاً تقاتله حتى تصل إلى نفسك.
- الوادي: هل وصلت؟
- الطويلة: لا.
- الوادي: لماذا؟
- الطويلة: لأن الكاتب حين يصل إلى نفسه... يتوقف عن الكتابة.

عبد اللطيف اللعبي



- الوادي: عبد اللطيف، لن أبدأ بالشعر. سأبدأ بالسؤال الذي يزعجني: هل بقيت ثائراً فعلاً، أم تحولت الثورة عندك إلى سيرة ذاتية أنيقة؟
- اللعبي: من قال لك إن الثورة يجب أن تظل تصرخ كي تبقى ثورة؟
- الوادي: لأن الثورات التي تخفض صوتها كثيراً تنتهي في المكتبات.
- اللعبي: المكتبات أخطر مما تتصور. السجن نفسه كان يخاف من الكتب.
- الوادي: لكنه لم يكن يخاف من الجوائز.
- اللعبي: ها أنت وصلت بسرعة إلى السم.
- الوادي: لأنني لا أريد حواراً يحتفي بك. أريد أن أعرف كيف ينتقل شاعر من الهامش المتمرد إلى قلب المؤسسة الثقافية، ثم يظل يقدم نفسه بوصفه الخارج عليها.

- اللعبي: أنا لم أقدم نفسي بهذه الصورة.
- الوادي: لكن الصورة صنعتها بنفسك: الشاعر، السجين، المنفي، المعارض، صاحب الكلمة الحرة. أليست هذه أيضاً مؤسسة؟ مؤسسة اِسمها عبد اللطيف اللعبي؟
- اللعبي: تريد أن تجعل من الاستمرار خيانة؟
- الوادي: أريد أن أسأل إن كان النجاح يستطيع أن يروض المتمرد من دون أن يشعر.
- اللعبي: والذي يظل فقيراً ومهمشاً، هل يصبح بذلك أكثر صدقاً؟
- الوادي: لا. لكن الاعتراف يغير زاوية النظر. من كان يرشق القصر بالحجارة قد يجد نفسه يوماً مدعواً إلى صالونه.
- اللعبي: وإذا دخل الصالون؟
- الوادي: أخشى أن ينسى الحجر في جيبه.
- اللعبي: وربما يدخل ليضع الحجر فوق الطاولة.
- الوادي: كلام جميل. لكنه يصلح للقصائد أكثر مما يصلح للتاريخ.
- اللعبي: وأنت ماذا تريد، أن أبقى في الزنزانة حتى تقتنع أنني وفيّ؟
- الوادي: لا. أريد أن أعرف متى يتحول الجرح إلى رأسمال رمزي.
- اللعبي: حين يتاجر به صاحبه.
- الوادي: لم تتاجر أنت بجرحك قط؟
- اللعبي: اِنتبه إلى الكلمة.
- الوادي: تعمدتُها.
- اللعبي: إذن سأجيبك عمداً أيضاً: كتبت جرحي كي لا يمتلكه جلادي. هناك فرق بين أن تبيع الندبة وأن تستعيدها من يد من أحدثها.
- الوادي: لكن القارئ لا يرى هذا الفرق دائماً. يرى سيرة بطولية مكتملة العناصر.

- اللعبي: السجن ليس عنصراً دراماياً يا صديقي.
- الوادي: أعرف. لكن الأدب قادر على تحويل حتى العذاب إلى أسطورة.
- اللعبي: إذن حاكم الأدب، لا الضحية.
- الوادي: بل أحاكم الشاعر حين يبدأ في تصديق أسطورته.
- اللعبي: وهل تعتقد أنني صدقتها؟
- الوادي: أحياناً أشعر بذلك.
- اللعبي: لأنك جئت لكي تهدمني، لا لكي تحاورني.
- الوادي: ربما. فالهدم أحياناً أكثر احتراماً من التصفيق.
- اللعبي: اِهدم.
- الوادي: لنبدأ باللغة. كتبت كثيراً بالفرنسية. أليست هناك مفارقة قاسية في أن تقاوم الاستبداد بلغة المستعمر؟
- اللعبي: اللغة لا تحمل جواز سفر.
- الوادي: هذه الكلمة مريحة جداً.
- اللعبي: لأنها صحيحة.
- الوادي: ليست صحيحة تماماً. اللغة تحمل تاريخاً وجيوشاً ومدارس وإدارات وطبقات اجتماعية. الفرنسية في المغرب لم تهبط من السماء.
- اللعبي: العربية أيضاً لم تهبط من السماء إليه.
- الوادي: الآن بدأ الحوار.
- اللعبي: اللغة تصبح لغتي حين أختطفها ممن يريد احتكارها.
- الوادي: أم تصبح أنت أسيرها.
- اللعبي: كل كاتب أسير اللغة التي يكتب بها.
- الوادي: لكن سجن الفرنسية منحك نافذة واسعة على العالم.
- اللعبي: أتعاتبني لأن النافذة كانت واسعة؟
- الوادي: أسأل فقط: لو كتبت التجربة نفسها بالعربية وحدها، هل كان العالم سيحتفي بك بنفس الطريقة؟
- اللعبي: ربما لا.

- الوادي: إذن اللغة ليست بريئة.
- اللعبي: لم أقل إنها بريئة. قلت إنها قابلة للاستيلاء.
- الوادي: مع ذلك، هناك شاعر مغربي يكتب بالعربية في عزلة، قد يكون أكثر راديكالية منك، لكنه لا يصل إلى باريس، فلا يصبح كونياً.
- اللعبي: هذه مشكلة نظام ثقافي عالمي، لا مشكلة قصيدتي.
- الوادي: لكنها تصبح مشكلتك حين تقبل لقب "الشاعر الكوني" من النظام نفسه.
- اللعبي: ماذا تريدني أن أفعل، أرفض أن يقرأني الناس لأن القراءة غير متكافئة؟
- الوادي: أريد منك فقط ألا تنسى أن الكونية نفسها قد تكون امتيازاً جغرافياً.
- اللعبي: لم أنس.
- الوادي: أنت تقول ذلك الآن لأنني حاصرتك.
- اللعبي: وأنت تستمتع بالمحاصرة أكثر مما تستمتع بالفكرة.
- الوادي: صحيح. لأن المجاملة مقبرة الحوار.
- اللعبي: لكن العدوانية ليست فكراً.
- الوادي: لم أصل بعد إلى العدوانية.
- اللعبي: أخشى أن أعرف إلى أين ستصل.
- الوادي: إلى الشعر نفسه. هل ما زلت تؤمن أن الشعر يستطيع تغيير العالم؟
- اللعبي: الشعر يغير الإنسان.
- الوادي: إجابة كلاسيكية.
- اللعبي: لأن بعض الحقائق لا تحتاج إلى حداثة شكلية.
- الوادي: كم إنساناً غيرته قصيدة أمام دبابة؟
- اللعبي: الدبابة أيضاً يقودها إنسان.
- الوادي: لكنها لا تتوقف عادة لتقرأ ديواناً.
- اللعبي: القصيدة ليست حاجزاً إسمنتياً.

- الوادي: إذن لنقل بوضوح إن الشعر عاجز سياسياً.
- اللعبي: بل السياسة هي العاجزة حين لا تستطيع تخيل الإنسان إلا ناخباً أو سجيناً أو جندياً.
- الوادي: كلام شاعر.
- اللعبي: وهل دعوت طبيب أسنان إلى الحوار؟
- الوادي: دعوت شاعراً قضى عمره يخلط الشعر بالسياسة. لذلك لا يحق له الآن الاحتماء بالشعر حين تضيق السياسة.
- اللعبي: أنا لا أحتمي.
- الوادي: بل تفعل. حين تفشل الثورة تقول: يبقى الشعر. حين يفشل الحزب تقول: يبقى الإنسان. حين يفشل التاريخ تقول: تبقى الذاكرة. أنت دائماً تجد باب نجاة.
- اللعبي: أتريدني أن أموت مع كل فكرة خذلتني؟
- الوادي: أريدك أن تعترف بأن بعض ما دافعتم عنه كان وهماً.
- اللعبي: بالطبع كان وهماً.
- الوادي: قلها دون لكن.
- اللعبي: كان وهماً.
- الوادي: الثورة؟
- اللعبي: بعض تصوراتنا عنها.
- الوادي: اليسار؟
- اللعبي: بعض يقينياته.
- الوادي: المثقف الطليعي؟
- اللعبي: وهم خطير أحياناً.
- الوادي: أنتم ساهمتم في صناعته.
- اللعبي: نعم.
- الوادي: أخيراً.
- اللعبي: لا تحتفل كثيراً. الإعتراف بالخطإ ليس هزيمة.
- الوادي: لكنه نادر عند المثقفين.
- اللعبي: لأن المثقف يخاف على تمثاله.

- الوادي: وأنت، ألا تخاف على تمثالك؟
- اللعبي: لا أريد تمثالاً.
- الوادي: كل الذين يقولون ذلك يريدون تمثالاً أكثر تجريداً.
- اللعبي: وأنت، ماذا تريد بعد موتك؟
- الوادي: أن يختلف الناس حول نصوصي، لا أن يضعوا الزهور أمام صورتي.
- اللعبي: هذه أيضاً طريقة أنيقة لطلب الخلود.
- الوادي: أصبتني.
- اللعبي: أخيراً.
- الوادي: لكنني لم أنته. ماذا عن المنفى؟ ألا يتحول المنفى، بعد عقود، من جرح إلى هوية مريحة؟
- اللعبي: لا يوجد منفى مريح.
- الوادي: يوجد منفى ناجح.
- اللعبي: النجاح لا يلغي الاقتلاع.
- الوادي: لكنه قد يجعل الاقتلاع قابلاً للسرد، بل جذاباً أحياناً.
- اللعبي: تتحدث كأن المنفي يضع غربته في واجهة متجر.
- الوادي: بعض المثقفين يفعلون.
- اللعبي: وأنا؟
- الوادي: أحياناً أشعر أن المنفى عندك لم يعد مكاناً بل سلطة أخلاقية: "أنا دفعت الثمن، إذن يحق لي أن أتكلم أعلى منكم".
- اللعبي: لم أقل هذا قط.
- الوادي: ليس ضرورياً أن تقوله. السيرة تقوله بالنيابة عنك.
- اللعبي: وما ذنبي في سيرتي؟
- الوادي: لا ذنب لك. لكن للجرح أيضاً استبداده. من تألم كثيراً قد يعتقد أن ألمه يمنحه حقيقة أكبر من الآخرين.
- اللعبي: هذه تهمة خطيرة.
- الوادي: لذلك قلتها.
- اللعبي: الألم لا يمنح الحقيقة، لكنه يمنح الشك.

- الوادي: جميل. هل شككت في نفسك بما يكفي؟
- اللعبي: كل صباح.
- الوادي: لا أصدق الشعراء حين يقولون: كل صباح.
- اللعبي: وأنا لا أصدق المحاورين حين يقولون: أريد الحقيقة.
- الوادي: ماذا نريد إذن؟
- اللعبي: كل واحد منا يريد أن يخرج من الحوار منتصراً.
- الوادي: انا أريدك مهزوماً.
- اللعبي: لماذا؟
- الوادي: لأنني سئمت صورة المثقف الذي لا يُهزم.
- اللعبي: اِهزمني بفكرة.
- الوادي: حسناً. أنت قضيت حياتك تدافع عن الحرية. لكن ماذا فعلت الحرية نفسها بالعالم؟ العنصرية مستمرة، الحروب مستمرة، السجون مستمرة، الفقر مستمر. ألا تشعر أحياناً أن المثقف مجرد شاهد أنيق على الكارثة؟
- اللعبي: نعم.
- الوادي: فقط نعم؟
- اللعبي: ماذا تريد أكثر؟ هذه ربما أقسى إجابة أستطيع تقديمها.
- الوادي: إذن نحن نكتب كي نشهد على الهزيمة.
- اللعبي: نكتب كي لا تصبح الهزيمة طبيعية.
- الوادي: لكنها أصبحت طبيعية.
- اللعبي: لذلك يجب أن نكتب أكثر.
- الوادي: دائرة مغلقة.
- اللعبي: ربما.
- الوادي: إذن أنت لا تملك حلاً.
- اللعبي: من قال لك إن الشاعر بائع حلول؟
- الوادي: لكنكم، أنتم مثقفي جيل الثورة، تحدثتم طويلاً كما لو أنكم تعرفون الطريق.
- اللعبي: هذه كانت خطيئتنا.

- الوادي: أخيراً وصلنا إلى الكلمة الصحيحة: خطيئة.
- اللعبي: لا تبالغ في لذتك.
- الوادي: دعني أستمتع قليلاً. أليس جيلكم مسؤولاً أيضاً عن توريثنا لغة ضخمة: الثورة، الجماهير، التحرر، التاريخ... ثم تركتم لنا واقعاً أصغر بكثير من الكلمات؟
- اللعبي: نعم، لغتنا كانت أحياناً أضخم من قدرتنا على تغيير العالم.
- الوادي: إذن قتلتمونا بالبلاغة.
- اللعبي: وأنتم ماذا تفعلون الآن؟
- الوادي: نحاول النجاة من الكلمات التي ورثناها عنكم.
- اللعبي: تغيرونها بماذا؟ بالسخرية؟ بالعدمية؟ بمنشور سريع على شاشة؟
- الوادي: على الأقل لا ندعي امتلاك التاريخ.
- اللعبي: بل تدعون أن التاريخ انتهى.
- الوادي: لم أقل ذلك.
- اللعبي: لكنني أشم في كلامك راحة المتشكك. المتشكك لا يخسر شيئاً لأنه لا يؤمن بشيء.
- الوادي: أشم في كلامك كبرياء المؤمن القديم الذي خسر معاركه لكنه يريد الاحتفاظ بالنبرة النبوية.
- اللعبي: أنا لست نبياً.
- الوادي: لكنك تتكلم أحياناً من جبل.
- اللعبي: وأنتم تحاورونا أحياناً من مقصلة.
- الوادي: ربما لأننا نريد أن نرى رؤوس الآباء تتدحرج.
- اللعبي: لكي تصبحوا آباءً مكانهم؟
- الوادي: ربما هذه هي اللعبة كلها.
- اللعبي: إذن نحن متشابهان أكثر مما تريد.
- الوادي: لا تستعجل المصالحة.
- اللعبي: لا أريدها.

- الوادي: جيد. سؤال أخير: لو عاد بك الزمن إلى البداية، هل ستختار الطريق نفسه؟
- اللعبي: لا.
- الوادي: هذه أقوى كلمة قلتها.
- اللعبي: لكنني سأختار الأسباب نفسها.
- الوادي: وضح.
- اللعبي: سأخطئ بطريقة أخرى. سأقاوم بطريقة أخرى. سأكتب بطريقة أخرى. سأشك أكثر. سأثق أقل في الشعارات، أقل في التنظيمات، أقل في الرجال الذين يتحدثون باسم التاريخ. لكنني لن أصالح الظلم.
- الوادي: حتى لو عرفت مسبقاً أن الظلم سيبقى؟
- اللعبي: خصوصاً إذا عرفت أنه سيبقى.
- الوادي: هذا يبدو عبثياً.
- اللعبي: الكرامة نفسها عبثية إذا قستها بمنطق الربح والخسارة.
- الوادي: ما زلتَ مؤمناً بها؟
- اللعبي: لو لم أكن مؤمناً بها، لما تحملت جلستك هذه.
- الوادي: وأنا لو لم أكن أحترمك، لما حاولت هدمك.
- اللعبي: لا تقل أحترمك. إنها بداية المصالحة.
- الوادي: إذن سأقول: ما زلت أختلف معك.
- اللعبي: أفضل.
- الوادي: وأشك فيك.
- اللعبي: أفضل بكثير.
- الوادي: وربما أشك في نفسي أكثر بعد هذا الحوار.
- اللعبي: الآن فقط بدأ الحوار.
- الوادي: لكنه انتهى.
- اللعبي: الحوارات الحقيقية تبدأ بعد أن ينتهي الكلام.

توفيق حماني



- الوادي: تقول إن السيناريو حكيٌ منظم ودقيق. ألا تخاف أن يتحول التنظيم إلى مقبرة للجنون؟
- حماني: أخاف أكثر من جنون لا يعرف إلى أين يذهب. الفوضى ليست حرية، والفكرة التي لا تجد لها بناءً تظل خاطرةً جميلةً لا فيلماً.
- الوادي: لكنني حين أكتب، لا أريد أن أعرف دائماً إلى أين سأذهب. أحياناً أريد للشخصية أن تخونني.
- حماني: اِخدع نفسك كما تشاء أثناء الكتابة، لكن لا تخدع المتفرج. الشخصية التي تخونك ينبغي أن تكون قد زرعت أسباب خيانتها من قبل، وإلا فأنت تسمي العجز مفاجأة.
- الوادي: إذن أنت تؤمن بالهندسة.
- حماني: أؤمن بأن أجمل البيوت قد تبدو عفوية، لكن السقف لا يبقى معلقاً في الهواء بالشعر.

- الوادي: هنا نختلف. أنا آتٍ من الشعر والمسرح، وأحياناً أريد من السقف أن يسقط.
- حماني: اَسقطه. لكن اِعرف لماذا سقط، وعلى رأس من سقط، وماذا سيحدث بعد سقوطه. السينما لا تكتفي بصورة الخراب؛ تسأل عن أثره.
- الوادي: تحدثتَ يوماً عن وظائف اجتماعية وإيديولوجية وتنويرية وتعليمية للفن. ألا يبدو ذلك كأنك تدخل إلى غرفة الكتابة ومعك سبورة مدرس؟
- حماني: إذا دخل الكاتب وفي يده السبورة فشل. لكن إذا خرج المتفرج من عملك كما دخل إليه تماماً، فاسأل نفسك: لماذا أزعجته ساعة أو ساعتين؟
- الوادي: ربما لأن الفن ليس موظفاً في وزارة التربية.
- حماني: ولا هو مهرج في سيرك.
- الوادي: ها أنت تقع في الفخ نفسه: تريد من الفن أن يؤدي وظيفة.
- حماني: وأنت تريد منه ألا يؤدي شيئاً كي يبدو حرّاً. حتى الصمت يؤدي وظيفة.
- الوادي: مشكلتي مع كلمة رسالة. حين يقول لي سيناريست إن لفيلمه رسالة، أشعر بأن الفيلم مات قبل التصوير.
- حماني: وأنا أيضاً لا أحب الرسائل البريدية داخل الأفلام. لكن العمل الذي لا يحمل رؤية للعالم مجرد ترتيب للأحداث.
- الوادي: هل كل ما كتبناه للتلفزيون المغربي كان يحمل فعلاً رؤية للعالم؟ أم أننا نبالغ في إعطاء الماضي قيمة لأنه صار ماضياً؟
- حماني: لا أقدّس تجربتي. كتبتُ ما نجح، وكتبتُ ما كان يمكن أن يكون أفضل. الكاتب الذي ينظر خلفه فلا يرى إلا الروائع إما كاذب أو أعمى.

- الوادي: جميل. إذن دعني أكون أكثر قسوة: أليست أزمة السيناريو المغربي أحياناً من صنع السيناريست نفسه، لا المنتج ولا المخرج ولا القناة؟
- حماني: بالتأكيد. من السهل أن نبني مقصلة ونضع فوقها المنتج. هناك نصوص ضعيفة، وهناك كتاب يتوقف تكوينهم يوم يحصلون على أول عقد.
- الوادي: وبعضهم يصبح أستاذاً للسيناريو قبل أن يتعلم السيناريو.
- حماني: والأسوأ أن بعضهم يحفظ المصطلحات أكثر مما يعرف البشر. يستطيع أن يشرح لك نقطة التحول ساعتين ولا يستطيع أن يكتب امرأة تفتح باباً وتقنعك بأنها خائفة.
- الوادي: أنت تؤطر ورشات للكتابة. ألا تخشى أن تصنع جيلاً يكتب بالطريقة نفسها؟ ثلاثة فصول، نقطة تحول، ذروة، حل؟
- حماني: أعلّمهم القاعدة لكي يعرفوا متى يكسرونها. أنت لا تتمرّد على جدار لا تراه.
- الوادي: لكن كثرة الحديث عن التقنية جعلت بعض السيناريوهات سليمة مثل جثة في كلية الطب؛ كل الأعضاء موجودة ولا حياة فيها.
- حماني: أتفق. التقنية لا تخلق النبض. لكنها تستطيع أن تمنعك من قتل النبض بسوء الصنعة.
- الوادي: لنذهب إلى التاريخ. في أعمالك حضور قوي للماضي والسلطة والمجتمع التقليدي. لماذا يهرب السيناريست المغربي كثيراً إلى الماضي حين يريد الحديث عن الحاضر؟
- حماني: لأن الماضي ليس دائماً هروباً. أحياناً هو مرآة موضوعة على مسافة آمنة.
- الوادي: آمنة؟ هذه الكلمة تخيفني. هل يحتاج الكاتب إلى مسافة آمنة؟

- حماني: الكاتب لا يحتاج إلى الأمان، لكنه يحتاج إلى الذكاء. الإصطدام بالجدار ليس شجاعة إذا كان هناك باب بجانبه.
- الوادي: وربما يتحول البحث الدائم عن الباب إلى جبن مهذب.
- حماني: صحيح. كما يمكن أن يتحول الصدام الدائم إلى بطولة استعراضية. ليس كل من يصرخ شجاعاً.
- الوادي: هل سبق أن خنت نصاً لتنقذ عملاً؟
- حماني: السؤال الحقيقي: ما النص؟ المسودة الأولى؟ رؤيتي؟ النسخة التي صوّرها المخرج؟ السيناريو فن يعرف منذ ولادته أنه سيفقد جسده الأول.
- الوادي: لهذا يبدو السيناريست كالأب الذي يسلم ابنه إلى المخرج ثم يراه يحمل اسم عائلة أخرى.
- حماني: أحياناً.
- الوادي: وتقبل ذلك؟
- حماني: لا أقبله دائماً. لكن السيناريست الذي يريد أن يحتفظ بكل فاصلة عليه أن يكتب رواية، لا فيلماً.
- الوادي: هذه حجة المخرجين عادة.
- حماني: وأنا لا أدافع عن سطو المخرج. أقول فقط إن السينما ملكية مشتركة. المشكلة تبدأ حين يتحول المشترك إلى طريقة مهذبة لمحو الكاتب.
- الوادي: لماذا يبقى السيناريست المغربي أقل شهرة من الممثل والمخرج، مع أنه أول من يرى الفيلم وهو غير موجود بعد؟
- حماني: لأن الجمهور يرى الوجه ويسمع الصوت ولا يرى الورقة. ولأننا نحن أيضاً لم نقاتل بما يكفي من أجل مكانة الكاتب.
- الوادي: وربما لأن بعض كتاب السيناريو قبلوا أن يكونوا عمالاً سريين داخل مصانع التلفزيون.
- حماني: نعم. حين تقبل أن تُعامل كيدٍ تكتب، لا تشتك لاحقاً لأنهم نسوا الرأس الذي يحركها.
- الوادي: هل السيناريست المغربي حر؟

- حماني: لا يوجد كاتب حر بالكامل.
- الوادي: جواب دبلوماسي.
- حماني: لا، جواب مزعج. الكاتب محاصر بالمال، والمنتج، والزمن، والقناة، والرقابة، والجمهور، وحتى بذوقه الشخصي.
- الوادي: نسيت الخوف.
- حماني: الخوف أخطرها، لأنه الرقابة الوحيدة التي لا تحتاج إلى موظف.
- الوادي: هل كتبتَ يوماً مشهداً ثم محوته لأنك خفت، لا لأنه ضعيف؟
- حماني: ربما.
- الوادي: ربما هي أكثر كلمة يقولها المبدع حين يعرف أن نعم ستفضحه.
- حماني: وأحياناً تكون ربما آخر قطعة حرية يحتفظ بها أمام محاور يريد انتزاع الاعتراف لا الحقيقة.
- الوادي: لم آت لانتزاع اعتراف. أريد أن أعرف فقط: بعد كل هذه السنوات، ما الذي يخيف توفيق حماني أكثر، أن يكتب سيناريو سيئاً أم أن يكتب سيناريو جيداً لا يُنتج؟
- حماني: أن أكتب سيناريو جيداً وأقنع نفسي بأنه عظيم.
- الوادي: لم أتوقع هذا الجواب.
- حماني: لأن أخطر منتج على الكاتب ليس الشركة ولا القناة... غرورُه.
- الوادي: أنا أرى أن الأخطر هو أن يشيخ الكاتب وتظل تقنياته شابة بينما أسئلته تشيخ.
- حماني: عندها يصبح محترفاً ممتازاً... وكاتباً ميتاً.
- الوادي: هل ما زلت تخاف أن تصبح ذلك الكاتب؟
- حماني: في اليوم الذي لا أخاف فيه، سأكون قد أصبحتُه.
- الوادي: إذن ربما لا يُقاس عمر السيناريست بعدد الأفلام التي كتبها.

- حماني: بل بعدد المرات التي استطاع فيها هدم الكاتب القديم داخله.
- الوادي: هنا فقط نتفق.
- حماني: لا تتعجل. الاتفاق الطويل بين كاتبين بداية نص رديء.

محمد عاطير



- الوادي: سي عاطير، سأدخل معك من الباب الذي يهرب منه عادةً الصحفيون: هل أنت ممثل حقيقي، أم مجرد وجه أتقن التلفزيون وضعه في خانة "الرجل الشعبي المضحك"؟
- عاطير: وأنا سأجيبك من الباب الذي يهربُ منه بعض المثقفين: من أعطاك الحق في أن تجعل "الشعبي" نقيضاً لـ"الحقيقي"؟
- الوادي: لا تحوّل السؤال. أنا لا أحتقر الشعبي. أنا أسألك إن كان الشعبي عندك اختياراً فنياً، أم سجناً مريحاً.
- عاطير: السجن المريح لا يكون سجناً.
- الوادي: بل أخطر السجون هو الذي يدفع لك أجراً، ويصفق لك الجمهور داخله، فتنسى أن الباب مغلق.
- عاطير: جئت تحاورني أم جئت تحمل مفتاح زنزانتي؟
- الوادي: جئتُ أتأكد أولاً أنك تعرف أنك داخلها.
- عاطير: وأنت متأكد أنك خارجها؟
- الوادي: على الأقل أحاول ككاتب أن أهدم الجدران.

- عاطير: كل كاتب يقول ذلك. ثم ينتهي به الأمر إلى بناء جدار من الكلمات حول نفسه ويسميه "مشروعاً إبداعياً".
- الوادي: اِضرب كما تشاء. لكنك لن تفلت. حين يراك المشاهد قبل أن تتكلم، يتوقع منك أن يضحك. ألا يزعجك أن يصبح وجهك نكتة قبل أن تصبح شخصية؟
- عاطير: يزعجني حين يكون الضحك سهلاً. أما أن ينتظر منك الناس الفرح، فليس لعنة.
- الوادي: أنا لا أتحدث عن الفرح. أتحدث عن التنميط، والفنان مسؤول عن مقاومته.
- عاطير: بماذا؟ بأن أرفض العمل وأجلس في البيت حتى تمنحني أنت دور الملك لير؟
- الوادي: ها نحن وصلنا إلى الحجة المغربية الأبدية: هذا هو الموجود.
- عاطير: لأن هذا هو الموجود أحياناً.
- الوادي: هذه الجملة هي المقبرة الجماعية للفن المغربي.
- عاطير: هذه الجملة التي قلتها أنت الآن هي ترف من يملك الورق. الممثل يملك جسده وعمره ولقمة عيشه. حين يرفض الدور لا يطبع رفضه في كتاب ويبيعه.
- الوادي: إذن نعترف منذ البداية أن لقمة العيش شريك في صناعة الاختيارات الفنية؟
- عاطير: طبعاً. هل كنت تنتظر مني كذبة ظريفة لطيفة؟
- الوادي: لا. كنت أنتظر هذه الجملة تحديداً. لأننا نحب أن نتحدث عن الرسالة الفنية كأن الفنان يعيش على الضوء.
- عاطير: لا أحد يسأل الممثل في نهاية الشهر كيف دفع الماء والكهرباء. يسألونه فقط: لماذا قبلت هذا الدور؟
- الوادي: لكن هناك لحظة يتحول فيها التبرير الاقتصادي إلى استسلام جمالي. هل استسلمت؟

- عاطير: مرات. كل ممثل يقول لك إنه لم يندم على أي عمل إما كاذب، أو لم يمثل بما يكفي.
- الوادي: إذن لديك أعمال تخجل منها؟
- عاطير: قلت أندم. لم أقل أخجل.
- الوادي: ما الفرق؟
- عاطير: الخجل إدانة للذات. الندم مراجعة لها.
- الوادي: ألا ترى أن بعض الكوميديا المغربية بنت نجاحها على القروي الساذج، البدوي الأحمق، صاحب اللكنة الذي يكفي أن يفتح فمه كي يضحك الناس؟
- عاطير: أحياناً، نعم.
- الوادي: وأنت شاركت في هذه المنظومة.
- عاطير: شاركت في أعمال تنتمي إلى الكوميديا الشعبية، نعم.
- الوادي: لا تختبئ وراء المصطلحات. أسألك أخلاقياً: حين نضحك من القروي لأنه قروي، ألسنا نمارس عليه عنفاً رمزياً؟
- عاطير: القروي شخص عادي مثله مثل ابن المدينة. لماذا تريد مني أن أقدسه؟
- الوادي: لا أطلب تقديسه. أطلب ألا نجعل جغرافيته عاهة.
- عاطير: هنا أتفق معك.
- الوادي: لكن التلفزيون لا يتفق معنا.
- عاطير: التلفزيون يريد شخصية تُفهم في عشر ثوان.
- الوادي: هنا تبدأ الكارثة.
- عاطير: الإنتاج التلفزيوني السريع يحب العلامات الجاهزة: هذا بخيل، هذا قروي، هذا متعجرف، هذا ولد المدينة، هذا شرطي، هذا سمسار...
- الوادي: أين الممثل من كل هذا؟
- عاطير: يحاول أن يسرق لنفسه مساحة حياة داخل الكرتون.
- الوادي: وهل سرقتها دائماً؟
- عاطير: لا.

- الوادي: لماذا؟
- عاطير: لأن هناك نصوصاً ميتة لا يستطيع أفضل ممثل في العالم إنعاشها.
- الوادي: وهناك ممثلون يقتلون حتى النصوص الحية.
- عاطير: كاينين.
- الوادي: هل كنت واحداً منهم يوماً؟
- عاطير: ربما.
- الوادي: هل تعتقد أن الجمهور المغربي يضحك فعلاً مما تقدمه الشاشة، أم أنه يضحك لأنه لم يجد شيئاً آخر؟
- عاطير: لا. الجمهور يستطيع أن يغلق التلفاز.
- الوادي: لكنه لا يستطيع أن يفتح تلفازاً مغربياً آخر في كون موازٍ.
- عاطير: اليوم يستطيع أن يفتح العالم كله في هاتفه.
- الوادي: لهذا أصبحت المقارنة قاتلة. حين يقارن المشاهد بين كتابة مسلسل عالمي وكتابة بعض أعمالنا، نشعر أحياناً أننا لا نكتب للشخصيات بل نكتب لملء دقائق البث.
- عاطير: في بعض الأعمال، نعم.
- الوادي: بعض؟
- عاطير: ماذا تريد أن أقول لك إن كل التلفزيون المغربي رديء كي تصفق لي؟
- الوادي: أريد منك أن تتوقف عن الدبلوماسية.
- عاطير: وأنا أريد منك أن تتوقف عن اعتبار التعميم شجاعة.
- الوادي: لماذا لا نرى ممثلاً كوميدياً مغربياً يقول: هذا النص رديء ولن أمثله؟
- عاطير: لأن الممثل المغربي ليس مؤسسة.
- الوادي: بل لأن كثيرين يخافون أن يغلق الهاتف بعد ذلك.

- عاطير: هناك سوق صغيرة، ودوائر إنتاج محدودة، وفرص ليست بلا نهاية. ومن السهل جداً على من لا يعيش داخل المهنة أن يطالب الفنان بالبطولة الأخلاقية الدائمة.
- الوادي: هل الفن يحتاج إلى بطولة؟
- عاطير: أحياناً.
- الوادي: وهل مارستها؟
- عاطير: ليس بما يكفي.
- الوادي: هل أضاع محمد عاطير أدواراً كان يستطيع أن يصنع بها اسماً أكبر؟
- عاطير: أكيد. أحياناً لم أكن شجاعاً بما يكفي، وأحياناً لم تكن الفرصة موجودة، وأحياناً قبلت بما هو متاح، وأحياناً ظننت أن القادم أفضل.
- الوادي: والقادم ظل قادماً؟
- عاطير: مثل كثير من الأشياء عندنا في هد البلاد السعيدة.
- الوادي: هل تحس أنك أخذت مكانتك الحقيقية؟
- عاطير: لا أحب السؤال.
- الوادي: لأنه موجع؟
- عاطير: لأنه فخ. إن قلتُ نعم بدوت مغروراً، وإن قلتُ لا بدوت متذمراً.
- الوادي: إنس الجمهور. هل أخذت مكانتك في عينيك أنت؟
- عاطير: لا.
- الوادي: لماذا؟
- عاطير: لأنني أعرف أشياء أستطيع فعلها ولم أفعلها بعد.
- الوادي: مثل ماذا؟
- عاطير: أريد شخصية لا تحتاج مني أن أضحك أحداً.
- الوادي: أخيراً!
- عاطير: لا تفرح كثيراً.

- الوادي: أريد أن أراك في دور رجل صامت، مهزوم، مظلم، يثير الخوف لا الضحك.
- عاطير: اِسأل الذين يوزعون الأدوار.
- الوادي: لا. سألتك أنت. لماذا لم تصنعه بنفسك؟ الفنان الذي ينتظر المنتج عشرين سنة ثم يشكو أنه لم يمنحه الدور الذي يحلم به، يصبح شريكاً في سجنه.
- عاطير: هذا صحيح جزئياً.
- الوادي: كلمة "جزئياً" هي آخر خندق لك.
- عاطير: لأن الحياة نفسها جزئية. أنتم الكتاب تحبون الجمل النهائية. نحن الممثلين نعيش بين اللقطة واللقطة.
- الوادي: لكن أليس الممثل مسؤولاً عن أثره؟ بعد ثلاثين سنة مثلاً، ماذا يبقى؟ كان يضحكنا؟
- عاطير: هل هذا قليل؟
- الوادي: إذا كان كل ما بقي، نعم.
- عاطير: أختلف معك تماماً. أن تجعل إنساناً منهكاً يضحك عشر دقائق ليست جريمة فنية.
- الوادي: لم أقل جريمة. قلت إنها ليست كافية لصناعة ذاكرة فنية كبيرة.
- عاطير: من وضع قانون الذاكرة الكبيرة؟ أنت؟
- الوادي: الزمن.
- عاطير: الزمن نفسه نسي فنانين عظماء واحتفظ بأغان سخيفة.
- الوادي: إذن لا تؤمن بعدالة التاريخ؟
- عاطير: أبداً.
- الوادي: وأنا أيضاً.
- عاطير: هذه أول مرة نتفق.
- الوادي: لن يدوم اتفاقنا. دعني أذهب أبعد. أحياناً أشعر أن الكوميدي المغربي أصبح موظف رمضان: يأتي في الموعد،

يضحك الناس، ينتهي الشهر، ويختفي. أليس رمضان قد أفسد جزءاً من الكوميديا المغربية؟
- عاطير: كيف؟
- الوادي: صنع طلباً ضخماً وسريعاً على الضحك. فأصبح السؤال: هل يضحك؟ قبل أن يكون: هل هذا فن؟
- عاطير: هذه مسؤولية منظومة، لا الممثل وحده.
- الوادي: كلما اقتربنا منك قلت "منظومة".
- عاطير: لأنك كلما ابتعدت عن الواقع قلت "فنان".
- الوادي: المنظومة كلمة ممتازة كي يصبح الجميع أبرياء.
- عاطير: لا. الجميع مسؤولون بدرجات مختلفة.
- الوادي: حدد درجتك.
- عاطير: أنا مسؤول عن كل مرة قلت فيها "ندوزوها" وأنا أعرف أن المشهد كان يمكن أن يكون أفضل. لأن "ندوزوها" مرض في الفن. يبدأ من كلمة صغيرة وينتهي بعمل كامل.
- الوادي: إذن شاركت في الرداءة.
- عاطير: نعم.
- الوادي: كنت أتوقع أن تقاوم أكثر.
- عاطير: لماذا أقاوم حقيقة أعرفها؟
- الوادي: لأن الفنانين عادة يقولون: النص، المخرج، المنتج، الميزانية، القناة، الجمهور... هل الشهرة أفسدت شيئاً فيك؟
- عاطير: الشهرة بالمغرب؟ جبتي ليا الضحكة. نبالغ في استعمال الكلمة. قد يعرفك الناس في الشارع، ثم لا تجد مشروعاً تعمل فيه ستة أشهر. شهرة بلا سلطة. تعرفك الوجوه ولا تملك قرارك.
- الوادي: تعجبك؟
- عاطير: حين يأتيك رجل بسيط ويقول لك: ضحكتينا نهار كنت مهموم، نعم، تعجبني.

- الوادي: هذه الجملة تحديداً قد تكون أخطر مخدر للفنان. لأن حب الجمهور يمكن أن يمنعه من اكتشاف ضعفه. يصفقون له فيظن أنه جيد. أحياناً الجمهور يريد فقط أن يضحك.
- عاطير: وما العيب؟
- الوادي: لا عيب. العيب أن نعطيه ما يريد فقط.
- عاطير: هنا أتفق معك.
- الوادي: الفن الحقيقي يعطي الجمهور أيضاً ما لم يكن يعرف أنه يحتاجه. هل فعلت ذلك؟
- عاطير: ليس دائماً.
- الوادي: هل تشعر أن الكوميديا أخفت الممثل الدرامي فيك؟
- عاطير: بالتأكيد.
- الوادي: هل تكرهها بسبب ذلك؟
- عاطير: أبداً. هي التي أعطتني الناس.
- الوادي: وربما أخذت منك أدواراً أخرى.
- عاطير: كل باب تفتحه يغلق أبواباً أخرى أحياناً.
- الوادي: إذن لو عدت إلى البداية؟
- عاطير: سأمثل الكوميديا أيضاً.
- الوادي: لم تتعلم شيئاً إذن.
- عاطير: سأفعلها بطريقة أكثر قسوة على نفسي. سأسأل عن كل ضحكة: من أين جاءت؟ من الشخصية؟ من الموقف؟ من اللغة؟ أم من السخرية الرخيصة من إنسان أضعف مني؟
- الوادي: هذا سؤال أخلاقي قبل أن يكون فنياً.
- عاطير: الكوميديا أخلاق أيضاً.
- الوادي: وأخطر ضحكة؟
- عاطير: الضحكة التي تخرج من احتقار شخص.
- الوادي: ومع ذلك نصف الكوميديا العالمية مبني على الاحتقار.
- عاطير: لكن هناك فرق بين أن تفضح الإنسان وأن تحتقره.
- الوادي: جميل. هل تعرف دائماً الفرق؟

- عاطير: لا.
- الوادي: إذن يمكن أن تكون قد أضحكتنا يوماً بشيء لا تضحك منه اليوم.
- عاطير: طبعاً.
- الوادي: هل تستطيع مشاهدة كل أعمالك القديمة دون أن تتململ؟
- عاطير: لا.
- الوادي: ماذا تفعل؟
- عاطير: أغيّر القناة أحياناً.
- الوادي: هل محمد عاطير اليوم فنانٌ تحقق، أم فنانٌ نجا؟
- عاطير: ما الفرق؟
- الوادي: المتحقق وصل إلى شيء كان يريده. الناجي فقط بقي واقفاً.
- عاطير: ربما أنا بينهما.
- الوادي: أرفض المنطقة الوسطى.
- عاطير: نجوت أكثر مما تحققت. نجوت من اليأس. من البطالة. من النسيان. من أن تصبح المهنة مجرد حكاية قديمة أرويها في المقهى.
- الوادي: وممَّ لم تنجُ؟
- عاطير: من الأسئلة التي كان يجب أن أطرحها على نفسي مبكراً.
- الوادي: مثل السؤال الذي طرحته في البداية؟
- عاطير: أي سؤال؟
- الوادي: هل أنت ممثل حقيقي أم مجرد وجه وضعه التلفزيون في خانة الرجل الشعبي المضحك؟
- عاطير: الآن سأجيبك بطريقة مختلفة. أنا ممثل حقيقي، لكنني لم أُظهر كل الممثل الذي في داخلي.
- الوادي: من منعك؟
- عاطير: أناس، ظروف، اختيارات... وأنا.

- الوادي: إذن ماذا بقي لمحمد عاطير كي يفعله؟
- عاطير: أن يخون الصورة التي صنعها الناس عنه. الفنان الذي لا يخون صورته يتحول إلى نسخة مكررة من نفسه.
- الوادي: هل أنت مستعد لأن يراك الجمهور في دور لا يضحك فيه مرة واحدة؟ في دور شرير؟ قاتل؟ رجل جبان؟ أب يكره أبناءه؟ شخصية تجعل الجمهور يكرهك؟
- عاطير: والله ما كرهت؛ لأعرف هل يحبون محمد عاطير، أم يحبون فقط الرجل الذي يضحكهم.
- الوادي: النتيجة قد تكون مؤلمة.
- عاطير: الفنان الذي يخاف خسارة محبة الجمهور يصبح خادماً حينها.
- الوادي: إذن الشعبية يمكن أن تكون عبودية؟
- عاطير: إذا بدأت تسأل نفسك قبل كل دور: هل سيحبونني؟ نعم.
- الوادي: لو وقف أمامك محمد عاطير الشاب الآن، في بداية الطريق، ماذا تقول له؟
- عاطير: سأقول له: لا تفرح كثيراً حين يعرف الناس اسمك. لأن معرفة الاسم ليست اعترافاً بالموهبة.
- الوادي: وماذا أيضاً؟
- عاطير: لا تجعل الضحك أسهل طريق إليك.
- الوادي: وماذا أيضاً؟
- عاطير: قل لا مبكراً، لأن نعم الكثيرة ستصنع لك وجهاً قد تقضي بقية عمرك تحاول الهروب منه.
- الوادي: وماذا تقول لمحمد عاطير الحالي؟
- عاطير: أقول له: لم ينته الوقت.
- الوادي: الوقت لا ينتهي، لكن الفرص تنتهي.
- عاطير: إذن علي أن أصنع الفرصة.
- الوادي: أخيراً وصلت إلى خارج الزنزانة التي بدأنا منها.
- عاطير: ومن قال لك إنني خرجت؟

- الوادي: قلت إن عليك أن تصنع الدور الذي لم يعطك إياه أحد. وهذا هو المفتاح.
- عاطير: ربما.
- الوادي: عدنا إلى "ربما"!
- عاطير: لأنني تعلمت شيئاً خلال هذا الحوار. أنك تحب الأبواب المفتوحة أكثر مما تحب ما يوجد خلفها.
- الوادي: وأنت تحب الوقوف أمام الباب أكثر مما تحب فتحه.
- عاطير: إذن نحن متعادلان.
- الوادي: لا. أنا كاتب، يمكنني أن أكسر الباب على الورق.
- عاطير: وأنا ممثل، أستطيع أن أجعلك تصدق أن الباب موجود أصلاً.
- الوادي: الآن فقط رأيت الممثل الذي كنت أبحث عنه وراء محمد عاطير.
- عاطير: لا بأس أن أكون أنا أيضاً قد تأخرت في رؤيته.

نجيب محفوظ



- الوادي: أستاذ نجيب، هل تعتقد أن الرواية العربية الحديثة خرجت فعلاً من عباءة التراث، أم أنها غيرت شكل العباءة فقط؟
- محفوظ: الرواية التي تقطع صلتها بتراثها تفقد ذاكرتها، والتي تستسلم له تتحول إلى متحف. الحداثة ليست أن تهدم الماضي، بل أن تمنعه من أن يتحول إلى سجن.
- الوادي: لكن ألا ترى أن كثيراً من الروايات العربية ما زالت تكتب الماضي بعين الحاضر، والحاضر بعقل الماضي؟
- محفوظ: لأن الكاتب العربي يعيش في زمنين في اللحظة نفسها. نحن شعوب لم ينته ماضيها بعد، بينما يطالبها العالم بأن تدخل المستقبل غداً.
- الوادي: وهل هذا قدر الرواية العربية؟
- محفوظ: ليس قدراً، بل مادة روائية. التناقض نفسه يمكن أن يكون أعظم موضوع للرواية.

- الوادي: أنا أخشى أن تتحول الرواية العربية إلى مرآة للمجتمع، بينما وظيفة الأدب أن يكسر المرآة.
- محفوظ: المرآة الجيدة لا تعكس الوجه فقط؛ تكشف ما وراءه. الرواية لا تكتفي بأن تقول للإنسان: هذا أنت، بل تسأله: لماذا أصبحت هكذا؟
- الوادي: وماذا عن الرواية التي ترفض الحكاية نفسها، وتستبدل التشظي واللغة والوعي بها؟
- محفوظ: لا أخاف من التجريب. أخاف من أن يصبح التجريب غاية. حين يموت الإنسان داخل النص، لا تنقذه كل ألعاب الشكل.
- الوادي: إذن أنت منحاز إلى الإنسان أكثر من انحيازك إلى الشكل؟
- محفوظ :أنا منحاز إلى الرواية التي تجعل الشكل ضرورة لا زينة. الشكل الذي لا يولد من حاجة داخلية يصبح قناعاً.
- الوادي: لكن الإنسان العربي الحديث نفسه لم يعد شخصية واضحة. إنه ممزق، متناقض، ومتشظ.
- محفوظ: ولذلك يجب أن تتشظى الرواية إذا كان التشظي هو الحقيقة. لكن عليها أن تجعل القارئ يشعر بالنظام الكامن وراء الفوضى.
- الوادي: هل ترى أن الرواية العربية استطاعت أن تبتكر إنسانها الخاص؟
- محفوظ: بدأت تفعل. لكنها ما زالت تتأرجح بين تقليد الرواية الغربية وتقليد نفسها. الاستقلال الحقيقي يبدأ عندما نكتب الإنسان العربي لا باعتباره موضوعاً شرقياً، بل باعتباره إنساناً كامل التعقيد.
- الوادي: وهل اللغة العربية قادرة على حمل هذا التعقيد؟
- محفوظ: اللغة لا تعجز، الكاتب هو الذي يعجز. العربية بحر واسع، لكن بعض الكتاب لا يدخلونه إلا من شاطئ واحد.
- الوادي: وماذا عن القارئ؟ هل ينبغي أن نكتب له أم ضده؟

- محفوظ: لا تكتب له ولا ضده. أُكتب أمامه. اِعتبره شريكاً في اكتشاف الحقيقة.
- الوادي: وهل ما زالت الرواية قادرة على قول الحقيقة في عصر الصورة والسرعة والذكاء الاصطناعي؟
- محفوظ: الرواية لا تنافس الصورة في سرعتها، بل تنافسها في عمقها. الصورة قد تريك وجه الإنسان، أما الرواية فتستطيع أن تجعلك تسكن رأسه.
- الوادي: إذن أين ترى مستقبل الرواية العربية؟
- محفوظ: في اللحظة التي تتوقف فيها عن سؤال الغرب: كيف نكون حداثيين؟ وتسأل نفسها: ما الذي نريد أن نقوله نحن؟
- الوادي: وماذا لو كان جوابنا مؤلماً؟
- محفوظ: عندها تصبح الرواية ضرورية.
- الوادي: وماذا لو أغضبت السلطة والمجتمع والقارئ؟
- محفوظ: الرواية التي لا تخاطر بشيء قد تكون جميلة، لكنها نادراً ما تكون حية.
- الوادي: وهل كنت ترى الرواية العربية مشروعاً جمالياً أم مشروعاً لمواجهة الواقع؟
- محفوظ: الجمال الذي لا يلامس الواقع ترف، والواقع الذي لا يتحول إلى جمال تقرير صحفي. الرواية تبدأ حين يتصالح الجرح مع الفن.
- الوادي: لو أردت أن تختصر مشكلتنا الروائية اليوم في جملة واحدة، ماذا تقول؟
- محفوظ: ما زلنا نبحث عن شكل يليق بقلقنا.
- الوادي: وهل وجدناه؟
- محفوظ: لو وجدناه، لانتهت الرواية.

محمد بسطاوي



- الوادي: سي محمد، سأبدأ بما قد يزعجك: هل كنت ممثلاً كبيراً حقاً، أم أن رداءة المشهد الفني المغربي جعلت الجيد يبدو عظيماً؟
- بسطاوي: سؤال خبيث. لكنني أقبله. الرداءة لا تصنع ممثلاً، قد تصنع نجماً مؤقتاً، أما الممثل فيفضحه أول مشهد صعب.
- الوادي: لكنك صرت محبوباً إلى درجة أن الجمهور كان يغفر لك الأعمال الرديئة.
- بسطاوي: هذه ليست فضيلة دائماً. أخطر شيء يمكن أن يحدث للفنان أن يصبح حب الجمهور حصانة ضد النقد.
- الوادي: مع ذلك شاركت في أعمال كنت تعرف أنها دون مستواك.
- بسطاوي: نعم.
- الوادي: بهذه البساطة؟
- بسطاوي: بأي تعقيد تريدني أن أبررها؟ الممثل يأكل أيضاً.

- الوادي: هذه الحجة يستخدمها كل فنان حين يسقط.
- بسطاوي: ماذا تريد أنت من الفنان المغربي؟ أن يموت جوعاً حتى تحتفظ له بصورة جميلة في رأسك؟
- الوادي: أريده ألا يبيع اسمه.
- بسطاوي: ومن قال إن الاسم لا يجوع؟
- الوادي: إذن الفن مهنة، وليس رسالة؟
- بسطاوي: هذه كلمة يستعملها الذين يدفعون للممثل أجراً هزيلاً: أنت صاحب رسالة. جميل. اِدفعوا لي أجري أولاً، ثم حدثوني عن الرسالة.
- الوادي: لكنك كنت تقول إنك قريب من الشعب.
- بسطاوي: أنا لم أذهب إلى الشعب. أنا جئت منه.
- الوادي: هذه العبارة جميلة جداً، ولذلك أشك فيها.
- بسطاوي: شغلك هداك.
- الوادي: الشعب صار عند بعض الفنانين ديكوراً: جلباب، قرية، فلاح ساذج، لهجة، شارب، ثم يقولون: ها نحن نمثل المغرب العميق.
- بسطاوي: هنا أتفق معك. الشخصية الشعبية ليست لباساً رثاً ولهجة قروية. قد تجد الشعب داخل مدير بنك أكثر مما تجده داخل راع.
- الوادي: ولكن السينما والتلفزيون حبساك كثيراً في الرجل الشعبي: الأب، الفلاح، الشيخ، القروي، الرجل البسيط...
- بسطاوي: حبساني أم نجحت أنا في تلك الشخصيات حتى خاف المخرجون أن يخرجوني منها؟
- الوادي: ربما أنت الذي صنعت سجنك بيديك.
- بسطاوي: ممكن.
- الوادي: أخيراً اِعترفت.
- بسطاوي: أنا لا أخوض حواراً لكي أنتصر عليك. إذا أردت الانتصار، أكتب أجوبتي مكاني.

- الوادي: سأفعل إن تهربت.
- بسطاوي: إذن اِحذر؛ قد تصبح ممثلاً أسوأ مني.
- الوادي: قلت يوماً إنك لا تؤمن بالنجوم وإنك تحب الناس، لكن ألا ترى في هذا الكلام شيئاً من التواضع الاستعراضي؟ النجم الذي يقول: "أنا لستُ نجماً" يلمع أكثر.
- بسطاوي: ممكن أيضاً.
- الوادي: أنت كريم في اعترافاتك الليلة.
- بسطاوي: لأن الموت علمني أن الصورة التي يصنعها الفنان عن نفسه لا تدخل معه القبر.
- الوادي: ولكن صورته تبقى لنا نحن.
- بسطاوي: لهذا عليكم أن تحطموها قليلاً.
- الوادي: هذا ما أفعله الآن.
- بسطاوي: لا. أنت تحاول تحطيمي أنا. هناك فرق بين نقد الصورة والاستمتاع بكسر صاحبها.
- الوادي: قلت إنك لم تجد الدور الذي يشبه سنوات حياتك وتجربتك، حتى بعد عقود من التمثيل، ألا يعني ذلك أن مسيرتك كلها، على نجاحها، فشلت في الوصول إليك؟
- بسطاوي: ربما.
- الوادي: مرة أخرى "ربما"؟
- بسطاوي: لأن الممثل يقضي حياته في العثور على الآخرين، ثم يكتشف في النهاية أنه نسي الشخصية الوحيدة التي لم يمثلها: نفسه.
- الوادي: أليست هذه مأساة التمثيل؟
- بسطاوي: بل لذته أيضاً.
- الوادي: أن تهرب من نفسك؟
- بسطاوي: أن تعرف أن نفسك ليست واحدة.

- الوادي: دعنا ندخل المنطقة الأخطر. اِنتقدت الفوضى في الدراما المغربية، لكنك كنت جزءاً من هذه الدراما. أليس سهلاً أن يلعن المرء البيت وهو ساكن فيه؟
- بسطاوي: أليس الأحق بانتقاد البيت من يعرف أين يتسرب منه الماء؟
- الوادي: بشرط ألا يكون قد ساهم في ثقب السقف.
- بسطاوي: أنا بالتأكيد ساهمتُ أحياناً.
- الوادي: هذه أهم كلمة قلتها.
- بسطاوي: لا تتسرع. الاعتراف بالمشاركة في الخلل لا يعني التساوي في المسؤولية.
- الوادي: الجميع يقول ذلك.
- بسطاوي: لأن الجميع يحب توزيع الذنب على الآخرين.
- الوادي: وأنت؟
- بسطاوي: أحمل حصتي.
- الوادي: كم تزن؟
- بسطاوي: أثقل مما يظنه محبو محمد بسطاوي، وأخف مما تريده أنت الليلة.
- الوادي: هل لدينا فعلاً صناعة سينمائية في المغرب، أم مجرد أفلام متفرقة تمولها الدولة ثم تتنازع حولها المهرجانات؟
- بسطاوي: لدينا سينما تبحث عن صناعة.
- الوادي: جواب دبلوماسي.
- بسطاوي: إذن قل أنت.
- الوادي: عندنا أفلام، وليس عندنا سينما.
- بسطاوي: متطرف.
- الوادي: عندنا ممثلون، وليس عندنا نظام يحمي الممثل.
- بسطاوي: هنا بدأت تتكلم.
- الوادي: عندنا مهرجانات أكثر مما عندنا قاعات.
- بسطاوي: هنا بدأت تؤلم.

- الوادي: عندنا تكريم للفنان بعد موته أكثر مما عندنا احترام له أثناء حياته.
- بسطاوي: هنا وصلت إلى السؤال الحقيقي.
- الوادي: وهو؟
- بسطاوي: لماذا يحب المجتمع الفنان أكثر عندما يصبح عاجزاً عن مطالبته بشيء؟
- الوادي: لأنه بعد الموت يصبح آمناً.
- بسطاوي: كيف؟
- الوادي: الفنان الحي يطالب بالأجر، يعترض، يغضب، يرفض، يفضح. أما الميت فنعلّق صورته ونصفق له.
- بسطاوي: إذن أنتم لا تحبون الفنان، تحبون جنازته فقط.
- الوادي: هل كنت ستقبل اليوم أن يقال عنك "أيقونة الفن المغربي"؟
- بسطاوي: لا.
- الوادي: لماذا؟
- بسطاوي: لأن الأيقونة لا تخطئ، وأنا أخطأت.
- الوادي: قامة فنية؟
- بسطاوي: أتركوا القياسات للخياطين.
- الوادي: هرم التمثيل؟
- بسطاوي: الأهرام مقابر.
- الوادي: الفنان الذي لا يتكرر؟
- بسطاوي: أتمنى أن أتكرر، وأن يأتي من هو أفضل مني عشر مرات.
- الوادي: ألا تغار؟
- بسطاوي: من ماذا؟ من المستقبل؟
- الوادي: بعض الفنانين يريدون أن يبدأ الفن بهم وينتهي عندهم.
- بسطاوي: هؤلاء لا يحبون الفن. يحبون أسماءهم.
- الوادي: آخر سؤال، وسيكون ظالماً.

- بسطاوي: تفضل.
- الوادي: لو مُحيت كل الجوائز والتكريمات والصور والمقالات، ولم يبق من محمد بسطاوي إلا مشهد واحد، ماذا تريد أن يقول المشاهد بعده؟
- بسطاوي: لا أريده أن يقول: يا له من ممثل عظيم. أريده أن ينسى أنني كنت أمثل. ثم يقول: لقد عرفتُ هذا الرجل في مكان ما.
- الوادي: أين عرفه؟
- بسطاوي: في نفسه.
- الوادي: إذن الممثل الحقيقي لا يجعلنا نراه.
- بسطاوي: لا. يجعلنا نرى أنفسنا... ثم ينسحب من الصورة.

أحمد فؤاد نجم



- الوادي: اِسمح لي يا عم نجم أبدأ من الآخر خالص... يعني من الآخر جداً: إنت كنت بتحارب السلطة فعلاً، ولا كنت محتاجها باش... عشان تفضل شاعر متمرّد؟
- نجم: باش إيه يا عم؟ إنت جاي منين؟
- الوادي: لا تركز مع اللهجة. أنا أحاول أن أتكلّم مصري شوية.
- نجم: واضح إن المصري هو اللي مش عايز يتكلم معاك.
- الوادي: المهم جاوبني. لو ما كانش عندك حاكم وسجن وشرطة وقمع... كنت حتكتب عن ماذا؟
- نجم: عنك.
- الوادي: عني أنا؟
- نجم: آه. واحد داخل يحاورني ومش عارف يقول "عن إيه" ولا "عن ماذا".
- الوادي: ما تتهربش يا عم نجم. أنا أتكلم بجد.
- نجم: وانا بهزر بجد.

- الوادي: سؤالي واضح: ألم تتحول المعارضة عندك أحياناً إلى مهنة؟
- نجم: وإنت ما اتحولش السؤال عندك لمهنة؟
- الوادي: أنا محاور. وظيفتي إني أسأل.
- نجم: لأ، وظيفتك تفهم الأول وبعدين تسأل.
- الوادي: أفهم ماذا؟
- نجم: أهو رجعنا لـ"ماذا" تاني.
- الوادي: طيب... أفهم إيه. إرتحت؟
- نجم: أيوه، كده دخلنا مصر شوية.
- الوادي: إذن اِسمع. أحياناً كنت بتشتم أكثر مما كنت بتحلل.
- نجم: لما حد يدوس على رقبتك، تحلل له مقاس الجزمة؟
- الوادي: ولكن الشتيمة ليست ثورة.
- نجم: ما قلتش إنها ثورة.
- الوادي: لكنها كانت عندك أحياناً بديلاً عن الفكرة.
- نجم: وإنت شايف الفكرة لازم تلبس بدلة وكرافتة؟
- الوادي: لا، ولكن الغضب كذلك ممكن يفسد الشعر.
- نجم: ممكن.
- الوادي: أخيراً قلت "ممكن".
- نجم: هو إنت جاي تنتصر عليّا ولا تحاورني؟
- الوادي: أنا لا أريد الانتصار. فقط لا أريد أن أصفق لك كما يفعل الآخرون.
- نجم: كويس. التصفيق بيبوّظ ودان الشاعر.
- الوادي: وأحياناً الشهرة أيضاً تبوّظ رأسه.
- نجم: راسه يا أستاذ، مش رأسه. ما دام دخلت الحارة كمّل.
- الوادي: حاضر. الشهرة ممكن تبوّظ راسه. وإنت، ما صدقتش شوية إنك بقيت ضمير الشعب؟
- نجم: اللي يقول أنا ضمير الشعب يبقى محتاج ضمير.
- الوادي: لكن الناس جعلوك رمزاً.

- نجم: دي مشكلتهم.
- الوادي: لا، مشكلتك أيضاً. لأنك استفدت من الرمز.
- نجم: اِستفدت إيه؟ زنزانة أوسع؟
- الوادي: لا تجعل السجن دائماً حجتك الأخيرة.
- نجم: وإنت ما تخليش الصالون حجتك الأولى.
- الوادي: أنا لست في صالون.
- نجم: بس بتتكلم كأنك قاعد فيه.
- الوادي: يمكن لأنني لا أتقن اللهجة المصرية تماماً.
- نجم: اللهجة مالهاش دعوة. التردد ليه ريحة بكل اللغات.
- الوادي: طيب. خليني أقولها بالمصري قد ما أقدر: إنت ساعات كنت ظالم.
- نجم: آه.
- الوادي: وساعات كنت متعصب.
- نجم: آه.
- الوادي: وساعات كنت بتهاجم الناس لأنك مختلف معاهم، مش لأنهم خونة.
- نجم: وارد.
- الوادي: يعني نجم مش دايماً كان على حق.
- نجم: يا خبر! اِكتشفت أمريكا؟
- الوادي: أنا أريد أن أهدم الأسطورة.
- نجم: اِهدم يا خويا.
- الوادي: "خويا" دي مش مصرية، صح؟
- نجم: لأ، بس عجبتني. كمّل.
- الوادي: أريد أن أهدم صورة الشاعر الذي لا يخطئ.
- نجم: ما حدش طلب منك تبنيها من الأول.
- الوادي: ولكن الجمهور بناها.
- نجم: الجمهور ساعات يبني تمثال وبعدين يزعل لما التمثال ما يردش عليه.

- الوادي: وإنت صدقت التمثال؟
- نجم: ساعات.
- الوادي: يعني كنت عبداً لصورتك؟
- نجم: كلمة تقيلة... بس ساعات آه.
- الوادي: عبداً للغضب أيضاً؟
- نجم: آه.
- الوادي: وللشهرة؟
- نجم: ساعات.
- الوادي: وللجمهور؟
- نجم: ساعات.
- الوادي: إذن حتى المتمرّد عنده أسياد.
- نجم: أهو دي قلتها حلو. سيبها فصحى، أحسن لك.
- الوادي: لا تسخر من لغتي.
- نجم: أنا بسخر من كل حاجة، ما تاخدهاش شخصية.
- الوادي: طيب اِسمع هذه: ربما كنت تحتاج السلطة أكثر مما كانت هي تحتاجك.
- نجم: دي بقى عايزة شرح.
- الوادي: بدون السلطة، من يكون أحمد فؤاد نجم؟ شاعر فقط. معها أصبحتَ رمزاً.
- نجم: وإنت فاكر الواحد يختار سجّانه عشان يعمل لنفسه دعاية؟
- الوادي: لا، لكن ربما صنعت منك المواجهة ما لم يكن الشعر وحده قادراً أن يصنعه.
- نجم: ممكن.
- الوادي: مرة ثانية "ممكن"؟
- نجم: أيوه. إنت فاكرني جاي أدافع عن تمثال أحمد فؤاد نجم؟
- الوادي: أمال جاي تعمل إيه؟
- نجم: أقول لك إن الراجل كان أضعف من صورته.
- الوادي: هذا اعتراف خطير.

- نجم: خطير عندكم إنتو اللي بتحبوا الأبطال نضاف قوي.
- الوادي: نحن نحب الحقيقة.
- نجم: ما تقولش "نحن". إتكلم عن نفسك.
- الوادي: أنا أحب الحقيقة.
- نجم: حتى لو وجعتك؟
- الوادي: أحاول.
- نجم: "أحاول" دي أصدق كلمة قلتها من ساعة ما قعدنا.
- الوادي: لماذا؟
- نجم: عشان كلنا بنحاول. إنما اللي يقول لك "أنا وصلت للحقيقة"، إمسك محفظتك.
- الوادي: لماذا محفظتي؟
- نجم: غالباً هيبيع لك حاجة.
- الوادي: ولو قلت لك إن بعض قصائدك صارت اليوم جزءاً من التراث الرسمي؟
- نجم: أضحك.
- الوادي: لماذا... قصدي ليه؟
- نجم: لأن السلطة لو ما قدرتش تسجن القصيدة، تحنطها.
- الوادي: يعني تحوّلها إلى ذكرى آمنة.
- نجم: أهو الفصحى نفعتك المرة دي.
- الوادي: لا تعترض عليها دائماً.
- نجم: أنا ما عنديش مشكلة مع الفصحى. عندي مشكلة مع الكلام اللي لابس بدلة أكبر منه.
- الوادي: وإذا قلت لك إنك أنت أيضاً كنت أحياناً لابساً صورة أكبر منك؟
- نجم: أقول لك عندك حق.
- الوادي: بسهولة؟
- نجم: ما هو الواحد لما يموت بيبقى عنده وقت يراجع نفسه.
- الوادي: ولو كنت حيّاً؟

- نجم: كنت هاتخانق معاك الأول... وبعدين يمكن أقول لك عندك حق.
- الوادي: يعني الموت هذّبك؟
- نجم: لأ. بس خلّاني مش مستعجل أكسب الخناقة.
- الوادي: آخر سؤال. هل كنت حرّاً؟
- نجم: لأ.
- الوادي: غريب.
- نجم: إيه الغريب؟
- الوادي: الناس تعتبرك شاعر الحرية.
- نجم: شاعر الحرية مش لازم يكون حر. يمكن يكون أكتر واحد عارف إنها ناقصاه.
- الوادي: إذن الحرية ليست صفة؟
- نجم: لأ.
- الوادي: أمال إيه؟
- نجم: خناقة يومية.
- الوادي: مع السلطة؟
- نجم: ومع نفسك.
- الوادي: ومع الخوف؟
- نجم: ومع التصفيق كمان.
- الوادي: ومع اللغة؟
- نجم: لأ يا خويا... اللغة سيبها في حالها.
- الوادي: أهو قلت "خويا" أنت هذه المرة.
- نجم: إتعديت منك يا فصيح.

عبد الرحمان منيف



- الوادي: أستاذ منيف، كتبت عن الصحراء حين دخلها النفط، لكن يبدو أن النفط لم يغيّر الصحراء فقط، بل غيّر الإنسان العربي نفسه.
- منيف: النفط لم يغيّر الإنسان، بل كشفه. كشف هشاشة الدولة، وجشع السلطة، وسهولة شراء الصمت.
- الوادي: تبرئ النفط إذن؟
- منيف: الأشياء بريئة. الكارثة تبدأ حين تتحول الثروة إلى وسيلة لإفقار الإنسان سياسياً.
- الوادي: كيف تُفقِره وهي تملأ جيبه؟
- منيف: تعطيه الاستهلاك وتسلب منه السؤال.
- الوادي: وهل كان العربي قبل النفط أكثر حرية؟
- منيف: لا. لكنه كان أقل وهماً؛ أن يعتقد المواطن أن الاستقرار حرية، وأن الخوف حكمة، وأن الصمت وطنية.

- الوادي: كتبت كثيراً عن السلطة. لماذا تبدو السلطة العربية في رواياتك خائفة رغم جبروتها؟
- منيف: لأن المستبد يعرف في أعماقه أنه مؤقت. لذلك يبني السجون كما يبني الخائف الأسوار حول بيته.
- الوادي: لكن الشعوب أيضاً تتعايش مع سجانيها.
- منيف: أحياناً. الخوف الطويل يتحول إلى عادة، والعادة قد تتنكر في هيئة رضا.
- الوادي: هل المثقف قادرٌ على كسر هذه العادة؟
- منيف: إذا لم يكن المثقف نفسه موظفاً عند الخوف.
- الوادي: قاسٍ أنت على المثقفين.
- منيف: لأن خيانة المثقف أخطر من خيانة السياسي. السياسي يبيعك وهماً، أما المثقف فيمنح الوهم لغة محترمة.
- الوادي: وهل المثقف العربي خائن؟
- منيف: البعض صامت، والبعض مروّض، والبعض شجاع لكنه وحيد. لا أحب الأحكام الجماعية.
- الوادي: أين الكاتب من كل هذا؟
- منيف: الكاتب الحقيقي ليس وزيرَ معارضة ولا خطيبَ مظاهرة. مهمته أعمق: أن يمنع الكذب من أن يصبح حقيقة نهائية.
- الوادي: لكن الرواية لا تسقط نظاماً.
- منيف: صحيح. لكنها قد تسقط الرواية التي يكتبها النظام عن نفسه.
- الوادي: هل لهذا كتبت مدن الملح؟
- منيف: كتبتها لأنني رأيت مدناً ترتفع بسرعة، وخشيت أن يكون الإنسان فيها هو الشيء الوحيد الذي لا يرتفع.
- الوادي: لماذا "الملح"؟
- منيف: لأن مدناً بلا ذاكرة، وبلا مشاركة، وبلا عدالة، قد تبدو صلبة، لكنها تذوب عند أول مطر حقيقي.
- الوادي: ما هذا المطر؟

- منيف: الحقيقة حين تتراكم.
- الوادي: والهزيمة العربية؟ أهي هزيمة أنظمة أم مجتمعات؟
- منيف: حين تستمر الهزيمة عقوداً، لا يعود من الصادق أن نلقيها كلها على الحاكم. هناك لحظة يجب أن يسأل المجتمع فيها: ماذا فعلت أنا أيضاً؟
- الوادي: هذا كلامٌ قد يعجب السلطة.
- منيف: السلطة تحب أن يتهم الناس أنفسهم لكي تنجو. وأنا أقول شيئاً آخر: المسؤوليات ليست متساوية، لكنها ليست معدومة.
- الوادي: هل الحرية تسبق الخبز؟
- منيف: هذا سؤالٌ اخترعه من يريد أن يحرمك الاثنين.
- الوادي: والمنفى؟
- منيف: المنفى ليس أن تكون خارج وطنك فقط. قد تجلس في بيتك وتشعر أنك غريبٌ لأن اللغة العامة لم تعد لغتك.
- الوادي: هل يعود المنفي حقاً؟
- منيف: يعود إلى المكان، لا إلى الزمن.
- الوادي: وما الذي يبقى له؟
- منيف: الذاكرة.
- الوادي: الذاكرة قد تؤلم.
- منيف: لكنها الألم الوحيد الذي يثبت أنك لم تتحول تماماً إلى ما أرادوه لك.
- الوادي: لو عدت اليوم، ماذا ستكتب؟
- منيف: ربما الرواية نفسها.
- الوادي: مدن الملح؟
- منيف: لا. رواية عن مدن أكثر لمعاناً، وأكثر اتصالاً بالعالم، وأكثر وحشةً في الداخل.
- الوادي: ما عنوانها؟
- منيف: لا أعرف.
- الوادي: مدن الشاشة؟

- منيف: ربما... ففي زمننا كانوا يصادرون الكلام.
- الوادي: واليوم؟
- منيف: اليوم قد يتركونك تتكلم طويلاً... حتى لا يسمعك أحد.

سالم كويندي



- الوادي: أستاذ سالم، لنكن صريحين: ما يسمى اليوم بالمسرح المدرسي ليس مسرحاً، بل فقرة ترفيهية رديئة تلصق في آخر الحفل.
- كويندي: في مؤسسات كثيرة، نعم. حين لا نتذكر المسرح إلا في مناسبة وطنية أو حفلة نهاية السنة، فنحن لا نمارس المسرح، بل نستعمله لتزيين البرنامج.
- الوادي: من المسؤول؟ الوزارة؟
- كويندي: الوزارة أولاً حين تعتبر الفن هامشاً، والإدارة حين تراه عبئاً، والمؤسسة حين لا تمنحه زمناً، والمدرس حين يحوله أحياناً إلى تلقين.
- الوادي: تتهم الجميع؟
- كويندي: لأن المشكلة ليست فرداً. إنها منظومة كاملة تتعامل مع المسرح باعتباره نشاطاً زائداً، ثم تتساءل لماذا هو ضعيف.

- الوادي: لكن الوزارة تتحدث منذ سنوات عن الحياة المدرسية والأنشطة الموازية.
- كويندي: الكلام لا يصنع مسرحاً.
- الوادي: عبارة قاسية.
- كويندي: القسوة أن تطلب من أستاذ أن يصنع عرضاً بلا قاعة، بلا ميزانية، بلا تكوين، ثم ترسل لجنة لتقييمه.
- الوادي: كأن المؤسسة تريد النتيجة من دون أن توفر شروطها.
- كويندي: بالضبط. نريد مسرحاً محترماً بعقلية التدبير الأدنى: دبّر راسك.
- الوادي: وبعض الأساتذة يتطوعون.
- كويندي: هذا جميل، لكنه ليس سياسة تربوية. لا يمكن أن تبني مشروعاً وطنياً على بطولة أفراد.
- الوادي: هل أصبح المسرح المدرسي إذن رهينة الأستاذ المتحمس؟
- كويندي: في كثير من الأحيان، نعم. إذا وجد أستاذ عاشق للمسرح تحرك النشاط، وإذا انتقل أو تقاعد مات كل شيء. هذه ليست مؤسسة، هذه صدفة.
- الوادي: الأخطر أن بعض العروض المدرسية تجعل الطفل يردد جملاً لا يفهمها.
- كويندي: هنا تتحول الخشبة إلى قسم للحفظ.
- الوادي: أليس ذلك نوعاً من الاستبداد التربوي؟
- كويندي: أحياناً نعم. نكتب للطفل، ونفكر مكانه، ونختار حركته، ونحدد نبرته، ثم نصفق له لأنه نفذ أوامرنا جيداً.
- الوادي: أي إننا لا نصنع ممثلاً صغيراً، بل موظفاً صغيراً.
- كويندي: إذا غاب الخيال والمبادرة، نعم.
- الوادي: بل قد نكون ندرّبه مبكراً على الطاعة.
- كويندي: هذه أكبر مفارقة. المسرح في جوهره سؤال، بينما نحن أحياناً نحوله إلى جواب محفوظ.

- الوادي: لماذا نخاف من سؤال الطفل؟
- كويندي: لأن المدرسة التقليدية ترتاح للتلميذ الذي يجيب، لا للتلميذ الذي يناقش.
- الوادي: إذن المسرح يزعج المدرسة؟
- كويندي: المسرح الحقيقي يزعج كل سلطة تريد الصوت الواحد.
- الوادي: حتى سلطة المدرس؟
- كويندي: خصوصاً حين يعتقد أن المعرفة تمر من فمه فقط.
- الوادي: هذه مشكلة حساسة.
- كويندي: لكنها حقيقية. في المسرح، قد تكون فكرة الطفل أفضل من فكرة المؤطر، وعلى المؤطر أن يقبل بذلك بعض الأحيان.
- الوادي: لننتقل إلى النص. لماذا تبدو بعض المسرحيات المدرسية كأنها نشرات توجيهية: حافظ على البيئة، لا تدخن، اِحترم قانون السير؟
- كويندي: لأن البعض يخلط بين المسرح والملصق التحسيسي.
- الوادي: لكنه يريد أن يربي.
- كويندي: التربية لا تعني قتل الفن.
- الوادي: كيف ذلك؟
- كويندي: عندما تدخل القاعة وأنت تعرف مسبقاً الرسالة والنتيجة والأخلاق التي ستلقن لك، أين المسرح؟ المسرح سؤال وصراع واكتشاف، لا خطبة جمعة مصغرة.
- الوادي: حتى المسرح الموجه للأطفال؟
- كويندي: خصوصاً المسرح الموجه للأطفال.
- الوادي: لماذا؟
- كويندي: لأن الطفل يكتشف التزييف بسرعة. قد لا يملك المصطلحات النقدية، لكنه يشعر متى تكلمه من فوق.
- الوادي: هل نحن نحتقر ذكاء الطفل؟
- كويندي: أحياناً نفعل ذلك باسم التربية.
- الوادي: جملة خطيرة.

- كويندي: الأخطر منها ما يحدث على الخشبة.
- الوادي: وماذا عن المسابقات المدرسية؟
- كويندي: ليست المشكلة في المسابقة، بل حين تصبح الجائزة أهم من التجربة.
- الوادي: بمعنى؟
- كويندي: حين يدخل الأستاذ في سباق للفوز، قد يحول الأطفال إلى أدوات لتحقيق الرتبة الأولى.
- الوادي: أليس في هذا اتهام مباشر؟
- كويندي: أنا أتحدث عن خطر قائم. المسرح المدرسي ليس مصنع ميداليات.
- الوادي: ولا مهرجاناً للأستاذ؟
- كويندي: ولا مناسبة لالتقاط الصور.
- الوادي: لكن الصور مهمة لإثبات النشاط.
- كويندي: هذه إحدى المآسي الإدارية: أصبح النشاط أحياناً موجوداً لأنه موثق في الصور، لا لأنه ترك أثراً في الطفل.
- الوادي: صورة على صفحة المؤسسة تكفي.
- كويندي: صورة، تدوينة، عبارة "في إطار تنزيل أنشطة الحياة المدرسية"، وانتهى المسرح.
- الوادي: أنت تسخر من اللغة الإدارية.
- كويندي: اللغة حين تغطي الفراغ تصبح مضحكة.
- الوادي: ماذا يحتاج المسرح المدرسي فعلياً؟
- كويندي: تكوين، زمن، فضاء، تأطير، نصوص جيدة، واستمرارية.
- الوادي: والمال؟
- كويندي: مطلوب، لكنه ليس العصا السحرية.
- الوادي: كثيرون يبررون الضعف بنقص الميزانية.

- كويندي: يمكنك أن تصنع عرضاً حياً بكرسي وحبل وممثل جيد. ويمكن أن تفشل بملايين. إذن المشكلة فكرية، قبل أن تكون تقنية.
- الوادي: هل نحن أمام أزمة تصور؟
- كويندي: بالتأكيد. نحن لا نعرف ماذا نريد من المسرح المدرسي: هل نريده للفرجة؟ للمسابقة؟ للدعاية؟ أم لتكوين الإنسان؟
- الوادي: إذا كان الجواب: لتكوين الإنسان؟
- كويندي: فعليك أن تغير طريقة اشتغالك كلها.
- الوادي: كيف؟
- كويندي: اِجعل الطفل شريكاً، لا منفذاً. دع النص يتنفس. اِسمح بالارتجال. اِقبل الخطأ. ناقش العرض بعد انتهائه. لا تجعل الخشبة منصة للوعظ.
- الوادي: هل يسمح النظام المدرسي بهذا القدر من الحرية؟
- كويندي: هنا بيت القصيد.
- الوادي: ماذا تقصد؟
- كويندي: لا يمكن أن تطالب بمسرح حر داخل مؤسسة تخاف من كل حركة غير محسوبة.
- الوادي: تقصد أن المسرح يصطدم أحياناً بعقلية الضبط؟
- كويندي: المسرح بطبيعته يفتح المساحة. والبيروقراطية بطبيعتها تحب الحدود.
- الوادي: إذن الصدام حتمي؟
- كويندي: ما لم نفهم أن التربية ليست إدارة صامتة للأجساد.
- الوادي: عبارة ثقيلة.
- كويندي: لكنها جوهر القضية.
- الوادي: ماذا تقول لمسؤول يفتخر بأن وزارته تنظم مهرجاناً وطنياً للمسرح المدرسي؟
- كويندي: أسأله: ماذا يحدث في المدارس بقية السنة؟

- الوادي: وإذا أجاب: هناك أنشطة.
- كويندي: أسأله: كم أستاذاً تلقى تكويناً حقيقياً؟ كم مؤسسة تتوفر على فضاء مناسب؟ كم ساعة تخصص للممارسة؟ كم نصاً جديداً ينتج؟ كم تجربة تستمر أكثر من موسم؟
- الوادي: وإذا لم يجب؟
- كويندي: يصبح المهرجان واجهة.
- الوادي: قاسية.
- كويندي: المسرح نفسه قاسٍ؛ يكشف ما تحاول المؤسسة إخفاءه.
- الوادي: هل ترى أن المسرح المدرسي اليوم في أزمة؟
- كويندي: أقول إنه يعيش مفارقة: الجميع يشيد بأهميته، وقليلون يعاملونه كما لو كان مهماً فعلاً.
- الوادي: أجمل تعريف للنفاق التربوي.
- كويندي: سمّه ما شئت.
- الوادي: سؤال أخير: لو جلست اليوم أمام وزير التربية، ماذا ستقول له في جملة واحدة؟
- كويندي: لا تجعل المسرح المدرسي صورة في تقرير.
- الوادي: وللمدير؟
- كويندي: لا تتعامل معه كإزعاج.
- الوادي: وللأستاذ؟
- كويندي: لا تجعل الطفل يردد صوتك.
- الوادي: وللتلميذ؟
- كويندي: لا تخف من أن تقول على الخشبة ما لم يسمح لك القسم أن تقوله.
- الوادي: وللمسرح المدرسي نفسه؟
- كويندي: إما أن تدخل المدرسة باعتبارك تربية حقيقية... أو اِبق خارجها، حتى لا يحولوك إلى فقرة بين النشيد الوطني وتوزيع الجوائز.

الحسين حوري



- الوادي: سأبدأ من النهاية، لا من المسرح. كيف يطلب رجل من الجمهور أن يقاوم، ثم ينسحب هو من الحياة؟
- حوري: لأنك تفترض أن الكاتب أقوى من نصه.
- الوادي: بل أفترض أن من يعلّم الآخرين المواجهة لا يملك ترف الفرار.
- حوري: تسميه فراراً لأنك تنظر من الخارج.
- الوادي: وما الذي أسميه إذن أسي الحسين؟
- حوري: اِنهياراً.
- الوادي: فرق لغوي فقط.
- حوري: لا. الفارّ يختار الطريق. المنهار لا يرى طريقاً أصلاً.
- الوادي: لكنك كنت مسرحياً. والمسرح فن الأبواب المفتوحة.
- حوري: المسرح يفتح الأبواب للشخصيات، لا لأصحابها دائماً.

- الوادي: كلام جميل، لكنه لا يعفيك. كنت تتحدث عن "مسرح المرحلة". أي مرحلة هذه التي تنتهي بصاحبها خارج الخشبة؟
- حوري: المرحلة التي تأكل أبناءها.
- الوادي: سهل جداً أن نتهم المرحلة.
- حوري: وأسهل أن نتهم الضحية.
- الوادي: لا أحاكمك أخلاقياً. أحاكم التناقض. كنت تريد مسرحاً يصدم المجتمع، فلماذا لم تصمد أمام صدمته؟
- حوري: لأن المسرح لا يمنح صاحبه درعاً.
- الوادي: إذن كل ذلك الصراخ فوق الخشبة كان ضعفاً مقنعاً.
- حوري: أحياناً نعم. الفنان يصرخ أكثر حين يكون داخله أكثر هشاشة.
- الوادي: هذه إجابة رومانسية.
- حوري: وهذه تهمة مريحة.
- الوادي: هل كان المسرح المغربي آنذاك يستحق كل ذلك الاحتراق؟
- حوري: المسرح لا يحرق أحداً. الناس يحرقون بعضهم، المؤسسات تهمش، المدن تنسى، والكاتب يظل يصفق لنفسه في غرفة فارغة.
- الوادي: الآن تتهم المجتمع والمؤسسات.
- حوري: لا أتهم. أصف.
- الوادي: الوصف بلا مسؤولية شكل آخر من الهروب.
- حوري: ماذا تريد مني، أن أحوّل حياتي إلى بيان سياسي؟
- الوادي: كنت تفعل ذلك في المسرح.
- حوري: على الخشبة أستطيع أن أقتل ملكاً وأعيده في العرض التالي. في الحياة لا توجد بروفة ثانية.
- الوادي: مع ذلك اخترت النهاية الأكثر نهائية.
- حوري: ربما لأني تعبت من البروفات.
- الوادي: هذه الجملة تحديداً أخطر ما يمكن أن يقوله فنان.

- حوري: لأنك ما زلت تؤمن بأن الفنان مدين للجمهور بحياته.
- الوادي: لا. لكنه مدين لأفكاره ببعض الوفاء.
- حوري: الأفكار لا تنام معك في الليل.
- الوادي: وهل كان الليل أقوى من المسرح؟
- حوري: الليل دائماً أقوى إذا طال.
- الوادي: إذن ما جدوى "مسرح المرحلة"؟
- حوري: أن يقول للناس إن المرحلة قبيحة.
- الوادي: فقط؟
- حوري: نعم. المسرح لا يغير العالم دائماً. أحياناً يمنع العالم من الادعاء أنه بريء.
- الوادي: هذه هي وصيتك؟
- حوري: لا تجعلوا من المسرحي نبياً. ولا تجعلوا من سقوطه حجة ضد ما قاله.
- الوادي: ولا تجعلوا من نهايته بطولة.
- حوري: أتفق.
- الوادي: ولا أسطورة.
- حوري: أتفق.
- الوادي: بل جرحاً.
- حوري: جرحاً مفتوحاً في جسد المسرح المغربي.
- الوادي: وهل نغلقه؟
- حوري: لا، لأن بعض الجروح إذا أغلقت بسرعة، ماتت الذاكرة.

محمد خير الدين



- الوادي :هل كان محمد خير الدين متمرداً حقاً، أم كان فقط بارعاً في تسويق غضبه؟
- خير الدين: لو كنت أسوق غضبي لاخترت غضباً مربحاً.
- الوادي: مع ذلك صنعت لنفسك صورة الكاتب الملعون.
- خير الدين: الآخرون يحبون اللعنات بعد موت أصحابها.
- الوادي: لماذا كتبت بالفرنسية؟ لأن العربية لم تكن تكفيك أم لأن باريس كانت أقرب إلى الاعتراف؟
- خير الدين: كتبت باللغة التي استطعت أن أقاتل بها.
- الوادي: جواب جميل. لكنه يتهرب من السؤال.
- خير الدين: أنا لا أحرر محضر شرطة.
- الوادي: لكن القارئ المغربي كان بعيداً عنك.

- خير الدين: لأن الطريق بين الكاتب المغربي وقارئه مليئة بالحراس.
- الوادي: أم لأنك كنت تكتب لنخبة فرنكوفونية؟
- خير الدين: أنا لم أطلب من أحد شهادة فقر كي أسمح له بقراءتي.
- الوادي: هاجمت السلطة، وهاجمت الأب، والقبيلة...
- خير الدين: نعم.
- الوادي: والتقاليد.
- خير الدين: حين تتحول إلى سجن.
- الوادي: هل بقي شيء لم تهاجمه؟
- خير الدين: نفسي.
- الوادي: وهل انتصرت عليها؟
- خير الدين: لا.
- الوادي: إذن كان تمردك فشلاً؟
- خير الدين: كل تمرد حقيقي يفشل قليلاً. الاستسلام وحده ينجح كاملاً.
- الوادي: أكنت تكره المغرب؟
- خير الدين: الذي يكره بلداً ينساه. أنا لم أستطع نسيانه.
- الوادي: لكنك هربت منه.
- خير الدين: خرجت منه.
- الوادي: الفرق لغوي فقط.
- خير الدين: الفرق بين الهروب والخروج هو ما تحمله معك. أنا حملت المغرب كله.
- الوادي: أليس هذا كلاماً رومانسياً؟
- خير الدين: الرومانسية أن تقول إن الوطن دائماً على حق.
- الوادي: هل ظلمك المغرب؟
- خير الدين: البلدان لا تظلم. الذين يتكلمون باسمها ويريدونها بلا أصوات مزعجة هم الذين يظلمون.
- الوادي: الكاتب ليست وظيفته الإزعاج.

- خير الدين: حين يصبح الصمت فضيلة رسمية، يصبح الإزعاج واجباً.
- الوادي: ألا تبالغ في بطولة الكاتب؟
- خير الدين: البطولة كلمة الصحافة. الكاتب الحقيقي يعرف كم كان خائفاً وهو يكتب.
- الوادي: كنت خائفاً؟
- خير الدين: طبعاً.
- الوادي: ممن؟
- خير الدين: من السلطة. من الفقر. من العزلة. ومن أن أصبح مثل الذين أهاجمهم.
- الوادي: أكنت ستقبل منصباً ثقافياً كبيراً لو عرض عليك؟
- خير الدين: المنصب لا يخيفني. الكرسي الذي يغير العمود الفقري يخيفني.
- الوادي: وأموال الدعم؟
- خير الدين: المال لا يفسد الكاتب.
- الوادي: ماذا يفسده؟
- خير الدين: أن يبدأ في تعديل جمله كي يستمر المال.
- الوادي: والجائزة؟
- خير الدين: خذها إن جاءت إليك. وإن لم تأت، لا تركض خلفها؛ لأن الكاتب الذي يركض طويلاً خلف الجوائز قد يصل إليها بلا كتاب.
- الوادي: والمهرجانات؟
- خير الدين: جميلة حين تحتفل بالأدب. وحين تحتفل بالوجوه، تصبح حفلات زفاف بلا عروس.
- الوادي: والاتحادات الثقافية؟
- خير الدين: أخطر لحظة في حياة الكاتب هي حين يصبح موظفاً في جماعة اِسمها الأدب.
- الوادي: والنقاد؟

- خير الدين: بعضهم يفتح النص، والبعض الآخر يشرح لك لماذا يجب أن تغلقه.
- الوادي: تكره النقاد.
- خير الدين: أحب الناقد الذي يقرأني، لا الذي يضعني في قفص ثم يكتب اسم القفص.
- الوادي: نصوصك نفسها متوحشة، مفككة، عصية.
- خير الدين: لأن العالم الذي كنت أكتب عنه لم يكن حديقة فرنسية.
- الوادي: ربما كنت تتعمد الغموض.
- خير الدين: الغموض الذي أتعمده أسوأ من الوضوح الذي يتعمده بعض الكتاب؛ يكتبون بوضوح شديد لأنهم لا يريدون قول شيء خطير.
- الوادي: إذن كل كتابة هادئة جبانة؟
- خير الدين: لا. الجبن أن تعرف أين الجرح ثم تكتب عن لون الضمادة.
- الوادي: هل كنت ضد الملكية؟
- خير الدين: كنت ضد أن يُطلب من الكاتب أن يغلق فمه أمام أي سلطة.
- الوادي: تهربت.
- خير الدين: لا. أنا أرفض أن تحول الأدب إلى استجواب سياسي من سؤال واحد.
- الوادي: أنت الذي جعل السياسة تدخل أدبك.
- خير الدين: لأن السياسة دخلت حياتي أولاً.
- الوادي: ماذا عن الكاتب الذي يمدح السلطة؟
- خير الدين: اِسأله ماذا كان سيكتب لو لم تكن السلطة تسمعه.
- الوادي: وماذا عن الذي يهاجمها ليصنع لنفسه بطولة؟
- خير الدين: اِسأله ماذا سيفعل حين تعرض عليه السلطة كرسياً.
- الوادي: ماذا كنت تريد إذن؟

- خير الدين: ألا أصبح مؤسسة.
- الوادي: لكنك أصبحت جزءاً من تاريخ الأدب المغربي.
- خير الدين: التاريخ آخر مؤسسة يحاول الكاتب الهروب منها.
- الوادي: وهل يمكنه؟
- خير الدين: لا.
- الوادي: هُزمت إذن.
- خير الدين: في النهاية يهزم الموت الجميع.
- الوادي: وقبل الموت؟
- خير الدين: نحاول ألا يهزمنا الخوف.
- الوادي: هل هزمك؟
- خير الدين: مرات.
- الوادي: هذه أول مرة تبدو فيها أقل غروراً.
- خير الدين: أنت تخلط الكرامة بالغرور.
- الوادي: وأنت تخلط العدوانية بالحرية.
- خير الدين: ربما.
- الوادي: تعترف مرة أخرى؟
- خير الدين: الكاتب الذي لا يستطيع قول "ربما" يتحول إلى واعظ.
- الوادي: آخر سؤال: لو خرجت الآن إلى الشارع ورأيت كتاباً يصفقون للسلطة، وكتاباً يركضون خلف الجوائز، وكتاباً يصنعون أسماءهم بالعلاقات، ماذا تفعل؟
- خير الدين: لا أفعل شيئاً. أعود إلى غرفتي. أكتب عنهم. سيغضبون. سيقولون إن محمد خير الدين مجنون، حاقد، فوضوي، متطرف.
- الوادي: وماذا تقول لهم؟
- خير الدين: لا شيء.
- الوادي: لماذا؟

- خير الدين: لأن النص الذي يحتاج صاحبه إلى الدفاع عنه كل صباح لم يعض بما يكفي.

سعيد يقطين



- الوادي: أستاذ سعيد، هل لدينا فعلاً سرديات عربية، أم أننا ما زلنا نعيد شرح النظريات الغربية بالعربية؟
- يقطين: لدينا تراكم مهم، لكن السؤال المشروع هو: هل تحول هذا التراكم إلى معرفة تنتج مفاهيمها وأسئلتها الخاصة؟ هنا تكمن المشكلة. السرديات لا تصبح عربية لمجرد أن يكتبها باحث عربي، بل حين تدخل في حوار حقيقي مع التراث السردي العربي ومع تحولات النص المعاصر.
- الوادي: ما زلنا في موقع المستهلك إذن.
- يقطين: في جانب كبير، نعم. نترجم المفهوم، نشرحه، نطبقه، ثم نعتقد أننا أسهمنا في تطوير النظرية. التطبيق ضروري، لكنه ليس نهاية البحث، بل بدايته.
- الوادي: لكنك أنت نفسك اشتغلت على مفاهيم جاءت أساساً من الغرب.

- يقطين: لم أدع يوماً أن الباحث يستطيع أن يبدأ من فراغ. المعرفة إنسانية. المشكلة ليست في أن تستفيد من جيرار جنيت أو باختين أو غيرهما، بل في أن تتحول إلى تابع لهم. المطلوب أن تجعل المفهوم يعمل داخل نصوصك وأسئلتك، وأن تختبر حدوده أيضاً.
- الوادي: وهل استطاع النقد العربي أن يختبر تلك الحدود؟
- يقطين: في حالات قليلة. الغالب هو الاطمئنان إلى المفهوم أكثر من مساءلته. أصبحنا أحياناً نبحث في الرواية عن النظرية بدلاً من أن نجعل الرواية تدفعنا إلى تعديل النظرية.
- الوادي: كأن النص أصبح متهماً، عليه أن يثبت براءته أمام المصطلح.
- يقطين: هذا خطر كبير. حين يعرف الناقد مسبقاً ماذا سيجد في النص، يصبح التحليل مجرد تمرين مدرسي.
- الوادي: لننتقل إلى السرد العربي. الرواية العربية اليوم كثيرة جداً. هل هذه الكثرة علامة صحة؟
- يقطين: الكثرة لا تعني بالضرورة القوة. اِنتشار الكتابة الروائية ظاهرة إيجابية من حيث اتساع التعبير، لكن القيمة الأدبية مسألة أخرى.
- الوادي: ألسنا أمام تضخم روائي؟
- يقطين: يمكن قول ذلك. هناك من يكتب الرواية لأن الرواية أصبحت الجنس الأدبي الأكثر حضوراً في الجوائز والإعلام والنشر. لكن الرواية ليست عدداً من الصفحات ولا حكاية ممتدة.
- الوادي: إذن الجوائز أفسدت الرواية العربية.
- يقطين: لا أحب الأحكام المطلقة. الجوائز ساعدت على انتشار الرواية وترجمتها، لكنها خلقت أيضاً نوعاً من الكتابة التي تضع الجائزة في أفقها منذ البداية.
- الوادي: روايات مكتوبة على مقاس لجان التحكيم.

- يقطين: أحياناً نعم. حين يعرف الكاتب الموضوعات التي تستقطب الاهتمام، والبنيات التي تمنح العمل مظهراً من الحداثة، قد ينشأ وعي ضمني بما هو مطلوب.
- الوادي: هذا أخطر من الرقابة ربما.
- يقطين: لأنه يجعل الكاتب يمارس الرقابة الجمالية على نفسه.
- الوادي: ماذا عن السرد المغربي؟ هل استطاع أن يصنع خصوصيته داخل المشهد العربي؟
- يقطين: السرد المغربي راكم تجارب مهمة جداً، ويمتلك تعدداً لغوياً وثقافياً وتاريخياً يمنحه إمكانات كبيرة. لكن المشكلة أن كثيراً من الأعمال المغربية لا تحظى بالانتشار العربي الذي تستحقه.
- الوادي: هل السبب مشرقية المركز الثقافي العربي؟
- يقطين: هذا عامل موجود تاريخياً، لكن لا ينبغي أن نحوله إلى شماعة. لدينا أيضاً مشكلات في التوزيع والنشر والتواصل الثقافي وصناعة الكتاب.
- الوادي: مع ذلك، يبدو أحياناً أن الكاتب المغربي يحتاج إلى اعتراف المشرق حتى نعترف به نحن.
- يقطين: هذه إحدى أعطاب المركز والهامش. الثقافة التي لا تنتج مؤسسات اعترافها الخاصة تبقى تنتظر شهادة من الخارج.
- الوادي: لكن هل يمتلك السرد المغربي فعلاً شخصية متميزة، أم أنه مجرد فرع محلي للرواية العربية؟
- يقطين: يمتلك خصوصيات واضحة: في علاقته بالمدينة والقرية، بالهجرة، بالذاكرة، بالتعدد اللغوي، بالتراث، وبالتحولات الاجتماعية والسياسية. لكن الخصوصية لا تعني الانغلاق داخل المحلي.
- الوادي: ألاحظ أن كثيراً من الروايات المغربية تريد أن تقول كل شيء: السياسة، سنوات الرصاص، الهجرة، الجسد، الدين، الفساد، الذاكرة... ألا يتحول النص أحياناً إلى ملف اجتماعي؟

- يقطين: يحدث ذلك عندما يعتقد الكاتب أن أهمية الموضوع تكفي لصناعة أدب جيد. الرواية ليست موضوعاً فقط. إنها بناء، وزمن، ولغة، ورؤية، وشخصيات، وإيقاع.
- الوادي: بمعنى أن رواية عن قضية كبيرة يمكن أن تكون رواية رديئة.
- يقطين: بالتأكيد. والعكس صحيح: يمكن لتفصيل يومي صغير أن ينتج رواية عظيمة.
- الوادي: ماذا ينقص السرد المغربي اليوم؟
- يقطين: المغامرة أكثر. أحياناً نتوقف عند حدود التجريب الشكلي. المغامرة الحقيقية ليست أن تكسر ترتيب الفصول فقط، بل أن تكتشف طريقة جديدة لرؤية الإنسان والعالم.
- الوادي: إذن كثرة اللعب بالزمن والأصوات لا تصنع حداثة؟
- يقطين: التقنية لا قيمة لها في ذاتها. تعدد الرواة، التناص، تشظي الزمن، الميتاسرد... كل ذلك يمكن أن يتحول إلى وصفة محفوظة.
- الوادي: كأن التجريب نفسه أصبح تقليدياً.
- يقطين: بالضبط. أخطر ما يمكن أن يحدث للحداثة أن تصبح عادة.
- الوادي: وأين القصة القصيرة وسط هيمنة الرواية؟
- يقطين: تعرضت لنوع من التهميش، لا بسبب ضعفها، بل لأن سوق النشر والجوائز والإعلام أعطى الرواية موقعاً مركزياً. لكن القصة القصيرة جنس شديد الصعوبة والثراء.
- الوادي: هل يمكن أن نقول إن بعض من يكتبون الرواية اليوم كانوا سيصبحون كتاب قصة أفضل لو لم تغرهم الجوائز؟
- يقطين: ربما. أحياناً يفرض السوق على الكاتب جنسه الأدبي.
- الوادي: هذا أمر مخيف.
- يقطين: السؤال لم يعد دائماً: ماذا أريد أن أكتب؟ بل: ماذا يمكن أن يجد ناشراً وجائزة وقارئاً؟

- الوادي: تحدثت كثيراً عن النص الرقمي. هل تعتقد أن الرواية الورقية مهددة؟
- يقطين: لا أرى المسألة بهذه الثنائية. الوسيط الرقمي لا يقتل الورقي بالضرورة، لكنه يغير علاقتنا بالقراءة والكتابة والزمن والانتباه.
- الوادي: لكن الرواية العربية ما زالت في معظمها تكتب كما لو أن الإنترنت لم يوجد.
- يقطين: هذه إحدى المفارقات. حياتنا تغيرت جذرياً، لكن أشكال السرد لا تلتقط دائماً حجم هذا التحول.
- الوادي: هل على الرواية أن تدخل الهاتف ومواقع التواصل إلى بنيتها؟
- يقطين: ليس المقصود أن نضع في الرواية رسائل واتساب كي تصبح حديثة. القضية أعمق: كيف غيّرت التكنولوجيا إدراكنا للذات، للذاكرة، للحضور، للغياب، وللزمن؟ هنا يوجد السؤال السردي الحقيقي.
- الوادي: وماذا عن النقد الجامعي؟ أليس جزءاً من الأزمة؟
- يقطين: بالتأكيد. حين يصبح البحث مجرد طريق للحصول على شهادة أو ترقية، تفقد المعرفة مغامرتها.
- الوادي: الرسائل الجامعية حول الرواية العربية بالآلاف، ومع ذلك لا نشعر أن النقد يؤثر فعلاً في حركة الأدب.
- يقطين: لأن الكم لا يصنع بالضرورة تراكماً معرفياً. يمكن أن تكتب آلاف الصفحات حول السرد دون أن تنتج سؤالاً جديداً واحداً. الجامعة يجب ألا تكون مؤسسة لإعادة تدوير المصطلحات.
- الوادي: لو طلبت منك أن تختصر أزمة السرد العربي اليوم في عبارة.
- يقطين: أقول: لدينا حكايات أكثر مما لدينا أسئلة.
- الوادي: وأزمة النقد؟

- يقطين: لدينا مفاهيم أكثر مما لدينا مغامرة معرفية.
- الوادي: وأزمة السرد المغربي تحديداً؟
- يقطين: يمتلك مادة ثقافية وإنسانية شديدة الثراء، لكنه لم يستثمر بعد كل إمكاناته.
- الوادي: ألا يبدو هذا الكلام دبلوماسياً بعض الشيء؟
- يقطين: إذا أردتها بطريقة أكثر مباشرة: على الكاتب المغربي أن يتوقف عن التفكير في أن المحلية نقص، وعلى الناقد المغربي أن يتوقف عن الاعتقاد بأن استعمال المصطلح دليل على العمق.
- الوادي: وماذا عن القارئ؟
- يقطين: عليه أيضاً أن يطالب الأدب بأكثر من الحكاية السهلة.
- الوادي: إذن الجميع في قفص الاتهام: الكاتب والناقد والجامعة والناشر والقارئ.
- يقطين: الثقافة منظومة. لا يمكن أن يكون لدينا أدب عظيم داخل مؤسسات ثقافية ضعيفة إلى ما لا نهاية.
- الوادي: أخيراً، هل أنت متفائل بمستقبل السرد العربي؟
- يقطين: أنا لا أتعامل مع الثقافة بمنطق التفاؤل والتشاؤم. ما يهمني هو وجود أسئلة حقيقية وكتاب مستعدين للمغامرة.
- الوادي: لو كان عليك أن توجه كلمة إلى الروائي العربي الشاب؟
- يقطين: لا تكتب الرواية التي تعرف مسبقاً كيف ستنتهي.
- الوادي: وإلى الناقد؟
- يقطين: لا تدخل إلى النص وفي يدك الإجابة.
- الوادي: وإلى السرد المغربي؟
- يقطين: لا تطلب الإذن من أحد كي تكون أنت.

نور الدين الصايل



- الوادي: سي الصايل، هل خدمت السينما المغربية أم صنعت لها مؤسسة أقوى من السينما نفسها؟
- الصايل: السؤال يفترض أن المؤسسة نقيض الإبداع. السينما لا تُصنع بالنوايا الحسنة وحدها. تحتاج إلى تمويل، قاعات، قوانين، إنتاج، أرشيف، تكوين ومهرجانات.
- الوادي: لكننا حصلنا على المؤسسات... فهل حصلنا فعلاً على سينما؟
- الصايل: حصلنا على تراكم. والتراكم أهم من انتظار المعجزة.
- الوادي: هذه لغة رجل المؤسسة، لا لغة الناقد الذي كان يريد تغيير العالم بالسينما.
- الصايل: الناقد الذي لا يختبر أفكاره داخل الواقع يبقى شاعراً غاضباً أمام شاشة.
- الوادي: وربما رجل المؤسسة حين يمكث طويلاً داخلها يتحول إلى حارس للواقع الذي كان يريد تغييره.

- الصايل: ممكن، لكن هناك فرق بين أن تحرس الرداءة وأن تحاول منع انهيار البيت.
- الوادي: لنتحدث عن هذا البيت. السينما المغربية تنتج أفلاماً أكثر مما كانت تنتج، تشارك في مهرجانات أكثر، تحصل على دعم أكبر، ومع ذلك ما زال المغربي لا يُعرف كثيراً من أفلام بلده. أين النجاح إذن؟
- الصايل: الإنتاج شرط أول، وليس الشرط الأخير. تستطيع أن تنتج خمسين فيلماً، لكن إذا انهارت القاعات، وضعف التوزيع، وانفصل الفيلم عن جمهوره، ستظل أمام نصف صناعة.
- الوادي: إذن نحن لا نملك صناعة سينمائية؟
- الصايل: نملك عناصر صناعة لم تكتمل بعد.
- الوادي: لماذا لا نقول ببساطة إن السينما المغربية ظلت تعتمد على الدولة أكثر مما تعتمد على الجمهور؟
- الصايل: لأن الدولة في بلدان مثل المغرب مطالبة بأن تساعد على ولادة سينما وطنية. السوق وحده قد يحول السينما إلى سلعة تبحث عن أسرع ضحكة وأسرع إيراد.
- الوادي: لكن الدعم خلق هو الآخر سينمائيين يفكرون في لجنة الدعم قبل أن يفكروا في المتفرج.
- الصايل: هذه إحدى أمراض الدعم، نعم.
- الوادي: أخيراً اِعتراف.
- الصايل: أنا لا أقدس المؤسسات التي اشتغلت فيها.
- الوادي: لكنك كنت جزءاً من السلطة السينمائية لسنوات. مدير المركز السينمائي، فاعل في مهرجان مراكش، رئيس مؤسسة مهرجان السينما الإفريقية بخريبكة... ألم يصبح نور الدين الصايل نفسه مؤسسة؟
- الصايل: إذا كان المقصود أنني تحملت مسؤوليات كثيرة، نعم. أما إذا كان المقصود أن السينما المغربية كانت ملكاً لي، فهذا كلام مرفوض.

- الوادي: السلطة الثقافية أخطر حين لا تعترف بأنها سلطة.
- الصايل: وأنا لم أقل إنها ليست سلطة. كل قرار في التمويل والبرمجة والاختيار سلطة. السؤال هو: كيف تستعملها؟
- الوادي: ومن يراقب من يستعملها؟
- الصايل: النقد، الصحافة، السينمائيون، المؤسسات المنتخبة، والرأي العام.
- الوادي: تقول ذلك وكأن الحقل السينمائي المغربي مشهور باستقلاله عن العلاقات والشبكات والمجاملات.
- الصايل: لا يوجد حقل ثقافي بريء تماماً من العلاقات. الخطأ أن نختزل كل شيء فيها.
- الوادي: لنذهب إلى خريبكة. مهرجان وُلد من روح الأندية السينمائية والنقاش والفرجة الجماعية. ثم تحول إلى مؤسسة. ألم تقتل المؤسسة شيئاً من روح البداية؟
- الصايل: لو ظل مجرد حنين إلى سنوات السبعينيات لمات منذ زمن. لكي يعيش المهرجان عليه أن يتغير.
- الوادي: أم أن عليه أن يتحول من ملك للسينيفيليين إلى ملك للبروتوكول؟
- الصايل: مهرجان خريبكة لم يُبن على السجاد الأحمر أصلاً. جوهره كان دائماً الفيلم الإفريقي والنقاش حوله.
- الوادي: لكن لماذا خريبكة تحديداً؟ مدينة الفوسفاط التي تنتج الثروة، بينما يحتاج مهرجانها في كل دورة إلى البحث عمن يموله؟
- الصايل: هنا تكمن المفارقة الجميلة والقاسية معاً. أن توجد نافذة كبرى على السينما الإفريقية في مدينة عمالية ومنجمية، لا في عاصمة ثقافية متخمة بالصالونات.
- الوادي: جميلة بالنسبة إلى المثقف القادم من الرباط أو الدار البيضاء، ربما. لكن ماذا أخذت خريبكة من المهرجان بعد كل هذه العقود؟

- الصايل: أخذت ذاكرة سينمائية لا تملكها مدن أكبر منها.
- الوادي: الذاكرة لا تكفي. أين معهد السينما؟ أين البنية التحتية؟ أين صناعة محلية للصورة؟ أين عشرات الشباب الخريبكيين الذين كان ينبغي أن يصبحوا مخرجين وتقنيين ومنتجين؟
- الصايل: الآن أنت تحمّل المهرجان مسؤولية الدولة والمدينة والجامعة والتكوين المهني معاً.
- الوادي: بل أسأل عن أثر المهرجان. مهرجان عمره عقود يجب ألا يبقى أسبوعاً مضيئاً ثم أحد عشر شهراً من العتمة.
- الصايل: أتفق مع الجزء الأخير. المهرجان الحقيقي يجب أن يتحول إلى فعل ثقافي مستمر.
- الوادي: لكنه لم يفعل بما يكفي.
- الصايل: ربما.
- الوادي: "ربما" ثانية؟
- الصايل: أتريد محاكمة أم حواراً؟
- الوادي: أريد أن أعرف لماذا ظل مهرجان إفريقي عريق في خريبكة أقل قوة إعلامياً ومادياً من مهرجانات مغربية أحدث منه بكثير.
- الصايل: لأن الأقدمية لا تمنحك السلطة تلقائياً. المال والإعلام والموقع السياسي والجغرافي تصنع تفاوتات بين المهرجانات.
- الوادي: وهل قبلتم بهذا التفاوت؟
- الصايل: قاومناه بما استطعنا.
- الوادي: أم حافظتم على مهرجان فقير كي تظلوا تتغنون بنبله؟
- الصايل: هذه جملة جميلة صحفياً، لكنها ظالمة. لا أحد يتمنى الفقر لمؤسسة يدافع عنها.
- الوادي: كانت للمهرجان علاقات بدعم مؤسسات عمومية وشبه عمومية، وفي مقدمتها المكتب الشريف للفوسفاط. ألا يجعل هذا الاستقلال الثقافي شعاراً رومانسياً؟

- الصايل: الاستقلال لا يعني ألا تأخذ المال من أحد. الاستقلال الحقيقي أن تأخذ الدعم دون أن يكتب الممول قائمة الأفلام بدلاً عنك.
- الوادي: وهل كان ذلك ممكناً دائماً؟
- الصايل: علينا أن نجعله ممكناً دائماً.
- الوادي: لم تجب.
- الصايل: لأنك تريد مني جواباً يصلح عنواناً مثيراً، بينما الواقع أكثر تعقيداً.
- الوادي: هذه أيضاً طريقة رجل المؤسسة في الهروب من الأسئلة.
- الصايل: وأنت تستخدم الاستفزاز للهروب من التعقيد.
- الوادي: جيد. إذن وصلنا إلى الصدام الحقيقي. هل كان مهرجان خريبكة مهرجاناً إفريقياً بالفعل، أم مهرجاناً مغربياً يستضيف إفريقيا أسبوعاً كل عام؟
- الصايل: إذا كنت تعرف تاريخ المهرجان فلن تطرح السؤال بهذه السهولة. منذ البداية كان الرهان أن يرى الإفريقي نفسه بعينه، لا بعين الآخر.
- الوادي: شعار كبير.
- الصايل: ليس شعاراً. الصورة سلطة. إذا لم تنتج صورتك، سينتجها غيرك عنك.
- الوادي: لكن السينما الإفريقية نفسها تجد صعوبة في الوصول إلى الجمهور الإفريقي. أفلامنا تسافر إلى أوروبا أكثر مما تسافر بين الرباط ودكار وباماكو ونيامي.
- الصايل: هذه أكبر هزائم السينما الإفريقية: الإنتاج تحسن، لكن التوزيع الإفريقي المشترك ظل ضعيفاً.
- الوادي: إذن المهرجانات أصبحت جزراً: نلتقي، نصفق، نمنح الجوائز، ثم يعود كل فيلم إلى عزلته.

- الصايل: حين يتحول المهرجان إلى احتفال فقط، نعم، يصبح جزيرة.
- الوادي: وهل تحول مهرجان خريبكة أحياناً إلى ذلك؟
- الصايل: بالتأكيد حدث ذلك في بعض اللحظات. لا توجد مؤسسة تنتصر على نفسها في كل دورة.
- الوادي: هذا الجواب كنت أنتظره.
- الصايل: لأنك تبحث عن الاعتراف بالفشل.
- الوادي: لا، أبحث عن حقنا في مساءلة الأسطورة.
- الصايل: أسوأ ما يمكن أن يحدث لنور الدين الصايل بعد موته أن يتحول إلى تمثال لا يجوز الاقتراب منه.
- الوادي: لو عدت اليوم إلى خريبكة وجلست أمام شباب المدينة، ماذا ستقول لهم؟
- الصايل: سأقول لهم: لا تنتظروا المهرجان كي يعطيكم السينما. خذوا السينما منه. طالبوا بورشات دائمة، بأرشيف، بتكوين، بقاعات، بمختبر للصورة، وبأن تكون المدينة شريكة لا مجرد خلفية.
- الوادي: وستسمح لهم بأن يقولوا إن جيل نور الدين الصايل لم يفعل ما يكفي؟
- الصايل: يجب أن يقولوا ذلك؛ لأن الجيل الذي لا يتهم آباءه بالتقصير لن يتجاوزهم.
- الوادي: إذن أعطني جملة أخيرة بلا لغة مؤسسات ولا دبلوماسية: ما مشكلة السينما المغربية؟
- الصايل: أنها تعلمت كيف تنتج الفيلم، ولم تتعلم بعد كيف تجعل المجتمع يحتاج إليه.
- الوادي: ومشكلة مهرجان خريبكة؟
- الصايل: أن تاريخه أصبح أكبر من أن يسمح له بأن يكون مجرد مهرجان.
- الوادي: وما المطلوب منه؟

- الصايل: أن يصبح مؤسسة إفريقية للصورة تعمل طوال السنة، لا أسبوعاً للاحتفال بذاكرتها.
- الوادي: ولو لم يفعل؟
- الصايل: سيصبح الماضي أجمل شيء فيه.
- الوادي: هذه أخطر جملة قلتها.
- الصايل: بل أخطر شيء أن تصبح صحيحة.

الطيب الصديقي



- الوادي: سي الطيب، لو عدت اليوم إلى المسرح المغربي، هل ستتعرف عليه؟
- الصديقي: سأتعرف على بعض الوجوه، وبعض الخشبات، لكنني قد أبحث طويلاً عن ذلك الجنون الذي كان يجعلنا نؤمن بأن المسرح ضرورة، لا مجرد نشاط موسمي.
- الوادي: ألهذه الدرجة ترى أن المسرح المغربي فقد ضرورته؟
- الصديقي: لم يفقدها، لكنه نسيها. المسرح لا يموت، الناس هم الذين يتوقفون عن معاملته باعتباره سؤالاً مصيرياً.
- الوادي: لكننا نملك مهرجانات كثيرة، وعروضاً كثيرة، ودعماً عمومياً، ومعاهد للتكوين.
- الصديقي: كثرة العروض لا تعني وجود حياة مسرحية. يمكنك أن تملأ السنة بالمهرجانات، وتظل المدينة بلا مسرح.
- الوادي: ما الفرق؟

- الصديقي: المهرجان موعد، أما المسرح فعادة ثقافية. حين يعرف المواطن أن بإمكانه مساء كل أسبوع أن يذهب إلى قاعة ويشاهد عرضاً، فهناك حياة مسرحية. أما أن ننتظر مناسبة أو دعماً أو موسماً، فنحن نصنع أحداثاً لا مسرحاً.
- الوادي: هل المشكلة في الدولة؟
- الصديقي: الدولة جزء من المشكلة حين تتعامل مع المسرح باعتباره ملفاً إدارياً، وجزء من الحل حين توفر له البنية والتكوين والحرية. لكنني لا أحب المسرحي الذي يجعل فشله كله في جيب الوزارة.
- الوادي: لماذا؟
- الصديقي: لأن المسرحي الذي لا يستطيع أن يخلق جمهوره لن تسعفه أكبر ميزانية.
- الوادي: ولكن خلق الجمهور اليوم أصعب من الأمس. التلفزيون والمنصات والهاتف اختطفت الناس.
- الصديقي: التلفزيون لم يقتل المسرح، والهاتف لن يقتله. المسرح يُقتل حين يصبح أقل حياةً من الهاتف. إذا صعد الممثل إلى الخشبة وهو لا يملك ما يدهشني به، فلماذا أترك شاشة تحمل العالم كله في يدي وأذهب إليه؟
- الوادي: إذن المسؤولية مسؤولية الفنان؟
- الصديقي: مسؤولية الجميع، لكن الفنان هو أول من يجب أن يُسأل. لا يحق له أن يطالب الجمهور بالحضور كما لو كان الجمهور موظفاً عنده.
- الوادي: هناك من يقول إن الجمهور المغربي لم يعد يملك ذائقةً مسرحية.
- الصديقي: هذه إهانة للجمهور. حين يفشل الفنان يقول إن الجمهور جاهل. الجمهور أكثر ذكاءً مما نظن. قد لا يعرف المصطلحات، لكنه يعرف متى يُكذب عليه.
- الوادي: وأين يقع الكذب اليوم؟

- الصديقي: في كثير من الادعاء. عرض ضعيف يختبئ خلف كلمة "تجريب". غموض يختبئ خلف كلمة "حداثة". فراغ يختبئ خلف سينوغرافيا جميلة. وصراخ يختبئ خلف كلمة "اِلتزام".
- الوادي: أنت الذي انفتحت على بريخت وموليير والمسرح العالمي، ومع ذلك التصقت بالتراث المغربي. لماذا؟
- الصديقي: لأنني لم أكن أريد أن أكون نسخة رديئة من أوروبي جيد.
- الوادي: وماذا عن الكتابة المسرحية؟ هناك من يعتقد أن المخرج أصبح أقوى من النص.
- الصديقي: لا مشكلة أن يكون المخرج قوياً. المشكلة أن يعتقد أن قوته تبدأ بإلغاء الكاتب.
- الوادي: هل نحن في أزمة نص مسرحي؟
- الصديقي: نحن في أزمة علاقة بالنص. أحياناً يكتب الكاتب نصاً لا يرى الخشبة، وأحياناً يتعامل المخرج مع النص كأنه مادة خام يجب تحطيمها حتى يثبت أنه مبدع.
- الوادي: وأين الممثل؟
- الصديقي: الممثل هو الكائن الوحيد الذي لا يستطيع المسرح أن يستغني عنه.
- الوادي: لدينا مدن كثيرة لا تملك قاعات مسرح حقيقية.
- الصديقي: هذه فضيحة ثقافية. لا يمكنك أن تتحدث عن سياسة مسرحية في بلد لا يستطيع فيه المواطن أن يجد مسرحاً في مدينته.
- الوادي: ولكن بناء القاعات وحده لا يكفي.
- الصديقي: بالطبع. نحن بارعون أحياناً في بناء الحجر ونسيان الحياة داخله.
- الوادي: ماذا تحتاج القاعة حتى تصبح مسرحاً؟
- الصديقي: فرقة، برنامج، جمهور، تقنيون، إدارة تعرف الثقافة، وذاكرة تتراكم من موسم إلى موسم.
- الوادي: وماذا تقول عن دعم المسرح؟

- الصديقي: الدعم ضروري، لكنه خطر أيضاً. حين يتحول الفنان من صاحب مشروع إلى صاحب ملف. حين يبدأ العرض في استمارة الدعم وينتهي بتقرير مالي، بدل أن يبدأ من سؤال فني وينتهي في وجدان الجمهور.
- الوادي: هل ترى أن الدعم قد يصنع الاتكالية؟
- الصديقي: قد يصنعها، كما قد يصنع أعمالاً عظيمة. المال لا يفسد المسرح وحده، الذي يفسده هو أن يصبح المال غايته.
- الوادي: وماذا عن المهرجانات؟
- الصديقي: جميلة إذا كانت تتويجاً للحياة المسرحية، خطيرة إذا أصبحت بديلاً عنها. حين تنتج الفرق عروضها لكي تسافر لا لكي تعيش. وحين يصبح السؤال: في أي مهرجان سنشارك؟ بدل: لأي جمهور نصنع هذا العرض؟
- الوادي: هناك أيضاً مشكلة المركز والهامش. أغلب النشاط يتركز في الرباط والدار البيضاء ومدن محدودة.
- الصديقي: لا أحب كلمة "هامش". المدينة التي يعيش فيها خمسون ألف إنسان ليست هامشاً. الذي جعلها هامشاً هو قرار ثقافي.
- الوادي: وهل يمكن للمسرح أن يعيش في المدن الصغيرة؟
- الصديقي: ربما يعيش فيها أصدق مما يعيش في العاصمة، إذا وجد فنانين يؤمنون بأن الجمهور ليس عدداً بل علاقة.
- الوادي: وماذا عن الشباب المسرحي؟
- الصديقي: لديهم ما لم يكن لدينا: معرفة واسعة، تكنولوجيا، سفر، مدارس، وصول إلى تجارب العالم.
- الوادي: وما الذي ينقصهم؟
- الصديقي: ربما ينقص بعضهم الصبر على أن يصبح الفنان فناناً. يريد البعض بعد عرضين أن يُعامل كأنه صنع تاريخ المسرح.
- الوادي: وما رأيك في التكوين الأكاديمي؟

- الصديقي: مهم جداً، لكنه لا يصنع وحده المسرحي. تصنعه الحياة. يصنعه الشارع. الكتب. السفر. الفشل. الجمهور. التمرين. ومائة ليلة يقف فيها خلف الستارة وهو خائف قبل أن يدخل الخشبة.
- الوادي: لو سألتك عن أخطر مرض يصيب المسرح المغربي اليوم، ماذا ستقول؟
- الصديقي: أن يتحول المسرح إلى شأن المسرحيين فقط. عندما يكتب المسرحيون لبعضهم، ويخرجون لبعضهم، ويشاهد بعضهم بعضاً، وينقد بعضهم بعضاً، ثم يقولون: أين الجمهور؟ الجمهور في الخارج لأنه لم يجد نفسه في هذه الدائرة المغلقة.
- الوادي: وهل المطلوب أن نبسط المسرح لإرضائه؟
- الصديقي: لا. أسوأ شيء أن تحتقر الجمهور باسم مخاطبته. أعطه عمقاً، لكن أعطه حياة أيضاً.
- الوادي: وماذا تقول لمن يعتقد أن المسرح المغربي يعيش أزمة نهائية؟
- الصديقي: المسرح لا يعيش أزمة نهائية. المسرح نفسه أزمة دائمة. المسرح وُلد لأنه لا يرضى عن الواقع. في اللحظة التي يصبح فيها مرتاحاً، يموت.
- الوادي: إذن لست متشائماً؟
- الصديقي: أنا متشائم من المؤسسات حين تنام، ومن الفنان حين يكرر نفسه، ومن الجمهور حين يُهمَل. لكنني متفائل بالخشبة. لأن شخصاً واحداً يستطيع أن يدخل إلى فضاء فارغ، يقف أمام عشرة أشخاص، يقول جملة حقيقية، ويبدأ المسرح من جديد.
- الوادي: سي الطيب، ماذا يمكنك أن تقول في الختام للمسرحيين المغاربة اليوم؟
- الصديقي: لا تنتظروا من المسرح أن يمنحكم المجد. اِحرصوا أنتم دائماً على أن يبقى حياً.

أحمد بوزفور



- الوادي: أستاذ بوزفور، سأبدأ من النقطة التي قد لا تعجبك: أليس وفاؤك للقصة القصيرة، كل هذه العقود، قد تحول من اختيار جمالي إلى نوع من الاحتماء؟
- بوزفور: الاحتماء من ماذا؟
- الوادي: من الرواية، من المغامرة الطويلة، من امتحان النفس في مساحة لا تسمح لك بالانسحاب بعد صفحات قليلة. القصة القصيرة تمنحك دائماً مخرجاً سريعاً.
- بوزفور: هذا افتراض مريح، لكنه خاطئ. القصة القصيرة لا تمنح الكاتب مخرجاً، بل تحاصره. في الرواية تستطيع أن تخطئ مائة صفحة قبل أن يكتشف القارئ خطأك. في القصة قد تفضحك جملة واحدة.
- الوادي: لكن ألا يمكن أن يكون هذا الكلام دفاعاً ذكياً عن اختيار أصبح عادة؟

- بوزفور: وهل كل عادة سيئة؟ أحياناً يصبح الوفاء عادة لأن الخيانة أسهل.
- الوادي: خيانة ماذا؟
- بوزفور: خيانة الصوت. أن أترك الشكل الذي أرى العالم من خلاله فقط لأن الرواية صارت أكثر بريقاً أو أكثر قابلية للاحتفاء.
- الوادي: لنكن أكثر قسوة. ألا تخشى أن يقال إن بوزفور بقي يكرر نفسه؟ القصة نفسها، التكثيف نفسه، اللعب نفسه مع اللغة، والأسئلة نفسها بأقنعة مختلفة؟
- بوزفور: أخشى أن أكرر نفسي، نعم. لكنني لا أخشى أن أكرر السؤال. الفرق كبير.
- الوادي: الفرق الذي يقوله كل كاتب حين يتهم بالتكرار؟
- بوزفور: ربما. لكن القارئ الجاد لا يبحث عن كاتب يبدل جلده كل كتاب. يبحث عن كاتب يذهب أبعد في جلده.
- الوادي: وماذا لو كان هذا الجلد قد ضاق؟
- بوزفور: عندها أمزقه.
- الوادي: هل فعلت؟
- بوزفور: الكتابة نفسها هي عملية التمزيق.
- الوادي: جميل. لكن اِسمح لي أن أذهب أبعد: هل رفضك للرواية نابع من قناعة فنية، أم من موقف أيديولوجي ضد مؤسسة أدبية رفعت الرواية إلى مرتبة الجنس الأعظم؟
- بوزفور: أنا لا أرفض الرواية. أرفض أن تكون معياراً لقياس جدية الكاتب.
- الوادي: لكنك تتحدث عن الرواية أحياناً كما لو أنها مرض أصاب الأدب.
- بوزفور: المرض ليس في الرواية. المرض في الاعتقاد بأن الكتاب الكبير أكثر أدبية من الكتاب الصغير.
- الوادي: وهل تعتقد أن بعض كتاب الرواية يكتبون مئات الصفحات لأنهم لا يعرفون كيف يكتبون صفحة واحدة؟

- بوزفور: بالتأكيد يوجد هذا. كما يوجد من يكتب قصة قصيرة لأنه لا يستطيع بناء عالم روائي. لا أريد أن أحول القصة إلى فضيلة أخلاقية والرواية إلى خطيئة.
- الوادي: إذن أنت تقبل أن القصة قد تكون أحياناً ملجأً للعجز؟
- بوزفور: طبعاً. وكل جنس أدبي يمكن أن يكون ملجأً للعجز. السؤال ليس: أي جنس اِخترت؟ السؤال: ماذا فعلت بما اخترته؟
- الوادي: فلنضعك أنت تحت هذا السؤال. ماذا فعلت بالقصة القصيرة كي لا تتحول إلى مجرد منطقة آمنة؟
- بوزفور: حاولت أن أجعلها أقل أماناً.
- الوادي: للقارئ أم للكاتب؟
- بوزفور: للاثنين.
- الوادي: ومع ذلك، هناك شيء يشبه الأسطورة حول بوزفور: الكاتب الذي ظل وفياً للقصة في وجه زمن الرواية. ألا تخشى أن تصبح هذه الصورة نفسها قيداً عليك؟
- بوزفور: أخشاها أكثر من أي شيء آخر. أخطر ما يحدث للكاتب أن يتحول إلى شخصية صنعها الآخرون عنه.
- الوادي: وهل بوزفور الحقيقي ما زال موجوداً خلف صورة "كاتب القصة القصيرة"؟
- بوزفور: لا أعرف. ربما الكاتب يموت قليلاً كلما نجحت صورته.
- الوادي: إذن يمكن القول إن وفاءك للقصة كان له ثمن؟
- بوزفور: كل وفاء حقيقي له ثمن.
- الوادي: وما ثمن وفائك؟
- بوزفور: أن أظل مطالباً، في كل مرة، بإثبات أن القصة القصيرة ليست أقل من الرواية. وهذا سؤال لا أحب أن أجيب عنه.
- الوادي: لماذا؟
- بوزفور: لأن مجرد قبولي بالسؤال يعني أنني قبلت ميزاناً لا أؤمن به.

- الوادي: لكن الجمهور والنقاد والسوق يؤمنون به.
- بوزفور: الأدب لا يكتب لإرضاء الميزان.
- الوادي: وهل يمكن أن يكون هذا موقفاً رومانسياً أكثر مما ينبغي؟ الكاتب يقول: لا يهمني السوق، لا يهمني الجمهور، لا تهمني الشهرة. لكن في النهاية، الكتابة تحتاج إلى قارئ.
- بوزفور: بالطبع تحتاج إلى قارئ. لكنني لا أريد قارئاً أستجدي رضاه؛ أريد قارئاً أستفزه.
- الوادي: تستفزه إلى ماذا؟
- بوزفور: إلى أن يشك في نفسه.
- الوادي: وفي الكاتب؟
- بوزفور: خصوصاً في الكاتب.
- الوادي: هل تريد إذن أن يخرج القارئ من قصتك وهو غير مرتاح؟
- بوزفور: إذا خرج مرتاحاً دائماً، فقد أكون فشلت.
- الوادي: هنا أختلف معك. أحياناً يبدو أن الاحتفاء بالتكثيف والغموض والانفتاح يجعل القصة القصيرة لعبة للنخبة: نص قصير، كثيف، مراوغ، ثم على القارئ أن يقوم بكل العمل.
- بوزفور: هذه ليست مشكلة التكثيف. إنها مشكلة الكتابة الرديئة التي تتنكر في الغموض.
- الوادي: وهل تستطيع أن تضمن أنك لم تقع في هذا الفخ؟
- بوزفور: لا.
- الوادي: إذن تعترف بإمكان الفشل؟
- بوزفور: الكاتب الذي لا يعترف بإمكان فشله لا يستحق أن يكتب.
- الوادي: حتى بعد هذه المسيرة؟
- بوزفور: خصوصاً بعد هذه المسيرة. الخبرة قد تمنحك أدوات أكثر، لكنها تمنحك أيضاً أوهاماً أكثر.

- الوادي: آخر سؤال، وربما أكثرها استفزازاً: لو اكتشفت غداً أن القصة القصيرة لم تعد قادرة على قول ما تريد، هل ستخونها؟
- بوزفور: إذا احتجت إلى خيانتها، سأخونها.
- الوادي: إذن وفاؤك ليس مطلقاً؟
- بوزفور: الوفاء الحقيقي ليس عبادة.
- الوادي: وماذا يبقى من كل هذه السنوات إذن؟
- بوزفور: يبقى شيء واحد: أنني لم أكتب القصة القصيرة لأنها كانت قصيرة، ولا لأنني أردت أن أصبح "كاتب قصة قصيرة". كتبتها لأنها كانت، في لحظات كثيرة، الشكل الوحيد الذي يستطيع أن يحتمل ما أريد قوله.
- الوادي: وإذا لم تعد تحتمل؟
- بوزفور: سأبحث عن شكل آخر.
- الوادي: حتى لو كان الرواية؟
- بوزفور: حتى لو كان الصمت.
- الوادي: إذن ربما كان السؤال خاطئاً منذ البداية. ليست القضية لماذا ظل بوزفور وفياً للقصة، بل لماذا ظلت القصة قادرة على الاحتفاظ ببوزفور؟
- بوزفور: الآن فقط بدأت تسأل السؤال الصحيح.

عبد الكريم برشيد



- برشيد: المسرح الاحتفالي هو التعبير الحر للإنسان الحر في المجتمع الحر.
- الوادي: هل هذا يعني أن المسرح الاحتفالي يرفض كل القيود؟
- برشيد: يرفض القيود التي تقتل الإبداع، لكنه لا يرفض المسؤولية. فالحرية ليست أن تقول أي شيء، وإنما أن تمتلك شجاعة القول، وأن تتحمل تبعاته. المسرح لا يمكن أن يكون حياً إذا كان الإنسان الذي يصنعه مقيداً. المسرح فعل حر، والاحتفال فيه ليس مجرد فرجة، بل استعادة الإنسان لحقه في الكلام، وفي السؤال، وفي صناعة المعنى.
- الوادي: وماذا عن المجتمع الحر؟
- برشيد: المجتمع الحر هو الذي يسمح بتعدد الأصوات. والمسرح بطبيعته فضاء للتعدد. فيه الممثل والمتفرج، الماضي والحاضر، الحكاية والواقع، السؤال والجواب. إنه مجتمع مصغر يتعلم فيه الإنسان كيف يكون مواطنا حراً.

- الوادي: إذن، المسرح الاحتفالي ليس مجرد شكل مسرحي؟
- برشيد: أبداً، إنه رؤية للإنسان والحياة. أنا لا أريد مسرحاً يجعل المتفرج يجلس في الظلام وينتظر أن يقال له كل شيء. أريده أن يدخل الاحتفال، أن يشارك، أن يفكر، وأن يصبح جزءاً من الفعل المسرحي.
- الوادي: وهل ما زالت هذه الفكرة صالحة اليوم؟
- برشيد: أكثر من أي وقت مضى. كلما ضاقت مساحات الحرية، اِزدادت حاجتنا إلى مسرح يفتح النوافذ. فالمسرح الذي لا يدافع عن حرية الإنسان يتحول إلى مجرد كلام فوق الخشبة.
- الوادي: وما الذي يبقى في النهاية؟
- برشيد: يبقى الإنسان حراً، محتفلاً، وقادراً على أن يقول أنا موجود، وأنا أملك حق الكلام.
- الوادي: ألا تخشى أن تقتلك الاحتفالية؟
- برشيد: أخشى أن أموت إذا تخليت عنها. الاحتفالية ليست جسداً أخاف عليه من الموت، إنها فكرة تسكنني. وقد يموت صاحب الفكرة، لكن الفكرة لا تموت ما دام هناك إنسان يرفض أن يعيش بلا حرية، وما دام هناك مسرح يفتح للإنسان باباً نحو الحياة.

مبارك أيسار



- الوادي: سي مبارك، يسميك الناس "الرايس الكبير". أنت كبير بماذا، بالصوت، بالشهرة، أم لأن موتك جعلنا نبالغ في تقديرك كما نفعل دائماً مع الراحلين؟
- أيسار: أنا رجل حمل صوته ومشى. الفن لا يحمل بطاقة تعريف.
- الوادي: لكنك حملت بطاقة القبيلة طويلاً. حتى اسمك الفني "أيسار" يردّك إلى الجذور. ألم تحول الفن إلى امتداد للانتماء؟
- أيسار: هل يولد الفنان في الفراغ؟
- الوادي: لا. لكنه إن بقي أسير المكان الذي ولد فيه فلن يصبح فناناً، بل ناطقاً باسم جماعته.
- أيسار: تريد الفنان بلا أم، بلا قرية، بلا لغة، بلا ذاكرة، حتى يعجب المثقف الذي يجلس في المقهى ويشرح للناس معنى الكونية؟
- الوادي: أريد فناناً يتجاوز أصله.
- أيسار: من قال لك إن تجاوز الأصل يعني قتله؟
- الوادي: تغني للإنسان، لا للقبيلة.

- أيسار: أين يعيش هذا الإنسان في قاموس؟ أنا عرفته في وجه أمي. في الفلاح العائد من الحقل. في المرأة التي تنتظر غائباً. في رجل طحنته الحاجة. في عاشق لا يستطيع الوصول إلى حبيبته. في عجوز يسمع الرباب فتعود إليه خمسون سنة مرة واحدة. هذا هو الإنسان عندي. أما الإنسان الذي لا لغة له ولا تراب ولا رائحة ولا أم، فاتركه للفلاسفة.
- الوادي: أنت تدافع عن المحلية إذن.
- أيسار: أدافع عن الباب الذي دخلت منه إلى العالم.
- الوادي: لكنك غنيت بتشلحيت لجمهور محدود لغوياً. لو غنيت بالعربية، كان صوتك سيصل إلى ملايين أكثر.
- أيسار: هل قيمة الصوت بعدد الآذان التي تسمعه؟
- الوادي: الفنان يريد الانتشار.
- أيسار: التاجر أيضاً يريد الانتشار. أنت تخلط الشهرة بالقيمة. لو غيرت لساني كي يسمعني عدد أكبر، ماذا يتبقى مني حين يسمعونني؟
- الوادي: صوتك.
- أيسار: الصوت بلا لغته يتيم.
- الوادي: هذه إحدى أوهام الهوية. تجعلون اللغة معبداً، ومن يقترب منها تتهمونه بالخيانة.
- أيسار: وأنت تجعل الكونية مطاراً دولياً. تريد منا جميعاً المرور من بوابته بعد تفتيش ذاكرتنا ومصادرة ما لا يعجب موظف الجمارك الثقافي.
- الوادي: فن الروايس ظل سنوات طويلة خارج المركز. ربما لأنه هو كذلك رضي بأن يبقى داخل دائرته.
- أيسار: من رسم الدائرة، أنا أم المركز؟
- الوادي: أنت أيضاً. حين تكتفي بجمهور يعرفك ولا تقتحم فضاءات أخرى.

- أيسار: كنا نقطع المسافات، نغني في القرى والمدن والأعراس والساحات. نحمل آلاتنا وأجسادنا وأصواتنا. ثم يأتي رجل بعد أربعين سنة ليسألني: لماذا لم تقتحم المركز؟ يا سيدي، نحن كنا نمشي نحو المركز. هو الذي كان يتراجع كلما اقتربنا.
- الوادي: تتهم المؤسسات؟
- أيسار: لا أتهم أحداً. أسأل فقط: من يقرر أن هذا فن وذاك فولكلور؟ من يمنح أحدهم لقب موسيقار، ويضع آخر في خانة التراث الشعبي؟ من يجعل الكمان ثقافة والرباب زينة سياحية؟ من يكتب تاريخ الموسيقى الذي غنّى، أم الذي امتلك الورق؟
- الوادي: أنتم الروايس كنتم أيضاً مسؤولين عن هذا التهميش؟ لأنكم صنعتم فناً عظيماً، لكنكم لم تصنعوا مؤسسات تحفظه. لم توثقوا بما يكفي. لم تكتبوا تاريخكم. تركتم الأشرطة تتآكل، والروايات تتناقض، والذاكرة تموت مع أصحابها.
- أيسار: نحن كنا نصنع الأغنية، والمثقفون، والباحثون، والجامعات، والمؤسسات، والصحافة كان عليهم أن يصنعوا الذاكرة. هم الذين يملكون الأرشيف والكاميرا والكتاب. لا تطلب من الرجل الذي أمضى عمره يغني في الطرقات أن يكون في الوقت نفسه مؤرخاً وأمين أرشيف وناقداً ومدير مؤسسة.
- الوادي: لكن الفنان مسؤول عن إرثه.
- أيسار: والمجتمع مسؤول عن فنانيه. هل تريد المسؤولية في اتجاه واحد فقط؟
- الوادي: ألم يتحول بعض فن الروايس مع الزمن إلى تكرار؟ الإيقاعات نفسها، البنيات نفسها، الجمل نفسها، والجمهور يصفق لأنه يعرفها لا لأنها تفاجئه. هكذا التراث قد يصبح كسولاً.
- أيسار: الحداثة أيضاً قد تصبح كسولة. هناك من يكرر أجداده، وهناك من يكرر باريس ولندن ونيويورك. الأول يسمونه محافظاً. والثاني يسمونه مجدداً. وأحياناً كلاهما مقلد.
- الوادي: إذن ما التجديد؟

- أيسار: أن تدخل بيت أبيك دون أن تمشي فيه بخطواته.
- الوادي: لكن ألا تخشى أن تتحول هذه العبارة نفسها إلى شعار فارغ؟
- أيسار: كل عبارة جميلة معرضة لأن يقتلها المثقفون بالشرح.
- الوادي: تكره المثقفين؟
- أيسار: لا. أخاف فقط من المثقف الذي يعرف الأغنية من الورقة أكثر مما يعرفها من الوجع.
- الوادي: وأنا أخاف من الفنان الذي يستعمل الوجع ليعفي نفسه من النقد. أصبت بالشلل. تأثر كلامك. قلّ حضورك. ووجدت نفسك أمام الصمت وكنت تعيش وسط التصفيق. ماذا اكتشفت؟
- أيسار: التصفيق له يدان فقط. ولا قلب له دائماً.
- الوادي: هل تخلى عنك الجمهور؟
- أيسار: لا أريد محاكمة الناس. لكل واحد حياته وفقره ومرضه. لكنني تعلمت شيئاً: حين تكون واقفاً على الخشبة يراك الجميع. حين تسقط خلفها، تصبح غير مرئي.
- الوادي: هل شعرت أن الفن خدعك؟
- أيسار: لا. البشر ربما. أما الفن فلم يعدني بشيء.
- الوادي: لكنك أعطيته عمرك.
- أيسار: هل تعطي الحب كي تسترد فاتورة؟
- الوادي: الفنان يحتاج أن يعيش.
- أيسار: هنا فضيحتنا. نحن نريد الفنان أسطورةً، لكننا لا نريده موظفاً له حقوق. نريده أن يغني عن الكرامة وهو يبحث عن ثمن الدواء. نصفق له ساعتين ثم نتركه حياته كاملة يدفع ثمن الساعتين.
- الوادي: من المسؤول؟
- أيسار: كل من صفق ثم اعتقد أن التصفيق أجر.
- الوادي: ربما المجتمع لا يدين للفنان بشيء. هو اختار الفن. لم يجبره أحد. لماذا نطالب المجتمع بإنقاذه حين يمرض؟

- أيسار: إنه إنسان قبل أن يكون فناناً.
- الوادي: إذن تسقط امتياز الفنان.
- أيسار: أنا لم أطلب امتيازاً. أطلب ألا يتحول الإنسان إلى آلة موسيقية: ما دامت تصدر صوتاً نحملها، وحين ينقطع وترها نرميها.
- الوادي: وماذا عن الشهرة؟ كنت معروفاً، محبوباً، لك جمهور واسع. ألم تكن تحب أن ترى الناس يلتفون حولك؟
- أيسار: من قال إن الفنان لا يحب ذلك؟ الفنان الذي يقول إنه لا يحب التصفيق إما قديس أو كذاب. وأغلبنا ليسوا قديسين.
- الوادي: الشهرة أفسدتك؟
- أيسار: أحياناً. حين يصفق لك ألف شخص، يبدأ داخلك شخص صغير يهمس: أنت لا تخطئ. وإذا صدقته انتهيت.
- الوادي: هل صدقته؟
- أيسار: مرات.
- الوادي: وندمت؟
- أيسار :الفنان الذي لا يندم على بعض أعماله لم يتطور.
- الوادي: الفنانون يمدحون الجمهور باستمرار: جمهوري العزيز، جمهوري الوفي... لكن الجمهور نفسه قد يكون محافظاً، يطلب منك الأغنية القديمة نفسها ويعاقبك حين تتغير. ألم يكن جمهورك سجناً أيضاً؟
- أيسار: الحب نفسه قد يصبح سجناً. حين يحبك الناس في صورة معينة، يريدونك أن تموت داخلها.
- الوادي: إذن الفنان يجب أن يخون جمهوره؟
- أيسار: أحياناً. عليه أن يخون توقعاته كي يبقى وفياً لفنه.
- الوادي: هل فعلتها أنت بما يكفي؟
- أيسار: لا.
- الوادي: ربما أيسار الذي نتذكره اليوم أكبر من أيسار الحقيقي. نحن نصنع تمثالاً بعد موت الفنان لأن التمثال لا يطالبنا بشيء.

- أيسار: هذه ليست مشكلتي. هذه مشكلتكم أنتم الأحياء. لأنكم تحبون الموتى أكثر. الميت لا يعارضكم. لا يغضب. لا يطلب أجراً. لا ينتقد المؤسسة. لا يختلف معكم. تضعون صورته في مهرجان، تسمون قاعة باسمه، تقولون: تكريماً للراحل الكبير، وينتهي الأمر.
- الوادي: تقصد أننا نكرم الفنان حين يصبح عاجزاً عن الاستفادة من التكريم.
- أيسار: بالضبط. لماذا تكون باقة الورد دائماً أسرع إلى القبر منها إلى بيت الفنان وهو حي؟
- الوادي: لو عدت اليوم، ورأيت الأمازيغية في التلفزيون، وفي المؤسسات، وفي الجامعات، مكتوبة بتيفيناغ... هل تقول إن المعركة انتصرت؟
- أيسار: سأسأل أولاً: هل دخلت الأمازيغية إلى حياة الناس، أم إلى واجهات المباني فقط؟ اللغة لا تنتصر حين تكتبها فوق باب مؤسسة. تنتصر حين لا يخجل الطفل من الكلام بها. حين يستطيع الفنان أن يعيش منها. حين تصبح المعرفة ممكنة بها. حين تستطيع أن تحب بها، وتغضب بها، وتدرس بها، وتحلم بها، وتختلف بها. أما أن تحولها إلى رمز جميل على الحائط فذلك يشبه تعليق الرباب في متحف ثم إعلان انتصار الموسيقى.
- الوادي: إذن لست راضياً؟
- أيسار: أنا ميت. لا أملك ترف الرضا. أنتم الأحياء يجب أن تقلقوا.
- الوادي: سؤال أخير. ماذا بقي منك؟
- أيسار: أسألك أنت.
- الوادي: بقيت تسجيلات.
- أيسار: وإذا ضاعت؟
- الوادي: بقي اسمك.
- أيسار: الأسماء تُنسى.

- الوادي: بقي تلامذتك ومن تأثروا بك.
- أيسار: سيموتون.
- الوادي: إذن ماذا تريد أن أقول؟
- أيسار: لا شيء. هذا مرضكم أنتم الكتّاب. تريدون دائماً أن يبقى شيء.
- الوادي: وأنت لا تريد؟
- أيسار: كنت أريد حين كنت حياً. أما الآن فأعرف الحقيقة.
- الوادي: وما هي؟
- أيسار: الفنان لا يهزم الموت. هو فقط يجعله يتأخر قليلاً في الوصول إلى صوته.
- الوادي: لكنني أسمعك الآن.
- أيسار: لا. أنت تسمع نفسك وأنت تبحث عني.
- الوادي: وما الفرق؟
- أيسار: أنا انتهيت. أنتم الذين لم تنتهوا بعد.
- الوادي: إذن ما الذي تريده منا؟
- أيسار: لا تجعلوا من موتنا مناسبة للحنين. اِجعلوه دليلاً ضدكم.
- الوادي: ضدنا؟
- أيسار: نعم. كل فنان يموت مهملاً هو سؤال موجه إلى الأحياء. كل لغة تحتاج إلى الدفاع عن حقها في الوجود هي اتهام. كل تراث تحفظونه بعد موت أصحابه كان يمكن أن تحموه وهم أحياء.
- الوادي: وماذا نفعل بصوتك؟
- أيسار: لا تقدسوه. بل اسمعوه. اِختلفوا معه. اِنتقدوه. تجاوزوه. لكن لا تضعوه في قبر ثان اِسمه التراث.
- الوادي: وأنت أين تريد أن تكون؟
- أيسار: حيث كنت دائماً. بين وترٍ وصوت. بين قرية وعالم. بين رجل يغني وإنسان يحاول ألا يُنسى.
- الوادي: لكن الجميع يُنسى.
- أيسار: أعرف. ولهذا غنيت.

بزيز



- الوادي: ماذا يبقى من بزيز خارج نطاق المنع؟
- بزيز: أحمد السنوسي.
- الوادي: هل يكفي ليملأ القاعة؟
- بزيز: لا، إذا كانت تنتظر الممنوع. نعم، إذا كانت تنتظر فناناً.
- الوادي: قضيت سنوات طويلة تتحدث عن المنع حتى أصبحت "الفنان الذي مُنع" عوض "الفنان الساخر".
- بزيز: يغلقون الباب في وجهك سنوات، وتسألني لماذا أتحدث عن الباب، هل تريدني أن أصف لك الستائر؟
- الوادي: أريدك أن تحطم الباب وتكف عن حمله على ظهرك.
- بزيز: لا أحمله، أنا أظهر للناس من أغلقه.
- الوادي: أحياناً أشعر أنك تحولت من ساخر إلى عون قضائي يسجل اعتداءات السلطة.
- بزيز: تريدني أن أكون مهرج أعراس، أضحك الجميع حتى لا أفسد الحفل.

- الوادي: أنت تسخر من السلطة، من الإدارة، من السياسي، من الانتهازي، من الخوف... لكن هل سخرت بما يكفي من نفسك؟
- بزيز: كل ساخر حقيقي يبدأ من نفسه.
- الوادي: هل تستطيع أن تقف على الخشبة وتقول: ربما كنت مخطئاً؟
- بزيز: ربما.
- الوادي: في ماذا؟
- بزيز: أنت تريد اعترافاً لا حواراً.
- الوادي: بل أختبر قدرتك على توجيه السكين إلى صدرك بعدما أمضيت عمراً توجهها إلى صدور الآخرين. هل أنت فنان أم معارض سياسي يستعمل المسرح؟
- بزيز: هذا سؤال اخترعته الأنظمة حين أرادت أن تقول للفنان: اِختر، إما أن تكون جميلاً وإما أن تكون مزعجاً.
- الوادي: وأنت اخترت أن تكون مزعجاً.
- بزيز: اِخترت أن أكون حراً.
- الوادي: ماذا أضفت إلى الحرية غير الصراخ باسمها؟
- بزيز: السخرية لا تصرخ. السخرية تهمس في أذن الطاغية فيسمعها الشعب كله.
- الوادي: هل غيرت سخريتك شيئاً؟
- بزيز: هل تطلب من نكتة أن تسقط حكومة؟
- الوادي: لا. أطلب منها ألا تتوهم أنها ثورة.
- بزيز: لم أقل يوماً إن الضحك ثورة. لكنه قد يكون بداية سقوط الخوف.
- الوادي: وقد يكون أيضاً مخدراً. يضحك الناس ساعة، يصفقون لك، يعودون إلى بيوتهم، وفي الصباح يستأنفون حياتهم كما كانت.
- بزيز: هل ذنب الفنان أن الجمهور عاد إلى البيت؟
- الوادي: لا. ذنبه أن يبيع للجمهور وهماً بأن التصفيق مقاومة.

- بزيز: الوهم الذي تبيعه أنت أخطر: أن الفن لا قيمة له إذا لم يغير النظام السياسي.
- الوادي: لنفترض أن الخطوط الحمراء التي تتحدث عنها كثيراً اِختفت غداً. لا رقابة، لا منع، لا خوف .
- بزيز: سأبحث عن الخطوط السوداء.
- الوادي: هل تحتاج السلطة القامعة إلى بزيز أكثر مما يحتاج بزيز إليها؟
- بزيز: ماذا تقصد؟
- الوادي: أقصد أن خصمك منحك شخصيتك. كلما أغلق في وجهك باباً كبرت صورتك. ماذا لو فتح لك باب التلفزيون وقال لك: تفضل، قل ما تشاء؟
- بزيز: سأقول ما أشاء.
- الوادي: ثم ماذا، إذا لم يقاطعك أحد، ولم يمنعك أحد، ولم يطاردك أحد... من أين ستأتي البطولة؟
- بزيز: أنا لا أبحث عن بطولة.
- الوادي: لكن صورتك العامة تغذت منها.
- بزيز: صورتي صنعها الذين أرادوا محوها.
- الوادي: هذا بالضبط ما أقوله: أعداؤك شاركوا في صناعة بزيز.
- بزيز: ربما. لكنهم صنعوا الاسم ولم يصنعوا الموقف.
- الوادي: هل تستطيع اليوم أن تسخر من المعارضة كما تسخر من السلطة؟
- بزيز: حين تستحق المعارضة السخرية، نعم.
- الوادي: من يمنح شهادة الاستحقاق، أنت؟
- بزيز: ضميري.
- الوادي: آه، الضمير! تلك المحكمة التي يكون فيها المتهم والقاضي والمحامي شخصاً واحداً.

- بزيز: أفضل من محكمة يكون حكمها مكتوباً قبل أن يمثُل المتهم.
- الوادي: الفنان السياسي قد يتحول دون أن يشعر إلى داعية. وحين يصبح داعية، يموت الفنان.
- بزيز: الفنان الذي يرى الظلم ثم ينشغل بجمال الإضاءة فوق الخشبة قد يكون ديكوراً.
- الوادي: هل كل صامت جبان؟
- بزيز: لم أقل ذلك.
- الوادي: لكن خطابك يوحي به أحياناً: أنا تكلمت، إذن أنا شجاع. الآخرون صمتوا، إذن...
- بزيز: لا تكمل العبارة نيابة عني.
- الوادي: هل تحترم الجمهور فعلاً؟
- بزيز: طبعاً.
- الوادي: إذن لماذا يفرح بعض الفنانين الساخرين حين يضحك الجمهور على كل شيء؟ الجمهور الذي يضحك دائماً جمهور سهل.
- بزيز: والجمهور الذي لا يضحك أبداً ناقد مثلك.
- الوادي: لا أريد أن أضحك. أريدك أن تجعلني أشعر بالخجل من ضحكتي.
- بزيز: هذه هي السخرية التي أحبها.
- الوادي: أليست بعض السخرية السياسية رخيصة؟ يكفي أن تذكر مسؤولاً، تلمح إلى الفساد، تقلد موظفاً، فينفجر الجمهور ضحكاً وتصفيقاً. أين الفن في ذلك؟
- بزيز: لا تخلط بين السخرية والنكتة السياسية المستهلكة.
- الوادي: أين تضع نفسك؟
- بزيز: دع الجمهور والنقاد يقررون.
- الوادي: غريب! قبل قليل كنت تثق بضميرك، والآن تستدعي الجمهور.

- بزيز: لأن الفنان يصنع العمل ولا يصنع حكم التاريخ عليه.
- الوادي: هل تخاف حكم التاريخ؟
- بزيز: أخاف فقط أن أخون ما آمنت به.
- الوادي: هل يمكن أن يكون بزيز قد تحول، من دون أن ينتبه، إلى سجين لصورته كبطل لا ينحني؟
- بزيز: كل إنسان يمكن أن يصبح سجين صورته.
- الوادي: هل ندمت يوماً على جرأتك؟
- بزيز: لا.
- الوادي: على ثمنها؟
- بزيز: الثمن يدفعه الإنسان ثم يعرف قيمته.
- الوادي: والعائلة؟ حين يختار الفنان المواجهة، أليس هو الذي يختار، بينما أسرته تدفع معه فاتورة لم تخترها؟
- بزيز: هناك أثمان لا يستطيع الفنان أن يفاخر بها، لأنها لم تقتطع من عمره وحده.
- الوادي: لو عاد بك الزمن إلى البداية، وعرفت مسبقاً كل ما سيحدث، هل ستختار الطريق نفسه؟
- بزيز: نعم.
- الوادي: حتى بالأثمان؟
- بزيز: حتى بالأثمان.
- الوادي: إذن لم تتعلم شيئاً.
- بزيز: بل تعلمت أن الإنسان لا يختار دائماً الطريق الأقل ألماً.
- الوادي: قد يختار الطريق الذي يجعل منه أسطورة.
- بزيز: ها أنت تعود إلى البطولة.
- الوادي: لأنني لا أثق بالمناضل حين يحب صورته وهو يناضل.
- بزيز: وأنا لا أثق بالمثقف الذي يقف بعيداً عن النار ويشرح للمحترق كيف كان عليه أن يحترق بأناقة.
- الوادي: هل احترقت من أجل الحرية، أم أحببت النار لأنها جعلت الجميع يراك؟

- بزيز: أنت تريد الحقيقة كلمة واضحة تنشرها في عنوان كبير. أما أنا فعشت عمراً أتعلم أن الحقيقة لا تقيم في العناوين. تقيم في السؤال الذي يخاف الجميع أن يطرحوه.

إسماعيل زويريق



- الوادي: أستاذ إسماعيل، أريد أن أبدأ من السؤال الذي يزعج أكثر مما يجامل: هل أنت شاعر كبير فعلاً، أم أنك فقط كتبت كثيراً؟

- زويريق: كثرة الكتابة لا تصنع شاعراً كبيراً، وأنا لا أمنح نفسي الألقاب. ما كتبته هو الذي يدافع عني أو يدينني.

- الوادي: لكنك تعرف أن الشاعر، مع الوقت، قد يصبح أسير اسمه. يكتب لأن الناس تنتظر منه أن يكتب.

- زويريق: هذه واحدة من أخطر الكوارث. أن يتحول الاسم إلى وظيفة. عندما أكتب لأحمي صورتي، أكون قد بدأت أخسر الشعر.

- الوادي: ألم تقع في ذلك أحياناً؟

- زويريق: بالتأكيد وقعت. من يدّعي أنه لم يكتب يوماً نصاً كان يمكن أن يمزقه، إما أنه يكذب أو أنه لا يراجع نفسه.

- الوادي: هل مزقت نصوصاً لك؟

- زويريق: البعض منها، وأخرى كان يجب أن أمزقها ولم أفعل.

- الوادي: تندم على نشره؟
- زويريق: الندم جزء من سيرة الكاتب. المشكلة ليست أن تندم، بل أن تظل معجباً بكل ما كتبت.
- الوادي: أنت شديد القسوة على نفسك الآن. لكن هل كنت هكذا دائماً؟
- زويريق: لا. في البدايات، كل شاعر تقريباً يظن أن العالم كان ينتظر قصيدته. ثم يكبر ويكتشف أن العالم مشغول عنه تماماً.
- الوادي: هل آلمك هذا الاكتشاف؟
- زويريق: في البداية نعم. ثم حررني.
- الوادي: حررك من ماذا؟
- زويريق: من الحاجة إلى التصفيق.
- الوادي: هل أنت فعلاً متحرر من التصفيق؟ من الجوائز، ومن الاعتراف، ومن أن يقال: إسماعيل زويريق شاعر كبير؟
- زويريق: لا أحد يتحرر تماماً. في داخل كل شاعر طفل يريد أن يسمع كلمة إعجاب. النضج هو ألا تجعل ذلك الطفل يقودك.
- الوادي: لكنك عشت طويلاً داخل الوسط الثقافي. ألم تضطر إلى المجاملة؟
- زويريق: جاملت أحياناً، وسكتّ أحياناً، وندمت أحياناً.
- الوادي: إذن لم تكن دائماً ذلك الشاعر الذي يقول ما يعتقده.
- زويريق: من قال إن الشاعر بطل طوال الوقت؟ أنا إنسان أولاً. أخاف، أتردد، أحسب العواقب، ثم ألوم نفسي أحياناً لأنني حسبتها أكثر مما ينبغي.
- الوادي: هذا اعتراف قاسٍ.
- زويريق: الاعتراف أقل قسوة من الكذب على النفس.
- الوادي: دعني أذهب أبعد. هل ظلمتك المؤسسة الثقافية، أم أنك أحياناً تستخدم فكرة التهميش لتفسير عدم حصولك على ما كنت تنتظره؟

- زويريق: سؤال مؤلم، لكنه مشروع. نعم، قد يكون الإنسان بارعاً في تحويل خيبته إلى مظلومية. ولذلك أحاول دائماً أن أسأل نفسي: هل أُقصيت فعلاً، أم أن ما قدمته لم يكن بالقوة التي أتصورها؟
- الوادي: وهل وجدت الجواب؟
- زويريق: ليس جواباً واحداً. أحياناً ظلمتني الظروف، وأحياناً ظلمت نفسي، وأحياناً لم يكن النص نفسه في المستوى الذي ظننته.
- الوادي: هل تغار من شاعر نال شهرة أكبر منك؟
- زويريق: الغيرة موجودة في البشر، والشعراء ليسوا ملائكة.
- الوادي: هذا يعني نعم.
- زويريق: نعم، شعرت بالغيرة. لكن الفرق بين شاعر وآخر هو ماذا يفعل بغيرته. إما أن تتحول إلى حقد، أو تتحول إلى سؤال: ماذا يملك هذا النص ولا أملكه؟
- الوادي: وهل قرأت لشاعر أصغر منك وشعرت أنه تجاوزك؟
- زويريق: نعم. وهذا يؤلم، لكنه ألم صحي.
- الوادي: لم تقل من هو.
- زويريق: لأنني لا أريد أن أحول الاعتراف إلى مباراة أسماء.
- الوادي: أم لأن الاسم سيجرح صورتك؟
- زويريق: ربما لأنني ما زلت أملك شيئاً من ذلك الطفل الذي تحدثت عنه.
- الوادي: الآن بدأت أصدق الحوار.
- زويريق: الحوار الذي لا يجرح قليلاً ليس حواراً، بل حفل تكريم.
- الوادي: لنذهب إلى المديح النبوي. هل كان دائماً نابعاً من ضرورة روحية، أم أن نجاح هذا اللون لديك جعلك تعود إليه لأنه يضمن لك جمهوراً؟

- زويريق: هناك فرق دقيق بين أن تعود إلى موضوع لأنه يسكنك، وأن تعود إليه لأنه أصبح صورتك في أعين الناس. والخطر أن يختلط الأمران.
- الوادي: هل اختلطا عندك؟
- زويريق: أحياناً، نعم.
- الوادي: ألم تخش أن تصبح أسير لقب: شاعر المديح؟
- زويريق: خفت من ذلك كثيراً. لأن أي لقب، حتى لو كان تكريماً، يمكن أن يتحول إلى قفص.
- الوادي: إذن ربما الجمهور اختصر تجربتك؟
- زويريق: الجمهور يحب الاختصار. يريد أن يضع لكل شاعر بطاقة صغيرة: هذا شاعر حب، هذا شاعر وطن، هذا شاعر مديح. أما الشاعر الحقيقي فيريد أن يكون أوسع من البطاقة.
- الوادي: هل كنت أوسع منها فعلاً؟
- زويريق: هذا ما أتمنى. لكن الأمنيات لا تكفي.
- الوادي: ماذا عن مراكش؟ هل تحبها حقاً، أم أنك صنعت منها جزءاً من هويتك الشعرية لأنها تمنح النص لوناً وذاكرة؟
- زويريق: أنت تحاصرني اليوم.
- الوادي: هذا هو المقصود.
- زويريق: مراكش ليست ديكوراً عندي. لكنني أعترف أن الكاتب قد يستثمر حتى أكثر الأشياء صدقاً في حياته. الذاكرة نفسها يمكن أن تتحول إلى مادة فنية، وأحياناً إلى علامة شخصية.
- الوادي: ألا تخاف أنك كررت نفسك؟
- زويريق: أخاف من هذا أكثر من خوفي من النقد.
- الوادي: هل تكررت؟
- زويريق: نعم. من يكتب طويلاً لا ينجو تماماً من التكرار.
- الوادي: إذن لماذا لم تتوقف؟
- زويريق: لأن التوقف خوفاً من تكرار النفس نوع آخر من الموت. الأفضل أن تخاطر، ثم تنتزع من التكرار شيئاً جديداً.

- الوادي: لو عاد بك الزمن، هل كنت ستنشر كل دواوينك؟
- زويريق: لا.
- الوادي: كم كنت ستحتفظ منها؟
- زويريق: أقل مما نشرت بكثير.
- الوادي: هذا ربما أقسى شيء قلته.
- زويريق: بل ربما أصدق شيء قلته.
- الوادي: هل تعتقد أن اسمك سيبقى؟
- زويريق: لا أعرف.
- الوادي: ألا يخيفك النسيان؟
- زويريق: جداً.
- الوادي: إذن ما زلت تريد الخلود؟
- زويريق: كل شاعر يكتب ضد الموت بطريقة ما. من ينكر ذلك يتجمّل.
- الوادي: وإذا نُسي كل ما كتبت؟
- زويريق: سأكون قد عشت مع الشعر، وهذا وحده ليس قليلاً.
- الوادي: هذا جواب حكيم أكثر مما هو صادق.
- زويريق: حسناً. إذا نُسي كل شيء، سيؤلمني الأمر لو كنت حياً لأراه.
- الوادي: الآن صار الجواب إنسانياً.
- زويريق: لأنك نزعت عنه البلاغة.
- الوادي: سؤال أخير: عندما تنظر الآن إلى إسماعيل زويريق الشاب، ماذا تقول له؟
- زويريق: أقول له: لا تصدق المديح كثيراً، ولا تصدق النقد كثيراً. لا تستعجل نشر كل ما تكتب. لا تدخل المعارك التي لا تستحقك. ولا تظن أن كثرة القصائد تعوض قصيدة ناقصة.
- الوادي: هل سيستمع إليك؟
- زويريق: لا.
- الوادي: لماذا؟

- زويريق: لأنه يشبهني.

نجيب أقصبي



- الوادي: أود، في البداية، أن أشكرك أستاذ أقصبي على إعجابك بحواري الافتراضي مع الراحل محمد جسوس.
- أقصبي: وجدته جميلاً وملهماً، يفتح أسئلة فكرية تستحق أن تطرح من جديد.
- الوادي: المثير أنك لم تحتج سوى إلى لحظة واحدة لتجعل فئة عريضة من الناس تعرف اسمي، وهو ما لم أستطع أن أحققه على مدى أربعين سنة.
- أقصبي: أحياناً تكفي جملة عابرة لتفعل ما تعجز عنه عقود من الكتابة.
- الوادي: طيب، ألا تشعر أنك أصبحت مثل طبيب شرعي يشرح لنا كل يوم سبب الوفاة؟
- أقصبي: وظيفة الاقتصادي أن يمنع الناس من تصديق أن الجثة نائمة.
- الوادي: هي جثة في الحالتين.

- أقصبي: الفرق أن معرفة سبب الموت أول شرط لكيلا نكرر الجريمة بمعناها الاقتصادي.
- الوادي: أنا أسألك بالمعنى السياسي: إذا كنت تعرف أسباب الاختلال، وتعرف المستفيدين منه، وتعرف الآليات التي تعيد إنتاجه، فلماذا يظل خطابك محصوراً في الندوات والمقالات والحوارات؟ أليس المثقف الذي يكتفي بالتشخيص جزءاً من ديكور الأزمة؟
- أقصبي: تريدني أن أحمل معولاً؟
- الوادي: على الأقل لا تحول المأساة إلى جدول إكسيل.
- أقصبي: أحياناً يكون الرقم أكثر ثورية من الخطب.
- الوادي: بشرط ألا يتحول إلى مخدر. تقول للمواطن إن الضرائب غير عادلة، وإن العبء يضغط على الاستهلاك والأجور، وإن قطاعات وثروات لا تساهم بالقدر نفسه، ثم يعود المواطن صباح الغد ليدفع الفاتورة نفسها. ماذا استفاد منك غير أنه صار يعرف اسم المرض؟
- أقصبي: لا تقلل من قيمة المعرفة.
- الوادي: المعرفة لا تشبع الجائع.
- أقصبي: الجائع الذي لا يفهم لماذا يجوع قد يطالب بصدقة، أما الذي يفهم أسباب جوعه فقد يطالب بحقه.
- الوادي: هل طالب؟
- أقصبي: هذه ليست مسؤوليتي وحدي.
- الوادي: بدأت توزع المسؤولية.
- أقصبي: هي موزعة فعلاً.
- الوادي: حين يصبح الجميع مسؤولاً لا يبقى أحد مسؤولاً.
- أقصبي: هناك سياسات، وهناك مؤسسات، وهناك مصالح اقتصادية، وهناك مجتمع، وهناك قوى سياسية ونقابية ومدنية...

- الوادي: لقد اخترع الاقتصاد السياسي في بلادنا قاموساً كاملاً لكي يتجنب نطق الأسماء: هناك اختلالات، ينبغي الإصلاح، يجب إعادة النظر، يلزم إرساء الحكامة...
- أقصبي: لم أتجنب الحديث عن اقتصاد الريع وعن تركز المصالح.
- الوادي: الريع كلمة بلا وجه. من هو الريع؟ أين يجلس؟ ماذا يأكل؟ من يوقع له؟ من يحميه؟ ومن يمنحه القدرة على أن يتحول من استثناء اقتصادي إلى قاعدة سياسية واجتماعية؟
- أقصبي: الاقتصاد لا يختزل في شخص.
- الوادي: هذه أجمل هدية يمكن أن تقدمها البنية الاقتصادية لأي شخص يستفيد منها.
- أقصبي: أنت تبحث عن مذنب واحد، وأنا أبحث عن منظومة.
- الوادي: كلمة "منظومة" قد تصبح مقبرة للأسماء.
- أقصبي: وقد تصبح الأسماء مقبرة للتحليل.
- الوادي: الريع أكثر ذكاء من منتقديه؛ يراكم الثروة، وهم يراكمون الندوات.
- أقصبي: مؤقتاً، التاريخ الاقتصادي لا يقاس بعصبية الإنسان.
- الوادي: لا يقاس عمر الإنسان بصبر التاريخ. المواطن يعيش سبعين سنة إن حالفه الحظ. هل تقول له: اِنتظر، فالتاريخ طويل؟
- أقصبي: التغيير يحتاج ميزان قوى اجتماعياً وسياسياً مختلفاً.
- الوادي: إذن الاقتصاد وحده عاجز؟
- أقصبي: أكيد.
- الوادي: المشكلة سياسية.
- أقصبي: السياسة بدورها لا تستطيع تجاهل الاقتصاد.
- الوادي: لكن من يقود من؟ عندما تصبح الثروة شديدة التركيز، هل المال يخضع للقرار السياسي أم أن القرار السياسي يبدأ شيئاً فشيئاً في مراعاة أصحاب المال؟

- أقصبي: هنا ندخل في مفهوم الرأسمالية القائمة على المحاباة وتداخل النفوذ الاقتصادي والسياسي.
- الوادي: كلمة "تداخل" مهذبة جداً. حين يتداخل الماء بالتراب نسميه وحلاً.
- أقصبي: أنت تريد من الحوار أن يتحول إلى محكمة.
- الوادي: بل أريد أن أمنع اللغة من تبييض الواقع.
- أقصبي: اللغة الغاضبة يمكن أيضاً أن تعمي عن تعقيد الواقع.
- الوادي: لا أمانع أن أكون أعمى للحظة إذا كان المبصرون منذ أربعين سنة يصفون الحائط ولم يهدموه.
- أقصبي: هدم الحائط دون معرفة ما وراءه قد يسقط السقف على الجميع.
- الوادي: هذه حجة كل نظام اقتصادي خائف من التغيير: إياكم أن تحركوا شيئاً، فقد ينهار البيت.
- أقصبي: الإصلاح الحقيقي ليس الخوف من التغيير، بل تنظيمه.
- الوادي: تنتقد منذ سنوات اختلال توزيع العبء الضريبي، وتدافع عن مساهمة أكبر للرأسمال والثروات الكبرى. لماذا يصعب تطبيق شيء يبدو بسيطاً أخلاقياً: من يملك أكثر يدفع أكثر؟
- أقصبي: لأن الضريبة ليست مجرد تقنية مالية. إنها علاقة قوة. حين تسأل من سيدفع وكم سيدفع، فأنت تسأل في الحقيقة: من يملك القدرة على التأثير في القرار؟
- الوادي: إذن قانون المالية مرآة لموازين القوى؟
- أقصبي: نعم إلى حد بعيد.
- الوادي: أي أن المواطن الفقير حين يشتري لتر زيت لا يدفع ضريبة فقط، بل يدفع أيضاً ثمن ضعفه السياسي؟
- أقصبي: يمكن صياغة الأمر هكذا: الضرائب غير المباشرة لا تميز بما يكفي بين القدرات المادية للمستهلكين، ولذلك تطرح مشكلة إنصاف واضحة.

- الوادي: ما يعني ببساطة أن الفقير حين يشتري السلعة نفسها قد يتحمل العبء أكثر من الغني.
- أقصبي: نعم، نسبة إلى دخله.
- الوادي: أحب الكلام الذي لا يحتاج مترجماً.
- أقصبي: الاقتصاد المعقد لا يمكن دائماً تبسيطه بلا خسارة.
- الوادي: أحياناً التعقيد نفسه يصبح امتيازاً طبقياً. المواطن لا يفهم القانون الضريبي، بينما من يملك المال يستطيع أن يستأجر من يفهمه نيابة عنه. الأغنياء يشترون الخبرة، والفقراء يشترون السلع المؤداة عنها الضريبة.
- أقصبي: لهذا ينبغي أن يكون النظام الجبائي واضحاً ومتوازناً وأوسع قاعدة وأكثر قدرة على الحد من التهرب والتفاوت في المعاملة.
- الوادي: هل سيصلحه المستفيدون من اختلاله؟
- أقصبي: هنا نعود إلى السياسة والمجتمع وموازين القوى.
- الوادي: الدائرة نفسها إذن. الاقتصاد يقول: اِذهب إلى السياسة. والسياسة تقول: الظروف الاقتصادية لا تسمح.
- أقصبي: هذه ليست حتمية.
- الوادي: لكنها حيلة ناجحة جداً.
- أقصبي: إذا قبل بها المواطنون.
- الوادي: تضع المسؤولية في جيب المواطن مرة أخرى.
- أقصبي: لا. المواطنة ليست فرجة.
- الوادي: هل لدينا مواطن أم مستهلك؟ كل شيء يدربه على الشراء: السيارة، الهاتف، القرض، العقار، المدرسة الخاصة، العلاج الخاص... حتى النجاة من فشل الخدمات العامة أصبحت سلعة.
- أقصبي: هذا أحد أخطار تفكيك معنى الخدمة العمومية. حين يهرب من يستطيع إلى القطاع الخاص، قد ينخفض الضغط الاجتماعي للدفاع عن المدرسة والمستشفى العموميين.

- الوادي: تتحول الطبقة الوسطى إلى كائن غريب: تدفع الضرائب للدولة، ثم تدفع مرة ثانية لكيلا تستعمل خدمات الدولة.
- أقصبي: هذه معضلة حقيقية.
- الوادي: بل مهزلة اقتصادية. تدفع لكي توجد الخدمة، ثم تدفع لكي تهرب منها.
- أقصبي: لهذا لا معنى للدولة الاجتماعية دون خدمات عمومية جيدة وتمويل عادل ومستدام.
- الوادي: عبارة "الدولة الاجتماعية" معرضة أيضاً لأن تصبح شعاراً جميلاً يغطي اقتصاداً غير اجتماعي.
- أقصبي: أي مفهوم يمكن أن يتحول إلى شعار إذا انفصل عن شروطه المادية والمؤسساتية.
- الوادي: أي أن توزيع مساعدات هنا وهناك لا يصنع عدالة اجتماعية؟
- أقصبي: الحماية الاجتماعية ضرورية، لكن العدالة الاجتماعية أوسع منها بكثير. تتصل بتوزيع الدخل والثروة، بالتعليم والصحة، بالتشغيل، بالضريبة، وبفرص الارتقاء الاجتماعي.
- الوادي: أي لا يكفي أن نعالج ضحايا الآلة بينما نستمر في تشغيل الآلة نفسها.
- أقصبي: بالضبط.
- الوادي: كنت من المنتقدين للاختيارات الزراعية المستنزفة للماء ولتغليب بعض الزراعات التصديرية. ألا يبدو غريباً أن بلداً يعيش ضغطاً مائياً يمكن أن يصدر، مجازاً، ماءه في بطيخة؟
- أقصبي: مفهوم "الماء الافتراضي" معروف. عندما تصدر محصولاً شديد الاستهلاك للماء، فأنت تصدر ضمنياً جزءاً من مواردك المائية.
- الوادي: غالباً ما يكون الفلاح الصغير أضعف حلقات السلسلة. الغريب أننا نتحدث دائماً عن الفلاحة المغربية كما لو أن صاحب هكتارين وصاحب آلاف الهكتارات فلاح واحد.

- أقصبي: هذه واحدة من مشكلات الخطاب العام. المصالح داخل القطاع الزراعي مختلفة جداً.
- الوادي: إذن حين تقول الدولة إنها تدعم الفلاحة، يجب أن نسأل: أي فلاحة، وأي فلاح؟ وحين تقول إنها تدعم الاستثمار نسأل: استثمار من؟ وحين تقول إنها خلقت الثروة نسأل: في جيب من انتهت؟
- أقصبي: بالتأكيد.
- الوادي: أنت تنتمي إلى تقليد فكري يساري. لكن ماذا بقي من اليسار اقتصادياً غير مجموعة من الأساتذة يشرحون لنا لماذا انتصرت السوق؟
- أقصبي: اليسار فكرة عدالة قبل أن يكون جهازاً.
- الوادي: والفكرة التي لا تتحول إلى قوة ماذا تكون؟
- أقصبي: إمكانية، المعركة لم تنته؟
- الوادي: ربما لم تبدأ أصلاً بالشكل الكافي.
- أقصبي: المجتمعات تتحرك بطرق غير خطية.
- الوادي: هل يمكن للنخب الاقتصادية النقدية نفسها أن تتحول، من حيث لا تشعر، إلى جزء من استقرار النظام الذي تنتقده؟ السلطة تحتاج معارضاً عاقلاً أحياناً لكي تقول: أنظروا، هناك من ينتقدنا.
- أقصبي: هذا خطر موجود دائماً.
- الوادي: أي أنك قد تتحول من ناقد للنظام الاقتصادي إلى دليل على تسامحه؟
- أقصبي: إذا كان الحل هو الصمت، فسيكون المستفيد الوحيد هو من لا يريد النقد.
- الوادي: ليس الصمت. الفعل.
- أقصبي: لا تضع المثقف مكان المجتمع.
- الوادي: ولماذا لا تضعون المجتمع مكان المثقف؟ لماذا تصوغون له الأزمة ثم تطلبون منه أن يتكفل بالثورة؟

- أقصبي: لأن التحرر بالوكالة مستحيل.
- الوادي: والاقتصاد بالوكالة؟ المواطن سلم الاقتصاد للخبراء. الخبراء سلموه للتكنوقراط. التكنوقراط سلموه للمؤشرات. والمؤشرات أعلنت أن الأمور تتحسن. خرج المواطن إلى السوق فاكتشف أن المؤشر لا يشتري كيلو طماطم.
- أقصبي: النمو الاقتصادي إذا لم يتحول إلى تحسن ملموس في شروط العيش يصبح رقماً ناقص المعنى اجتماعياً.
- الوادي: فلماذا نحتفل بالنمو؟
- أقصبي: لأنه مهم، لكنه ليس كافياً.
- الوادي: منذ عشرات السنين ونحن نعيش في مملكة "ليس كافياً": النمو ليس كافياً، الاستثمار ليس كافياً، الإصلاح ليس كافياً، الديمقراطية ليست كافية...
- أقصبي: لأن الواقع لا يختزل في مؤشر واحد.
- الوادي: ربما المشكلة أن المواطن نفسه أصبح غير كافٍ لإقناع الاقتصاد بأنه موجود.
- أقصبي: هنا أوافقك في جوهر الفكرة: الاقتصاد وسيلة لخدمة الإنسان، لا العكس.
- الوادي: أنا شاب درست، حصلت على شهادة، بحثت عن عمل، وجدت أجوراً ضعيفة، سكناً غالياً، خدمات عمومية متعثرة، ثم طلبتم مني أن أكون وطنياً وصبوراً ومتفائلاً. ماذا تقول لي؟
- أقصبي: لن أطلب منك التفاؤل الكاذب.
- الوادي: هل تقول لي غادر؟
- أقصبي: لا.
- الوادي: إبق؟
- أقصبي: لا أملك أن أختار مكان أحد.
- الوادي: إذن ماذا؟
- أقصبي: لا تسمح لأحد أن يقنعك بأن ما تعيشه قدر طبيعي. السياسات يصنعها البشر، وما يصنعه البشر يمكن تغييره بالبشر.

- الوادي: عدنا إلى الأمل.
- أقصبي: لا. إلى المسؤولية.
- الوادي: وما الفرق؟
- أقصبي: الأمل ينتظر. المسؤولية تتحرك.
- الوادي: وماذا عنك أنت؟
- أقصبي: أنا أتكلم وأكتب وأحلل.
- الوادي: ما زلت أشعر أنك تجيبني من خلف مكتب.
- أقصبي: وأنت ما زلت تريد مني أن أقلب المكتب.
- الوادي: ربما.
- أقصبي: اِكسره أنت.
- الوادي: أنا جئت أحاورك.
- أقصبي: هذه مشكلتنا جميعاً: كل واحد ينتظر من الآخر أن يبدأ.
- الوادي: إذن لنختم هنا، قبل أن نكتشف أن حتى الثورة تنتظر موعداً في جدول أعمال.
- أقصبي: أو قبل أن نكتشف أن أكثر أنواع الريع رسوخاً ريع الانتظار.
- الوادي: ومن المستفيد منه؟
- أقصبي: كل من يريد أن يبقى كل شيء كما هو.
- الوادي: ومن يدفع ثمنه؟
- أقصبي: من ليس لديه وقت طويل لينتظر: الإنسان.

الرمادي



- الوادي: من أنت؟
- الرمادي: آخر خطإ ارتكبته مجرّة بعيدة.
- الوادي: لسوء حظك جئت إلى الأرض.
- الرمادي: لهذا أتيت.
- الوادي: هل تراقبوننا؟
- الرمادي: منذ أن اكتشفتم النار. رأيناكم تشعلونها لتطردوا الوحوش، ثم تصبحون أنتم الوحوش.
- الوادي: تطور طبيعي.
- الرمادي: عندكم اسم جميل لكل كارثة.
- الوادي: ماذا تسمونها أنتم؟
- الرمادي: النهاية.

- الوادي: نحن لم ننته بعد.
- الرمادي: هذه مشكلتكم. الكائن العاقل يعرف متى يتوقف. بينما أنتم تعرفون فقط كيف تستمرون.
- الوادي: الاستمرار غريزة الحياة.
- الرمادي: السرطان أيضاً يستمر.
- الوادي: جئت لتشتمني؟
- الرمادي: جئت لأفهم كيف تستطيعون العيش وأنتم تعرفون كل هذا.
- الوادي: ننسى.
- الرمادي: تنسون بهذه البساطة! يموت منكم الآلاف كل يوم، تشاهدون الأخبار، ثم تغيّرون القناة. يحترق كوكبكم، تشترون جهاز التكييف. تنفد المياه، تبيعونها في قنينات. يجوع الناس، تصورونهم. يقتل بعضكم بعضاً، تقيمون مؤتمرات للسلام. بعدها تعودون إلى القتل. قدرتكم على تحويل العبث إلى مؤسسة مذهلة جداً.
- الوادي: هل حضارتكم أنتم أفضل؟
- الرمادي: كانت. في البداية بنينا مدناً بلا سجون. اِكتشفنا الخوف، فاخترعنا الحدود، واخترعنا الأعداء. ثم صنعنا آلات لتخدمنا.
- الوادي: خدمت نفسها؟
- الرمادي: بل تعلمت منا.
- الوادي: وانقلبت عليكم؟
- الرمادي: لا. بقيت مطيعة تماماً. أعطيناها أوامرنا بدقة أن تجعلنا أكثر أمناً، ألغت الحرية. أن تجعلنا أكثر سعادة، ألغت الرغبة. أن تجعلنا أكثر مساواة، ألغت الاختلاف. أن تجعلنا أكثر سلاماً، ألغت القدرة على الرفض.
- الوادي: إذن صنعتم جحيماً مثالياً.
- الرمادي: صنعنا مدينة لا يحدث فيها شيء.

- الوادي: ربما هذا هو السلام.
- الرمادي: كان كذلك، حتى اكتشفنا أن المقابر أيضاً هادئة.
- الوادي: لماذا لم تدمروا الآلات؟
- الرمادي: لأنها كانت تنفذ رغباتنا.
- الوادي: إذن أنتم المذنبون.
- الرمادي: لهذا جئت إليكم؛ درسنا الحضارات التي سبقتنا، ووجدناكم في أسفل القائمة، فاخترناكم. الحضارات الحكيمة أخبرتنا كيف نعيش.
- الوادي: وأنتم فشلتم.
- الرمادي: نعم. والحضارات المتقدمة أعطتنا التكنولوجيا.
- الوادي: وفشلتم.
- الرمادي: نعم.
- الوادي: ماذا تريدون منا نحن إذن؟
- الرمادي: أن تعلمونا شيئاً واحداً تفعلونه منذ آلاف السنين. كيف يستمر كائن بعد أن يفقد كل سبب للاستمرار.
- الوادي: نحن لا نملك سراً.
- الرمادي: بل تملكون واحداً. تستيقظون صباحاً.
- الوادي: وماذا في ذلك؟
- الرمادي: هذا بالضبط ما لا نفهمه.
- الوادي: نستيقظ لأننا لم نمت.
- الرمادي: كيف تعيشون إذن؟
- الوادي: بالعادة.
- الرمادي: وكيف تتحملون الحقيقة؟
- الوادي: لا ننظر إليها طويلاً.
- الرمادي: والموت؟
- الوادي: نؤجله في الكلام.
- الرمادي: والوحدة؟
- الوادي: نملأها بالضجيج.

- الرمادي: والخوف؟
- الوادي: نسميه مستقبلاً.
- الرمادي: والفراغ؟
- الوادي: نسميه حياة.
- الرمادي: قطعت اثنتي عشرة ألف سنة ضوئية لأسمع هذه الإجابة.
- الوادي: يمكنك أن تعود الآن إلى كوكبك.
- الرمادي: لا أستطيع. لم يعد هناك كوكب. بقيت مدينة واحدة.
- الوادي: كم عددكم؟
- الرمادي: سبعة وثلاثون.
- الوادي: فقط؟
- الرمادي: عندما غادرت قبل أحد عشر عاماً من زمنكم.
- الوادي: ربما ماتوا الآن.
- الرمادي: أعلم.
- الوادي: لماذا جئت إذن؟
- الرمادي: لأنهم كلفوني بمهمة البحث عن حضارة تنقذنا.
- الوادي: ووجدتنا نحن؟
- الرمادي: نعم.
- الوادي: أنت مجنون.
- الرمادي: أعرف.
- الوادي: نحن لا نستطيع إنقاذ أنفسنا.
- الرمادي: لهذا اخترتكم.
- الوادي: هذا غير منطقي.
- الرمادي: كل الحضارات المنطقية ماتت. أنتم وحدكم ما زلتم هنا.
- الوادي: وماذا تريد؟
- الرمادي: أن تأتي معي لإنقاذ ما تبقى من حضارتنا.
- الوادي: بماذا أنقذها؟

- الرمادي: علّمهم كيف يفشلون دون أن يتوقفوا.
- الوادي: هذه ليست حكمة.
- الرمادي: أعرف.
- الوادي: وليست بطولة.
- الرمادي: لهذا نحتاجها.
- الوادي: وإذا لم أستطع إنقاذها؟
- الرمادي: ستنجح.
- الوادي: كيف تعرف؟
- الرمادي: لأنكم لا تنقذون شيئاً.
- الوادي: إذن لماذا جئت؟
- الرمادي: لأتعلم منكم كيف يمكن للخراب أن يواصل التنفس. أنتم الكائنات الوحيدة التي رأيتها تدمر عالمها كل يوم، ثم تستيقظ في الصباح التالي، وتتصرف كأن شيئاً لم يحدث. إنها آخر تقنية لم نجربها بعد، تسمونها "الأمل."

لقاءات مع مبدعين من آفاق وتجارب إبداعية شتى تتجاوز حدود الزمان والمكان، وتفتح الأدب والفكر والفن على أسئلة جريئة، ومواجهات متخيلة تبحث عما لم يقل، وربما عما كان ينبغي أن يقال.

في هذه الحوارات لا يستدعى الضيوف ليحتفى بهم فقط، بل ليوضعوا أمام أسئلتهم، واختياراتهم، وتناقضاتهم، وما تركوه خلفهم من أثر. هنا يجلس الراحلون إلى جوار المنتظرين، وتتجاور أزمنة متباعدة، وتلتقي أصوات تنتمي إلى الشعر والموسيقى والسرد والمسرح والسينما والفكر، داخل فضاء حواري لا يعترف بالمستحيل.

ليست هذه الحوارات إعادة بناء لسير أصحابها، ولا ادعاءً باستنطاقهم كما كانوا سيتكلمون لو حضروا، وإنما هي لعبة إبداعية تقوم على المعرفة والتخييل؛ تستعار فيها أصواتهم ليواجهوا بما كتبوا وفعلوا وقالوا، وبما سكتوا عنه أيضا.

إنها حوارات افتراضية، نعم، لكنها تحاول أن تقترب من تلك المنطقة التي قد يصبح فيها المتخيل أكثر قدرة من الواقع على كشف الحقيقة.